شرح قصيدة ابن عبدون

﴿ المعروفة بالبسامة ﴾

في التاريخ والادب للعلامة الشهير أبى القاسم عبد الملك
ابن عبد الله بن بدرون الحضرمى البستى

١٩٢١
(الطبعة الاولى في سنة ١٣٤٠ ـ هـ)

« طبع على نفقة البحاثة المنقب عن الأسفار النفيسة »
﴿ حضرة الفاضل النبيل الشيخ ﴾
محيي الدين صبري الكردي
(شيخ المقرى بجامع السلطان قلاوون)

طبع بمطبعة السعادة

افادة للقراء

عن الكتاب

قصيدة الوزير الكاتب السامى الذؤابة فى الآداب والمراتب أبى محمد عبد المجيد بن عبدون التى ندب فيها بنى مسلمة المعروفين ببنى الأفطس وذكر فيها كثيرا من قدماء الملوك الغابرين وهى المعروفة بالبسامة * وشرحها للامام الفقيه الكاتب الأديب الوزير أبى مروان عبد الملك بن عبد الله بن بدرون الحضرمي البستى ويسمى هذا الشرح بكمامة الزهر وفريدة الدهر أو كمامة الزهر وصدفة الدر أو شرح البسامة بأطواق الحمامة *

وقد بذلنا جهدا جهيدا فى تصحيح الشرح المذكور بعد المقابلة بين عدة نسخ واقتطفنا من شرح العلامة ابن الاثير الحلبي ما لابد منه لنفع القراء أو مزيد انتفاعهم. وفضلا عن هذا قد خدمنا القصيدة خدمات أخرى وسنأتى بها وحدها آخر الكتاب مضبوطة مع التذييل الذى وضعه ابن الأثير الذى هو عبارة عن نيف وخمسين بيتاً *

وقولنا واقتطفنا الخ ذلك ان العلامة اسماعيل بن احمد بن سعيد بن محمد بن الأثير الشافعي اختصر شرح ابن بدوون فاختار منه ما استحسنه وترك ما رغب عنه وضبط من ألفاظ القصيدة ما يُشكِل وكشف من نقابها ما أُسبل واعتنى بها بعض العناية وكان من جراء ذلك أنه ذيلها بنيف وخمسين بيتاً ذكر فيها نيفاً وأربعين دولة وهاك ماخص عبارته :

(وقفت على قصيدة ابن عبدون فى رثاء بنى المظفر فوجدته ابتدأها من زمن دارا بن دارا وأنهاها الى زمان المقتدر فى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وانقطعت بموته فذيّلت على الوزن والقافية من زمن القاهر الى سنة سبع وتسعين وستمائة ـ وذكرت نيفاً وأربعين دولة آخرها دولة الترك وجعلت كل بيت عنواناً لدولة من الدول) اه

وذكر صاحب كشف الظنون القصيدة وشرّاحها فقال (قصيدة ابن عبدون محمد بن عبد الله وهى رائية فى التاريخ ذكر فيها الملوك الماضية وأكثر وقائع العالم ذكرها ابن برى وقال هى من أمهات القصائد ذكر فيها عدة من مشاهير الملوك والخلفاء الأكابر اه) شرحها جمال الدين بن الجوزى * وشرحها أيضاً اسماعيل بن أحمد بن الأثير الحلبى وأحسن وأجاد ثم ذيلها وتوفى سنة ستماية وتسع وتسعين * وشرحها الشهاب * وشرحها الاديب

الفاضل عبد الملك بن بدرون الحضرمى ثم البستى وسماه « كمامة الزهر وفريدة الدهر » أوله أما بعد حمد الله الذى أفاض على ألسنتنا مائية البيان * وأول القصيدة :

(الدهر يفجع بعد العين بالأثر * فما البكاء على الأشباح والصور)

انتهى * وفى فوات الوفيات عبد المجيد بن عبدون بن

محمد الفهرى توفي سنة خمسمائة وعشرين كان أديباً

شاعراً له مصنف فى الانتصار لأبى عبيد على

ابن قتيبة * ومن شعره قصيدته الرائية

التى رثى فيها ملوك بنى الأفطس

وذكر فيها من أباده الحدثان

من ملوك كل زمان وهى :

(الدهر يفجع بعد

العين بالأثر) الخ

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله الذى أفاض على ألسنتنا مائية البيان * وراض لنا جموحه فقدناه سلس العنان * وفضلنا على جميع الأمم باللسان العربي الذى هو أفصح لسان * وصلى الله على النبي الأمي المنتقى من ولد معد بن عدنان * المبعوث بالحنيفية السمحه ناسخة جميع الملل والاديان * ورضى الله تعالى عن آله وكل أصحابه ذوى المعالي فى رتب الاسلام والايمان * والرضى عمن طلعت بمطلعه الغربى بشاراته * وألمعت الى منبعه العربى إشاراته المهدى المعلوم بالاسم والنسب والزمان والمكان * وعن حواريه الحرى بالامامة * الموصوف بالنجدة والشهامة * الامام أمير المؤمنين أبي محمد عبد المؤمن بن على حامل لواء العدل والاحسان وعن خليفته الامام العادل الخليفة الفاضل أبى يعقوب أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين منتهى شرف سليم بن منصور وقيس عيلان فانه جمعنى يوماً من الايام مع جماعة من فرسان النثار والنظام

ندیٌّ أدب ومجلس دعا الى الافاضة في هذا الشأن وندب فأفضنا قداح المذاكرة فى الادب وجماله * وفضضنا أقداح راح الحديث فى الشعر ورجاله * الذى هو ديوان العرب ولسانها الذى يفصح عن مآثرها * ويعرب عن علو شأنها * فتناشدنا ما رُقم من بروده بأنامل المحابر * ونُظم من عقوده فى أجياد الدفاتر * حتى أفضى بنا الحديث لذكر القديم منـه والحديث * وذكرنا من درج من الأمم * وفرج فى الشعر أبواباً لم يفرجها غيره ممن كان له قـدم القدم وما أبدع فيه من أنواع البديع كالتكافؤ (١) والتفريع (٢) والرفو (٣) والتسبيـغ (٤) والتسميط (٥)

---

(١) التكافؤ هو المعروف بالطباق والمطابقة والتطبيق ويقال له أيضاً التضاد والمقاسمة وهو الجمع بين متقابلين نحو أو من كان ميتاً فأحييناه وقول الشاعر *

اذا نحن سرنا بين شرق ومغرب * تحرك يقظان التراب ونائمه

(٢) التفريع بالمهملة وضبطه البعض بالمعجمة هو أن يثبت لمتعلق أمر حكم بعد إثباته لمتعلق له آخر على وجه يشعر بالتفريع نحو

أحلامكم لسقام الجهل شافية * كما دماؤكم تشفى من الكلب

(٣) الرفو تضمين الشاعر كلامه مصراعا من كلام غيره

(٤) التسبيغ بسين مهملة وغين معجمة هو أن يعاد لفظ القافية فى أول البيت الذي يليها وسماه قوم تشابه الاطراف كقوله

خزيمة خير بنى حازم * وحازم خير بنى دارم
ودارم خير تميم وما * مثال تمى فى بنى آدم

(٥) التسميط هو نوع من السجع وهو أن يجعل البيت أربع سجعات ثلاث على روى غير روى البيت كقوله

فالحق فى أفق والشرك فى نفق * والكفر فى فرق والدين فى حرم

والتوشيع (١) والاكتفاء (٢) والاشارة (٣) والمقابلة (٤)
والاستعانة (٥) والترصيع (٦) والتلويح (٧) والتصدير (٨)
والترشيح (٩) والتجنيس (١٠) والتلميح (١١)

---

(١) التوشيع ذكر شئ فى عجز الكلام مفسر بمتعاطفين كقوله صلى الله عليه وسلم يشيب ابن آدم ويشب معه خصلتان الحرص وطول الامل *

(٢) الاكتفاء حذف بعض الكلمات أو بعض الحروف لدلالة الباقي عليه كقوله

حسنات الخد منه * قد أطالت حسراتى
كلما ساء فعالا * قلت إن الحسنات

(٣) الظاهر أنه يريد من الاشارة الايماء وهو الكناية القليلة الوسايط بدون خفاء فى الملزوم كطويل النجاد *

(٤) المقابلة أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يقابل ذلك على الترتيب نحو (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً)

(٥) الاستعانة نوع من التضمين وهى أن يضمن الشاعر قصيدته بيتاً كاملا من شعر غيره *

(٦) الترصيع نوع من السجع وهو ماستوت فواصله فى الوزن والتقفية وكان جل مافى احدى الفقرتين من الألفاظ مثل مايقابله من الاخرى كقول الحريرى فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه *

(٧) التلويح الكناية البعيدة التى كثرت فيها الوسائط ككثير الرماد *

(٨) التصدير هو رد العجز على الصدر نحو وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه *

(٩) الترشيح أن يأتى المتكلم بكلمة لاتصلح لنوع من المحاسن حتى يأتى بأخرى تؤهلها لذلك كقوله

وإذا رجوت المستحيل فانما * تبنى الرجاء على شفير هار

(١٠) التجنيس هو تشابه الكلمتين فى التلفظ كقوله *

اذا ملك لم يكن ذاهبه * فدعه فدولته ذاهبه

(١١) التلميح الاشارة الى قصة أوشعر أومثل من غير ذكره نحو قولك

والتبليغ (١) والترديد (٢) والاستطراد (٣) والتقسيم (٤) والتسهيم (٥) والاحالة (٦) والتتميم (٧) ثم جلنا فى ميدان ذكر الاحالات ورفضنا ما سواها وذكرنا من انطبع فيها ومن رمّد حين شواها فأنشد أحد الحاضرين قصيدة الوزير الكاتب السامى الذؤابة فى الأدب والمراتب أبى محمد عبد المجيد بن عبدون التى ندب فيها بنى مسلمة المعروفين ببنى الافطس حين جرعهم الحمام كأسه وجدع من كل عاطس منهم عطاسه فانه ذكر فيها كثيراً من الملوك ممن دبت آفات الايام اليهم أىّ دبيب وألحقت شمسهم بعد الظهيرة بالمغيب ومشت اليهم الضراء وأرتهم

لاتعجل تحرم اشارة الى قول القائل من تعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه ※

(١) التبليغ المبالغة المقبولة ※

(٢) الترديد تكرير الكلمة بمعانين مختلفين نحو حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته ※

(٣) الاستطراد الانتقال من المقصود الى غيره لمناسبة ※

(٤) التقسيم ذكر متعدد ثم اضافة ما لكل اليه على التعيين نحو:

ولا يقيم على ضيم يراد به ※ الا الأذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته ※ وذا يشج فلا يرثى له أحد

(٥) التسهيم ويقال له الارصاد أن يكون قبل العجز ما يدل عليه نحو

اذا لم تستطع شيئاً فدعه ※ وجاوزه الى ما تستطيع

(٦) الاحالة الرجوع بالسامع لاستيضاح أمر على شىء آخر غير مذكور نحو وقد نزل عليكم فى الكتاب الاية ※

(٧) كأنه يريد بالتتميم براعة المقطع ※

بؤس الضر بعد نعيم السراء فأكثرهم لم يعرف كنه حالات تلك الاحالات حتى كان فيهم من قال ما هذه القصيدة وما معناها الا كالمعمى وما أظن أحداً يروم شرحها الا ويسير فى طريقها كالاعمى * وكان فى القوم من أشار نحوى وقال لو شاء فلان لافتتح رتاجها المبهم وأنجد فى قص أخبارها وأتهم غير أن أكثرهم لم يلتفت اليه وقال أحث التراب في وجهه كما قال صلى الله عليه وسلم فقلت لهم أتعنون قوله صلى الله عليه وسلم (احثوا التراب فى وجوه المداحين) بل أفعل ان شاء الله تعالى بحوله وقوته ما قال وأكمم بها النباحين * فعولت أن أورى قدحها ـ وأعجم قدحها وأطلع صبحها وأقص شرحها وأجمع أخبارها وأقتص آثارها ليقرب على من أراد علم محكومها والاهتداء فى ظلامها بنجومها فانه يحتاج من يعنى بمعرفة قصصها ويتكلم على قصصها أن يطالع عليها عدة كتب وعندها يتعلق من معرفتها بسبب فذكرت إثر كل بيت ساق فيه خبراً شرحه مفسراً * وقدمت من الابيات من تقدم خبره وسبق به ورده أو صدره فانى ألفيته قد عول فى هذا الشأن على صدور هذه الابيات ولم يحفل باعجازها مع قربها فى اطنابها وإيجازها وأول القصيدة * [البسيط]

(الدهر يفجع بعد العين بالأثر * فما البكاء على الاشباح والصور)(١)

---

(١) فجعه كمنعه أصابه بمصيبة كفجعه والفجع أن يوجع الانسان بشئ

(أنهاك أنهاك لاأنهاك واحدة * عن نومة بين ناب الليث والظفر) (١)
(فالدهر حرب وإن أبدى مسالمة (٢)
فالبيض والسمر مثل البيض والسمر)
(ولاهوادة بين الرأس تأخذه * يدُ الضراب وبين الصارم الذكر) (٣)

يكرم عليه فيعدمه وقد فجع عاله كمنى وتجع توجع للمصيبة فالفجيمة المصيبة والرزية وعين الشيء نفسه وذاته والحاضر من كل شيء ومن قبله قولهم بعته عيناً بعين أى حاضرا بحاضر ومنظر الرجل وعاينته معاينة وعياناً ـ والاثر محركة بقية الشيء وجئت فى إثره وأثره أى تبعته عن قرب والآثار الاعلام وأثرت فيه تأثيرا جعلت فيه أثرا وعلامة ـ والشبح الشخص وهو سواد الانسان وغيره تراه من بعد والصور التمثال والشكل

(المغزى الكلى) يلوح لخاطرى أن مغزى البيت هكذا أن الدهر يتبع الآتى بالسالف والحاضر بالغابر فان لكل كائن أجلا ولكل أجل كتابا فأى معنى للبكاء على فراط حوض المنية اذا كانت رحاها دائبة لاتفتر تلحق الباقين بالسابقين ولا تغادر أحدا الا أتت عليه فى يوم ما ولا محالة وهل اللاحق خالدحتي يعنى بالبكاء على سابقه وفراط منهل هو وارده *

(١) يقول إياك إياك أن تركن الى هذه الدار والى مهادنة الايام فانها عدو فى ثياب صديق وان الراكن اليها كالنائم بين أنياب الاسد ومخالبه وذلك منتهى الخرق ومن الامثال القديمة الحكيمة (لاتنعس على باب أعدائك)

(٢) ثم علل ذلك التحذير والنهي البليغ بأن الدهر يحارب الانسان فى صورة مسالم وان البيض من لياليه مثل السيوف والسمر مثل الرماح والكل حرب له وخصم ألد *

(٣) الهوادة السكون والرفق والضراب مصدر ضارب زيد عمرا اذا تضاربا بسيف أو نحوه والصارم السيف القاطع الذى يمضي فى ضريبته والذكر الصلب القوى وهو صفة مؤكدة يقول ولا لين ولا رفق ولا سكون بين الرأس حال أخذه يد تقاتل

(فلا يغرّنك من دنياك نومتها (١)

فما صناعة عينيها سوى السهر)

(ما لليالي أقال الله عثرتنا * من الليالي وغالتها يد الغير)(٢)

(فى كل حين لها فى كل جارحة * منا جراح وان زاغت عن البصر)

(تسر بالشيء لكن كى تغرّ به * كالايم ثار الى الجانى من الزهر)(٣)

وتضارب وبين السيف القاطع المتين يشير الى أن الدهر لا تهدأ حوادثه فلا يمر منه يوم الا والحرب فيه قائمة مستمرة فلا موادعة بين الرؤس والسيوف *

(١) يقول لا تغتر بمهادنة صروف الزمان لك فان تلك مدنة على دخن والدنيا على الدوام يقظه لا شغل لها الا ذلك السهر والغرور وانها أبدا تتحين الفرص للتنكيل بالبرية وهذا السهر والتيقظ شنشنتها *

(٢) يتعجب من الليالي وفعالها ويقول أى شيء ثبت لها حتى كان منها على الدوام فى جوارحنا وأعضائنا الجراح التى آلمت وأثرت ولم ترها العين ولم يدركها البصر وان تنوسيت وذهل عنها الفكر أحيانا وفى خلال هذه الجملة التعجبية يدعو الله أن يقيل عثرة الانسان الناشئة من الليالي ويدعو عليها بأن تغتالها وتفترسها يد الحوادث والعثرة السقطة والاقالة منها الانهاض والانتعاش *

(٣) يقول إن سرور المرء بالدنيا غرور وانها لا تسرك بالشيء الا من باب المخاتلة والمواربة على حد قوله

يعطيك من طرف اللسان حلاوة * ويروغ منك كما يروغ الثعلب

وذلك أن سرورها لك بالشيء تمنحه لك لحظة ماليس الا لاجل أن تغتر به ووراء ذلك من ركوب متن الغرر والخطر ما لا يخفى والايم بكسر الهمزة الحية يقول فى الشطر الثانى ان فى منح الايام والفرح بها العدو والمهلك كما أن فى أثناء الزهور التى يشتغل بجنيها الانسان الحية التى تثور عليه من نفس الزهر وهو مشغول باجتنائه

وهو كقول القائل ان الضرر للانسان كامن فى مشتهيات نفسه ككون السم فى الدسم *

(كم دولة وُليتْ بالنصر خدمتَها (١)
لم تُبق منها وسل دنياك عن خبر)
(هوَت بدارا وفلت غرب قاتله (٢)
وكان عضباً على الاملاك ذا أثر)

قوله هوت بدارا الخ يريد به دارا بن دارا بن بهمن بن اسفنديار بن بشتاسف بن لهراسف ودارا هذا هو آخر ملك من الفرس الاولى وسأذكر كم ملك مَلكَ منهم اذا انقضى خبر مقتل دارا * كان من خبر مقتل دارا أن ذا القرنين الاسكندر الملك (وليس هو بذى القرنين صاحب الخضر) لما منع دارا من الاتاوة التى كانت تعطيها له ملوك زمانه - وكانت الملوك من كل جيل وصنف من زمن بشتاسف الملك تؤدى الاتاوة الى ملوك فارس - قامت الحرب بينهما على قدم وذلك ان البختنرسى (وهو الذى يقول له الناس البختنصّر) كان

---

(١) يعنى أن الليالى من دأبها أن تتولى بنفسها خدمة الدول بالنصر والتأييد وإعلاء الشأن ثم ترجع عليها بالافناء فلا تدع منها أثرا وان شئت برهاناً على ذلك فهامى الدنيا ملأى بالعبر وفيها لكل لبيب مدكر *

(٢) (من شرح ابن الاثير) هوى سقط الى أسفل وفلت كسرت وغرب كل شىء حده والعضب السيف والاثر بضم الهمزة والثاء فرند السيف وبفتحهما ما بقى من رسم الشىء * وضمير هوت راجع الى الليالى والمراد أن الليالى أهلكت دارا وكسرت سيف قاتله الاسكندر فأهلكته أيضاً مع أنه كان على الاملاك كالسيف القاطع *

مرزبانا لبشتاسف الملك الفارسي (والمرزبان عندهم ملك على ربع من أرباع الملك) (المملكة) وقد دوّخ الارض وذلل الملوك من كل أمة لملوك فارس * فلما ظهر الاسكندر وكان بعيد الهمة امتنع أن يؤدى لملوك فارس من الاتاوة ما كانت تؤديه الملوك لها وكان فى زمن دارا فخرج دارا لقتاله والتقيا ببلاد الجزيرة فاقتتلا سنة ـ وكان قوم دارا قد ملوه وأحبوا الراحة منه فلحق كثير من وجوههم بالاسكندر وأطلعوه على عورته وقوّوه عليه ثم وثب على دارا حاجباه فقتلاه وتقربا برأسه الى الاسكندر فأمر الاسكندر بقتلهما وقال هذا جزاء من اجترأ على ملكه وقيل انه سيق اليه أسيراً غدر به صاحب شرطته فساقه الى الاسكندر فقال له الاسكندر بِمَ اجترأ عليك صاحب شرطتك قال بتركي ترهيبه وقت إساءته وإعطائى إياه وقت الاحسان باليسير من فعله نهاية رغبته فقال الاسكندر (نعم العون على إصلاح القلوب المؤغرة الترغيب بالاموال وأصلحُ منه الترهيب وقت الحاجة اليه) ثم أمر به الاسكندر فقتل * وقيل لما هزمه الاسكندر فرّ خائفاً جريحاً فجدّ فى طلبه فى ستة آلاف فارس حتى أدركه ثم لم يلبث دارا أن هلك فأظهر الاسكندر الحزن عليه ودفنه فى مقابر الملوك وانتثر ملك فارس لقتل دارا وكان منتظماً وتفرق وكان مجتمعاً * وقد اختلف الناس فى الفرس

وأنسابها وفى كم دولة كانت لهم *

أما النسب فمن الناس من زعم أنهم من فارس بن ياسور بن سام ابن نوح عليه السلام وهذا قول هشام بن محمد * ومنهم من زعم أنهم من ولد هزرام بن ارفخشذ بن سام بن نوح وأنه ولده بضعة عشر رجلا كان كل واحد منهم فارساً شجاعاً فسُموا الفرس لفروسيتهم وفى ذلك يقول خطاب بن المعلّى الفارسى *

ومنا سُمى الفوارس فرساً * ومنا مناجب الفتيان

وزعم آخرون أنهم من ولد بويان بن بوّان بن الاسود بن سام بن نوح - وبوان هذا اليه ينسب شعب بوان وهو أحد المواضع المشهورة بالحسن وكثرة الاشجار وتدفق المياه وهو ببلاد فارس وفيه يقول أحد الشعراء *

إذا أشرف المكروب من رأس تلعة

على شعب بوّان أفاق من الكرب

ومن الناس من يرى ان الفرس من ولد إيران بن افريدون وذكر آخرون أنهم من ولد يافث غير أنه لا خلاف بين الفرس أنفسهم ان جميعهم من ولد كيومرث وهذا هو الأشهر فكيومرث أو كيمورث هو الذي ترجع اليه فارس كما ترجع المروانية الى مروان والعباسية الى عباس فهذا ما كان من اختلاف فى أنسابهم (وأما التنازع في دولهم) فمن الناس من زعم أنهم أربعة

أصناف وأن الصنف الاول منهم ما كان من كيومرت الى كرشاسف وهم الفيشداذية (١) والصنف الثانى من كيقباذ (٢) الى دارا بن دارا وهم الكيانية * والصنف الثالث ملوك الطوائف وهم الاشغانية * والصنف الرابع الاكاسرة وهم الساسانية * ومن الناس من جعلهم صنفين فجعل الصنف الاول من كيومرت الى دارا الثانى * والصنف الثانى من أشغا بن أشغان الى يزدجرد المقتول فى أيام عثمان بن عفان * ومدة ملكهم فى الدولة الاولى ثلاثة آلاف سنة وثلثمائة سنة وست وعشرون سنة وعدة ملوكهم عشرون ملكا فيهم امرأة واحدة * ويبلغ عدد الملوك فى الصنف الثانى الذى يبتدأ من ملوك الطوائف نحواً من ستة وأربعين ملكا أولهم أشغى بن أشغان وآخرهم يزدجرد المقتول فى أيام عثمان بن عفان * فأول من ملك من الفرس (كيومرت) وقد اختلف فى نسبه فمن الناس من قال إنه ولد آدم لصلبه * ومنهم من زعم أنه من ولد لاوذ بن ارم بن سام بن نوح غير أن الفرس أنفسهم يعتقدون أنه هو مبدأ النسل فهو عندهم بمثابة آدم عندنا هذا * وقد قيل انه أول ملك ملك من بنى آدم وكان السبب فى ملكه انه لما كثر البغى فى الناس والظلم اجتمعوا ورأوا أنه لا يقيم

---

(١) لقب فيشداذ معناه أول سيرة العدل (٢) كى لقب معناه الروحانى أو الجبار *

أمرهم الا ملك يُرجع اليه فيما يأمر وينهى فمشوا اليه وقالوا أنت أكبر أهل زمانك وبقية الانبياء والناس قد بغى بعضهم على بعض وأكل القويُّ الضعيفَ فضم أمرنا اليك وكن القائم بصلاحنا * فأخذ عليهم العهود والمواثيق بالسمع والطاعة وترك الاختلاف عليه فصنعوا له تاجا وعقدوه على رأسه وهو أول من تُوِّج فلما استوسق له الامر قال ان النعمة لا تدوم الا بالشكر وانا نحمد الله على أياديه ونشكره على نعمه ونرغب اليه فى مزيده ونسأله المعونة فيما دفعنا اليه وحسن الهداية الى العقل الذى يجمع الشمل ويصفى العيش فثقوا بالعدل منا وانصفوا من انفسكم نوردكم الى افضل ما فى همتكم والسلام *

فلم يزل قائما بأمر الناس حسن السيرة فيهم اربعين سنة ثم مات وكان ينزل اصطخر من ارض فارس واختلف فى مقدار عمره فمن الناس من قال عمر الف سنة ومنهم القائل بغير ذلك * ثم ملك بعده اوشهنج (او هوشنك) ابنه وقيل اخوه وقيل اوشهنج بن فنقال ابن كيومرت وكان ينزل الهند وملك اربعين سنة ثم ملك بعده طهمورث بن توبهجان بن اوشهنج وكان ينزل بنيسابور وفى ايامه ظهر يوذاسف(١) الذى احدث دين الصابئة وكان ملكه ثمانين سنة

(١) ويقال له يوذاسف التناسخى لانه يروى عنه الامعان فى القول بالتناسخ *

ثم ملك بعده اخوه (جمشيد)(١) وكان ينزل بفارس وفى ايامه حدث النيروز وكان ملكه سبمائة سنة. وقيل اكثر وادعى الالوهية ثم ملك بعده (بيوراسب) وهو الدهاك وقد عُرِّب اسمه فقيل الضحاك ويقال انه ملك الف سنة وفى أواخر ايامه ظهر الخليل ولذلك زعم قوم انه نمروذ او ان نمروذ عامل من عماله * ثم ملك بعده (افريدون) بن اثفيان وهو من ولد جمشيد وذلك انه غاب عليه وقتله وسمى ذلك اليوم المهرجان (وهو معرب مهركان أى يوم الشمس والشهر الذى يحتفل فيه بمهرجان يسمى مهركان ويخفف تارة على شكل مهرماه) ولكنه عرب الى مهرجان وكانت مدة ملكه خمسمائة سنة * وقد ظن فريق أنه هو ذو القرنين المذكور فى القرآن وكان له ثلاثة بنين قسم الارض بينهم - وهم سلم وطوج وإيراج (أو إيران) وفى ذلك يقول أحد شعرائهم *

وقسمنا ملكنا فى دهرنا * قسمة اللحم على ظهر الوضم
فجعلنا الشام والروم الى * مغرب الشمس الى الملك سَلم
ولطوج جعل الترك له * فبلاد الترك يحويها ابن عم
ولايران جعلنا عنوة * فارس الملك وقرنا بالنعم

ثم ملك بعدهم (مَنوشهر) بن ايراج بن افريدون وكان

(١) جمشيد بجيم مفتوحة وميم ساكنة وشين مكسورة * وجم هو القمر وشيد الشعاع فتعريبه شعاع القمر كما ان لفظ خورشيد شعاع الشمس لان خور معناها الشمس *

ينزل ببابل وفى زمنه بعث موسى بن عمران عليه السلام ـ ويقال إن فرعون الريان كان من عماله * ثم ملك بعده (فراسياب) بن طوج وكان مقامه ببابل وملكه اثنتى عشرة سنة ثم ملك بعده (زو) بن طهماسب وهو من ولد منوشهر ثلاث سنين ثم ملك بعده (كرشاسف) وهو من أولاد طوج ويقال ان أمه من سبط بنيامين بن يعقوب ولبث ملكه عشرين سنة وبه انتهت الطبقة الاولى من دول الفرس وملوكهم وبعده ملك (كيقباد) بن زو وهو أول الملوك الكيانية وكان ينزل ببلخ وسلك مسلك الخير والعمارة ومدة ملكه مائة وعشرين سنة ثم ملك بعده (كيكاووس) بن كيانيه بن كيقباد فتشدد على أعدائه وقتل خلقاً من عظماء البلاد وولد له ولد نهاية فى الجمال وكان يفتن بحسنه وسماه (سياوش) وسلمه الى رستم الشديد الذي كان نائباً على سجستان ومملكتها فرباه وأتى به أخيراً الى والده وهو نهاية فى الادب والفروسية ولكنه هلك لأسباب لاحاجة بنا الى الاطالة بها فى عهد أبيه وترك زوجته حبلى فولدت بعده (كيخسرو) الذى ورث ملك جده ولما ملك كيخسرو قوى أمره وحارب فراسياب ملك الترك وانتصر عليه وأخيراً تزهد وخرج عن الدنيا وأوصى بعده (بلهراسف) وكان مدة ملك كيخسرو ستين سنة * ثم ملك بعده لهراسف المذكور ويقال انه ابن أخى

كيكاووس فاتخـذ سريراً من ذهب مرصعاً بالجواهر كان يجلس عليه وبنيت له بأرض خراسان مدينة بلخ وسكنها لقتال الترك وفى زمنـه كان بختنصّر * وقد اختلف فيه المؤرخون هل كان ملـكا مستقلا بنفسه أم كان نائباً للفرس والاصح عنـد الاكثر أنه كان نائباً للهراسف المذكور وأنه سار بالجيوش نيابة عنه وفتح له البلاد ودوّخ الامصار فذلك الملك الفارسي هو الذى بعث البختنرسي المشهور بالبختنصّر الى الشام وكان مرزباناً له على العراق لا ملـكا برأسـه على ماينقله جمهور من الاخباريين والقُصاص وأهل التواريخ والزيجات * وقـد ذكر بطلميوس صاحب كتاب المجسطى وبارون صاحب كتاب القانون فى النجوم أنه كان مرزباناً ولبث مُلك لهراسف مائة وعشرين سنة ثم ملك بعده ابنه (كى بشتاسف) وهو الذى بنى مدينة فسا وظهر فى عهده (زرادشت) واعتنق دينه « ويقال ان أمه من ولد طالوت الملك وكان ملكه اثنتى عشرة سنة » وجرى بينه وبين ملك الترك حروب انتصر عليـه فيها بَشتاسف ثم انه أخـيراً تنسك وانقطع للعبادة وفُقد فملك بعده (ازدشير بَهمن) بن اسفنديار ابن بشتاسف وهو كورش الشهير الذى أمر بعمارة بيت المقدس بعد ما خربه بختنرسى وكان كريماً متواضعاً عنوانه فى كتبه (من أزدشير بهمن عبـد الله وخادم الله والسائس لامركم) وتفسـير

بهمن بالعربية الحسن النيـة * ويقال ان أمه من ولد طالوت الملك وكان ملكه اثنتى عشرة سنة * ثم ملكت بعده (جمانه) اوخمانى ابنته ولها حروب كثيرة وسياسة شهيرة ولم يلبث ملكها الا ثلاث سنين فانه لما بلغ أخوها أشده وهو دارا الاول تنازلت عن الملك وسلمته اليه فلما استلم زمام السلطنة ضبطها بشجاعة وحسن سياسة ثم هلك فولى الملك ابنه دارا بن دارا وهو دارا الثانى الذى قتله الاسكندر واستولى على مملكته وبمقتله انقرضت دولة الفرس الاولى وكان مدة ملكه الى أن قتل ثلاثين سنة ومن ثم يرجع بنا الكلام الى ذكر الاسكندر اذ قد أكملنا ذكر ملوك الفرس الذين دارا بن دارا منهم — أما قوله

(وفات غرب قاتله) فانه يعنى به الاسكندر(١) ذا القرنين الرومي المقدونى (لا صاحب الخضر على ما سلف التنبيه عليه) وقد قيل ان بعض خدمه أصابه بسهم وهو فى أرض بابل لذا قال (وفات غرب قاتله) وروى في علة التلقيب بذى القرنين وجوه فقيل انما سمى بذى القرنين لبلوغه أطراف الارض وان الملك

---

(١) قوله الاسكندر ذا القرنين الخ ذهب الشارح ابن بدرون الى أن هذا اللقب مشترك بين هذين الملكين الرومي المقدوني وصاحب الخضر ولذلك أخذ يبدى نكتا فى التلقيب بهذا اللقب ولكن المحققين من المؤرخين يذهبون الي ان هذا اللقب لم يوضع على الاسكندر المقدوني واذا اختلفوا فى تعيين من علق عليه وقدم ان البعض يذهب الى انه افريدون بن اثفيان *

الموكل بجبل (ق) سماه بذلك ويحكى هذا عن ابن عباس رضي الله عنه * وقيل انما سمي بذلك اذ كان له ذؤابتان من الذهب ويعزى هذا القول الى على بن أبي طالب رضى الله عنه * وقيل انما سمى بذلك لانه رأى في منامه أنه يدنو من الشمس فيضع يديه فى قرنيها من شرقها وغربها فقص رؤياه على قومه فسموه بذى القرنين * وقيل انما سمى بذلك لانه أفنى قرنين من الناس وقيل انما سمى بذلك لانه كان بُعث لقوم فضربوه على قرنه فمات فأحياه الله ثم بعثه اليهم فضربوه على قرنه الآخر فأحياه الله فسمى بذى القرنين * وقيل ان اسكندر المقدونى قاتل دارا المذكور لم يكن له هذا اللقب وانما هو لقب الصعب بن الرائش وكان ملكا عظيما من ملوك حمير وهو الذى ذكره لبيد فى قوله

والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً * بالحنو فى جدث أميمَ مقيم

كما أن فريقاً ظن أن ذا القرنين انما هو افريدون بن اثفيان واختلف فى أبى الاسكندر فقيل هو ابن فيلبس * وقيل ابن فيبوس * وقيل هو ابن مطريوش * وقيل بلفيس بن يونان وسأذكر نسب يونان اذا انتهينا الى ذكر اليونانيين * ومن عجيب ما ذكر في نسب الاسكندر أنه من ولد دارا الاكبر فهو أخو دارا الاصغر وذلك أن دارا الاكبر تزوج بنت ملك الزنج (هيلانه) أو هلانى فلما حملت اليه استخبث ريحها فأمر أن يحتال لذلك فكانت

تغتسل بماء السندروس فأذهب ذلك كثيراً من ذفرها ثم عافها وردها الى أهلها وقد علقت منه بالاسكندر فقيل له الاسكندروس * وقد اختلف فى مدته فذكر الخوارزمى فى تاريخه أنه كان قبل الهجرة بتسعمائة سنة وثلاث وثلاثين سنة * وذكر أبو محمد بن قتيبة فى كتاب المعارف أن بينه وبين الهجرة أربعمائة سنة والله أعلم بحقيقة ذلك * وقوله

(وكان عضباً على الاملاك ذا أثر) لانه لما دارت رحى الحرب بينه وبين سلطنة فارس وقتل دارا وقد قدمنا كيف كان قتله (وقد يقال إنه قتله مبارزة) احتوى على مملكة الفرس وتزوج ابنة ملكهم دارا وسار نحو الهند والسند فوطىء بلادهم ودوّخها ولما قتل فوزا صاحب مدينة المناكير من بلاد الهند سار نحو بلاد الصين والتبت فلما غلب عليها رتّب ببلاد التبت قوماً من رجاله بعد أن أثبت أسماءهم فى ديوانه وسماها بهم بلاد التبت * وقيل ان الذى فعل ذلك أحد ملوك التبابعة فسموا بذلك الاسم والله أعلم بأى ذلك كان *

(وكان معلم الاسكندر الحكيم الشهير ارسطاطاليس) تلميذ أفلاطون صاحب الفراسة العجيبة تلميذ سوقراط * ويحكى عن أفلاطون انه كان يصوّر له صورة انسان لم يره قبل ولا عرفه فيقول صاحب هذه الصورة من أخلاقه كذا ومن همته كذا

فيقال انه صور له صورته فلما عاينها قال هـذا رجل محب للزنا فقيل له انها صورتك قال نعم لولا أني أمسك نفسي لفعلت * ثم سار الاسكندر راجعاً من سفره يؤم المغرب فلما صار بمدينة شهرزور وقيل بمدينة نصيبين وقيـل ببلاد العراق مات وحمل الى الاسكندرية وقبض الاسكندر وهو ابن ست وثلاثين سنة وكان ملكه تسع سنين قبل قتله لدارا ثم لبث ستة أعوام بعد قتله له وتغلبه على سائر الملوك وجلس على عرش الملك وهو ابن احدى وعشرين سنة وذلك بمقدونيا * ويحكي من قهره لملوك زمانه أنه لما دوخ (على ماذكرنا) ما دوخ من الممالك ودانت له الارض سار نحو الهند وقتل ملكها الاعظم فوزا صاحب مدينة المناكير فلما دانت له ملوكها بلغـه أن بأقصى ديارها ملـكا من ملوكها ذا حكمة وسياسة وانصاف للرعية وأنه ليس فى بلاد الهند من فلاسفتهم وحكمائهم مثله يقال له (كيدكان) وأنه قاهر لنفسه مانع لها من الاذعان لقوتى الشهوة والغضب فكتب اليـه الاسكندر كتاباً يقول فيه

(أما بعد فاذا أتاك كتابي هذا فان كنت قائماً فلا تقعد وان كنت ماشياً فلا تلتفت حتى تدخل فى طاعتى والا مزقت ملـكك وألحقتك بمن مضى من ملوك الهند قبلك) فلما ورد عليه الـكتاب أجاب بأحسن جواب وخاطبه بملك الملوك وأعلمه أنه قد اجتمع عنده

أشياء لم يجتمع عند غيره مثلها فمن ذلك أمة له لم تطلع الشمس على أحسن منها صورة وفيلسوف يخبرك بمرادك قبل أن تسأله لحدة مزاجه واعتداله فى بنيته واتساعه فى علمه وطبيب لايخشى معه داء ولا شيء من العوارض الا ما يطرأ من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية وحل العقدة التى عقدها المبتدع لها المخترع لهذا الجسم الحسى وان كانت بنية الانسان وهيكله قد نصبت فى هذا العالم غرضاً للآفات والحتوف والبلايا ـ وقدح اذا ملأته شرب منه عسكرك بجمعه ولا ينقص منه شيء وانني منفذ جميع ذلك الى الملك وصائر اليك * فلما قرأ الاسكندر كتابه قال (لأن أحصلَ على هذه النفائس وينجو هذا الحكيم من صولتى أحب اليَّ من أن لا أكون حاصلا عليها ويهلك) فأنفذ اليه الاسكندر جماعة من حكماء اليونانيين والروم فى عدة من الرجال وتقدم اليهم بقوله (ان كان صادقاً فيما كتب به فاحملوا ذلك اليَّ واتركوه فى موضعه وان تبينتم الامر على خلاف ذلك وأنه أخبر عن الشيء على خلاف ما هو به كان قد خرج عن حد الحكمة فأشخصوه اليَّ) فمضى القوم فلما انتهوا الي مملكة الملك خرج اليهم وتلقاهم بأحسن لقاء وأنزلهم أحسن منزل فلما كان اليوم الثالث جلس لهم مجلساً خاصاً للحكماء منهم دون من كان معهم من المقاتلة فقال بعضهم لبعض (ان صدقنا فى الاولي صدقنا

بعـدها فيما ذكر) فلما أخذت الحكماء مراتبها واستقرت بها مجالسها أقبل عليهم مباحثاً فى أصول العـلوم الفلسفية وفروعها وعلى كم يحتوى العلم الفلسفى والى كم يتفرع * وقد ذكر أن العلم الفلـفى ينقسم على أربعـة أنواع (أحدها) الرياضيات (الثانى) المنطقيات (الثالث) الطبيعيات (الرابع) الالهيات ـ فأما الرياضيات فأربعة أنواع (الاول) علم الحساب (الثانى) علم الهندسة والاصل فيـه النقطة وهي فيه كالواحـد فى علم الحساب (والثالث) علم النجوم (والرابع) علم الموسيقى وهو علم تأليف الالحان * وأما العلوم المنطقيات فخمسة أنواع (الاول) معرفة صناعة الشعر وأنواع بديعـه على ماذكرناه فى صدر هذا الكتاب (والثانى) معرفة صناعة الخطابة (والثالث)معرفة صناعة الجدل (والرابع)صناعة البرهان (والخامس) صناعة المغالطين فى المناظرة والجدل ـ واما العلوم الطبيعيات فسبعة أنواع (الاول) علم المبادئ الجسمانية وهى خمسة أشياء الهيولى والصورة والزمان والمكان والحركة (والثانى)علم السماء والارض وهى معرفة ماهية جواهر الافلاك والكواكب وكميتها وكيفية تركيبها وعلة دورانها وهل تقبل الكون والفساد كما تقبل الاركان الاربعة التى هى دون فلك القمر ام لا وماعلة حركات الكواكب واختلافها فى السرعة والابطاء وما علة سكون الارض فى وسـط الفلك فى

المركز وهل خارج العالم جسم آخر ام لا وهل فى العالم فضاء فارغ لاشئ فيه وما شاكل هذه المباحث (والثالث) علم الكون والفساد وهو معرفة جواهر الاركان الاربعة التى هى النار والهواء والماء والارض (والرابع) علم حدوث الجواهر (١) وتغيرات الجو بتأثيرات الكواكب بحركاتها ومطارح شعاعاتها على الاركان الاربعة وانفعالاتها بعضها من بعض بقدرة الله تعالى (والخامس) علم المعادن التى تنعقد من البخارات والادخنة المحتقنة في بطن الارض المتحللة من الهواء (والسادس) علم النبات على اختلاف أنواعه في هيئاته واشكاله واختلاف صموغه والوانه وطعومه وروائحه وخواصه ومنافعه ومضاره (والسابع) علم الحيوان وهو معرفة كل جسم يغتذى ويحس ويعيش ويتحرك على اختلاف أنواعه الي غير ذلك مما شاكل هذه العلوم المنسوبة الي علم الطبيعيات كعلم الطب والبيطرة وسياسة الدواب والسباع والطيور والحرث والنسل — وعلم الصنائع أجمع داخل فى علم الطبيعيات *

وأما العلوم الالهيات فخمسة أنواع (أولها) علم البارى تعالي بجميع صفاته وأنه أول كل شئ وآخر كل شي والخالق لكل شئ والعالم بكل شئ وأنه ليس كمثله شي وهو السميع البصير (والثانى منها) علم الروحانيات من الجواهر البسيطة

(١ يسمى هذا الفن فن الآثار العلويه أوفن كائنات الجو *

العقلية وهي الصور المجردة عن الهيولى المستعملة للاجسام المطهرة ومعرفة ارتباط بعضها ببعض وفيض بعضها على بعض وهى أفلاك روحانيـة محيطات بأفلاك جسمانية (والثالث) علـم النفوس والارواح السارية في الاجسام الفلكية والطبيعية من لدن الفلك المحيط الى منتهى مركز الارض (والرابع) علم السـياسة وهى خمسة أنواع (أولها) السياسة النبوية (وثانيها) السياسة الملوكية (وثالثها) السياسة العامية (ورابعها) السياسة الخاصية (وخامسها) السياسة الذاتية (فأما السياسة) النبوية فالله سبحانه وتعالى يختص بها من يشاء من عباده ويهدى لاتباعهم من يشاء لا معقب لحكمه لايسأل عما يفعل وهم يسألون (وأما السياسـة الملوكية) فهى حفظ الشريعة على الامـة وإحياء السنة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر (وأما السياسة العامية) فهي الرياسة على جماعة جماعة كرياسة الامراء على البلدان ورئاسة قادة الجيوش وترتيب أحوالهـم على مايجب وينبغى من زم الامور واتقان التدبير (وأما السياسة الخاصية) فهي معرفة كل انسان نفسه وتدبير أمر غلمانه وأولادهم وما يليهم من أتباعه وقضاء حقوق الاخوان (وأما السياسة الذاتية) فهى أن يتفقد الانسان أفعاله وأقواله وأخلاقه ويعمد الى شهوته وغضبه فيردعهما عن التسلط ويزمهما بزمام العقـل وما شاكله *

﴿ والخامس من العلوم الالهية ﴾ علم المعاد وكيفية بعث الارواح وقيام الاجساد وحشرها للحساب يوم الدين ومعرفة حقيقة جزاء المحسنين وعقاب المسيئين — ولولا الاطالة والخروج عما شرعنا فيه لاستقصينا فى هذه الانواع الفلسفية أقوال القائلين فلنرجع القول الى ما كنا بدأنا به من خبر الملك الهندى مع الاسكندر فنقول ان ذلك الملك لما تكلم مع حكماء اليونانيين في العلوم الفلسفية من طبيعيات والهيات وطال خطب المناظرة فيما بينهم أخرج الجارية اليهم فلما ظهرت لابصارهم لم يقع طرف كل واحد منهم على عضو من أعضائها فتعدى ببصره الى غيره اشتغالا بحسن ذلك العضو عما سواه حتى خاف القوم على عقولهم ـ ثم ان كل واحد منهم رجع الى نفسه وقهر شيطانه وهواه * ثم أراهم بعد ذلك ماتقدم الوعد به وصرفهم وسير بالفيلسوف والطبيب والجارية والقدح معهم ـ فلما وردوا على الاسكندر أمر بانزال الطبيب والفيلسوف ونظر الى الجارية فحار عند مشاهدتها فأمر قيمة جواريه بالقيام عليها ثم صرف همته الى الفيلسوف وعلم ماعنده والى الطبيب وعلم ماعنده والى مانص عليه الحكماء مما أنتجه لهم البحث فى العلوم الفلسفية فأعجبه ذلك وتأمل أغراض الهند ومقاصدهم وأقبل ينظر اليهم والى مطاردة الهند بعللها فى معلولاتها وفيما يصفه اليونانيون من عللها فى معلولاتها أيضاً على حسب ما

قدمت من أوضاعها ثم أراد محنة الفيلسوف فيما أخبر عنه فأجال فكره فيما يختبره به فدعا بقدح فملأه سمناً ولم يجعل للزيادة عليه سبيلا ودفعه الى الرسول وقال احمله الى الفيلسوف ولا تكلمه بشيء فلما دفعه اليه دعا الفيلسوف بألف ابرة فغرزها فى السمن وصرفه اليه فأمر الاسكندر بسبك تلك الابر كرة متساوية الاجزاء وردها اليه فأمر الفيلسوف ببسطها وجلاها حتى صارت جسمارى صورة مقابله لصفائه وردها اليه فدعا الاسكندر بطست وجعل تلك المرآة فيه وصب عليها الماء حتى غمرها وردها اليه فأخذها الفيلسوف وعمل منها طنجهارة حتى طفت على الماء وردها اليه فملأها الاسكندر تراباً وردها اليه — فلما نظر الفيلسوف الى التراب تغير وبكى ثم ردها الى الاسكندر ولم يصنع فيها شيئاً فلما كانت صبيحة اليوم الثانى جلس له الاسكندر جلوساً خاصاً ودعا به ولم يكن رآه قبل ذلك ـ فلما أقبل نظر الاسكندر من الفيلسوف الى رجل طويل القامة رحب الجبين معتدل الضخامة فقال فى نفسه هذه بنية تضاد الحكمة فاذا اجتمع له حسن الصورة وحسن الفهم كان أوحد أهل زمانه فادار الفيلسوف اصبعه حول وجهه ثم وضعها على ارنبة أنفه وأسرع نحو الاسكندر وحياه بتحية الملك فاشار اليه بالجلوس فجلس ثم قال له لِمَ أدرت أصبعك حول وجهك ووضعتها على أرنبة أنفك قال له علمت أنك تقول

في نفسك ـ اذ نظرت الى حسن صورتى واتقان بنيتى (قلما تجتمع هذه الخلقة مع الحكمة واذا كان هذا كان صاحبها أوحد أهل زمانه) فاريتك مصداقا لما سنح لك أنه كما ليس فى الوجه غير أنف واحد فكذلك ليس فى ديار الهند على هـذه الصورة والصفة غيرى فقال له الاسكندر حسن ما تأتى لك فما بالك حين بعثت اليك بالقدح المملوء بالسمن غرزت فيه الابر ورددته قال الفيلسوف علمت أنك تقول إن قلبي قد امتلأ علما فليس لاحد فيه مستزاد فاخبرتك أن علمى سيزيد فيه كما زادت هذه الابر فى هذا السمن قال فما بالك حين عملت لك من الابر كرة صنعت منها مرآة صقيلة وصرفتها الىَّ قال الفيلسوف علمت أنك تقول إن قلبي قد قسا من سفك الدما والشغل بهـذا العالم فلا يقبل العلم ولا يرغب فيه فاخبرتك انى سأعمل الحيلة فى ذلك كما جعلت من الكرة مرآة مورية للاجسام قال فما بالك حين جعلتها لك فى الطشت وصببت عليها الماء جعلتها طافية على الماء قال الفيلسوف علمت أنك تريد أن الايام قد قصرت والاجل قريب ولا يدرك العلم الكثير فى المهل القليل فأخبرتك أنى سأعمل الحيلة فيـه في غير مدة طويلة كما جعلت هذه المرآة الراسبة فى الماء طافية عليه فى أسرع وقت قال فأخبرنى حين ملأت لك الاناء ترابا لِمَ رددته اليَّ ولم تحدث فيه شيئاً قال علمت أنك تقول ثم الموت وأنه لابد منه فأخبرتك

أنه لاحيلة فى ذلك قال الاسكندر قد أجبتنى عن مرادى في جميع ذلك فلأحسنن الي الهند من أجلك وأمر له بجوائز كثيرة فقال له الفيلسوف لو أحببت المال لما كنت عالماً ولست أدخل على علمي مايضاده فان القنية توجب الخدمة وقد ملكت أيها الملك الحكيم بسيفك أجسام رعيتك فاملك قلوبهم باحسانك فهو خزانة سلطانك فانك بها اذا قدرت أن تقول قدرت أن تفعل فاحترز من أن تقول تأمن من أن تفعل فالملك السعيد من ملك الرعية بالرغبة والرهبة وأشبه الاشياء من أفعال الناس بأفعال بارئهم الاحسان فخيره الاسكندر بين المقام عنده والانصراف الى بلده فاختار الرجوع الى موطنه ـ وأما القدح فملأه ماء ثم أورد عليه الناس فلم ينقص شربهم منه شيئاً فيقال إنه كان معمولا من خواص الهندسة الروحانية مما تدعيه الهند ويقال انه كان لآدم أبى البشر عليه الصلاة والسلام بورك له فيه حين كان بأرض (سرنديب) من أرض الهند فورث عنه الي أن انتهى الي هذا الملك الهندى ـ وأما الطبيب فانه كان له معه مناظرات فى صنعته دلت على ثبوت قدمه فى علمه وانه كما وصفه صاحبه أوكاد والله أعلم

(واسترجعت من بنى ساسان ما وهبت (١)
ولم تدع لبنى يونان من أثر)

---

(١) يعنى ان الليالى استردت من دولة الاكاسرة ما آتتهم اياه من ملك

بنو ساسان هم الفرس الأواخر وأبوهم الذى ينتسبون اليه ساسان الاصغر وهو (ازدشير) بن بابك بن زراد بن افريدون بن ساسان الأكبر * وقيل هو ساسان الأصغر بن بابك بن ساسان الأكبر * وأول ملك ملك منهم هو ازدشير المذكور بن بابك ابن ساسان وعدد ملوك الساسانية من ازدشير الذى جمع ملكهم بعد تفرّقه الى يزدجرد بن شهريار المقتول فى زمان عثمان بن عفان ثلاثون ملكا فيهم امرأتان * وقيل اثنان وثلاثون ملكا وسأذكر أسماءهم وكم من المدة ملك كل واحد منهم ـ وأذكر ما يتاح لى ذكره مما جرى فى أيامهم من مستغربات الامور المعروفة الاوقات ومن مشهوراتها التى علم ميقاتها والتى لم يعلم فى أى المواقيت كانت * فأول ملوكهم على ما قلنا ازدشير بن بابك بن ساسان وبين ازدشير هذا وبين الهجرة أربعمائة وأربعون سنة وكان أحد ملوك الطوائف الذين كانوا بين الفرس الاوائل والفرس الاواخر مستولياً على اصطخر كما أن كل ملك من هؤلاء تغلب على ناحية وأراد الملك لنفسه ـ وسبب ذلك ان الاسكندر لما

وسلطنة وثلت عرشهم وانتزعت تاجهم ـ وكذلك درجت على هذا المنهاج مع ملوك اليونان فبعدان خولتهم ماخولتهم وتغافلت عنهم اياما وهادنتهم صروفها وسالمتهم خطوبها ردحة من الدهر عطفت عليهم عطفة الحنق المغتاظ . واستردت ما اعارتهم وابادتهم فلم تبق منهم بقية وهذا دأبها كلما آتت اناسا رجعت عليهم فرمتهم بسهام غيرها وغالتهم باغوالها ولحظتهم بلحواظ محنها وصرعتهم بشوائب حدثانها *

غلب على دارا بن دارا وتفرق ملك فارس كتب الى معلمه ارسطاطاليس يستشيره فى أمر الفرس فقال له (وَلِّ كل رجل من أكابرهم على جهة فانهم يتنافسون الملك ولا يجتمعون على ملك واحد فمتى خالفك واحد منهم كانت مؤونته عليك خفيفة) فلم يزالوا كذلك أربعمائة سنة لم يجمعهم ملك واحد * فلما قام أزدشير بأمرهم بعد أن كابد معهم مشقة شديدة قال :

(إن كلمة فرّقتنا أربعمائة سنة لكلمة مشئومة) يعنى كلمة ارسطاطاليس وكان أعظم ملوك الطوائف ملوك الاشغانية ويقال لهم الاشكانية ولما ظهر أمر ازدشير وتقوّى كتب الى ملوك الطوائف يدعوهم الى الاجتماع اليه هذا

(بسم الله ولى الرحمة من أزدشير ملك الملوك المستأثر دونه من دولته بحقه المغلوب على تراث آبائه الداعى الى قوام دين الله وسنته المستنصر بالله الذى وعد المحقين بالفلاح وجعل لهم العواقب الى من بلغه كتابى هذا من ملوك الطوائف * سلام عليكم بقدر ماتستوجبون بمعرفة الحق وانكار الباطل والجوز) فمنهم من أقر له بالطاعة ومنهم من تربص حتى قدم عليه ومنهم من عصاه فكانت عاقبة أمره الى القتل والهلاك حتى استوثق له الامر * ومن جملة من تأبى عليه الاشكانية فأقسم أن لا يبقى منهم ان غلب عليهم رجلا ولا امرأة * فلما غلب عليهم

لم ينج منهم الا من أخفى نفسه ونسبه وكان قد أخذ فى جملة من أخذه منهم ابنة ملكهم وكانت ذات حسن بارع وعقل فائق فلما وقعت عينه عليها قال لها أنت من بنات ملوكهم فقالت لا بل من خدمهم فاصطفاها لنفسه فحملت منه فلما علمت بالحمل شهرت نفسها وقالت انى ابنـة ملكهم فأمر شيخاً من رجاله يقال له (هرجيد) أن يودعها بطن الارض اشارة الى قتلها فلما ذهب بها وأراد تنفيذ الامر قالت له انى حبلى من الملك فلا تبطل زرع الملك فأخذها وحفر لها سرباً تحت الارض جعلها فيه ثم عمد الى مذاكيره فجبها ووضـعها فى حق ختم عليه ورجع الى الملك قائلا قد أودعتها بطن الارض ودفع اليـه الحق وقال ان فيه وديعة وأرغب الى الملك أن يرفعها فى خزانة الملك وأقامت الجارية فى ذلك السرب الى أن وضعت غلاماً فسماه الشيخ (شاه بور) أى ولد الملك فسماه الناس (سابور) وبقى ازدشير دهراً طويلا لا يولد له فرآه الشيخ يوماً حزيناً فقال له وكان خاصاً به سرك الله أيها الملك وعمرك ماهذا الحزن فقال من أجل أنه ليس لي ولد يرث ملكى فقال له الشيخ أيها الملك ان لك عندى ولداً طيباً فادع بالحق فدعا به ففض ختمه فاذا فيه مذاكير الشيخ وكتاب سطر فيه إنه لما أمرنى الملك بقتل المرأة الاشكانية التى علقت منه لم أر أن أبطل زرع الملك الطيب فأودعتها بطن الارض

كما أمرني وتبرأت اليه من نفسي لئلا يجد عائب الى عيبنا سبيلا فسر ازدشير بذلك سروراً عظيما وأمر الشيخ أن يجعل الغلام بين مائة غلام من أشباهه فى الهيئة ثم يدخلهم عليه ففعل ذلك فعرفه ازدشير من بينهم وقبلته نفسه ثم أمرهم أن يلعبوا فى حجرة الايوان بالصوالج فدخلت الكرة الايوان فأحجم الغلمان عن دخوله وأقدم الغلام من بينهم فدخل فأمر ازدشير عند ذلك بعقد التاج على رأسه — وكان لسان الفرس الاول (الفهلوية) وهى من اللغات التي لم يبق لها مترجم وكان ازدشير من أهل العقول والمعرفة وله أشياء رتبها اقتدى به فيها من جاء بعده من الملوك الأكابر وكان قد رتب أصحابه على ثلاث طبقات (الطبقة الاولى) على نحو عشرة أذرع مجلسهم من مجلسه وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه (والطبقة الثانية) على نحو عشرة أذرع من هؤلاء وهم وجوه المرازبة وملوك الكور (والطبقة الثالثة) على مقدار عشرة أذرع من الثانية وكان يقول ما من شيء أضرّ على نفس مليك أو رئيس أو ذى معرفة صحيحة من معاشرة سخيف أو مخالطة وضيع لانه كما أن النفس تصلح على مخالطة الشريف الأديب الحسيب كذلك تفسد بمعاشرة الخسيس حتى يقدح ذلك فيها كما أن الريح اذا مرّت بالطيب حملت طيباً تحيا به النفس وتقوى جوارحها كذلك اذا مرّت بالنتن تألمت له النفس وأضر بها

اضراراً تاماً والفساد أسرع اليها من الصلاح اذ كان الهدم أيسر من البناء ـ ومما حفظ من وصية ازدشير لابنه سابور عند نصبه اياه للملك قوله له (يابني ان الدين والملك اخوان لا غنى لواحد منهما عن صاحبه فالدين أس الملك والملك حارسه وما لم يكن له أس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع) ومما حفظ من مكاتباته (من ازدشير ملك الملوك الى الكتاب الذين بهم تدبير المملكة والفقهاء الذين هم عماد الدين والاساورة الذين هم حماة الحرب والحراث الذين هم عماد الارض * سلام عليكم نحن كاتبون اليكم بوصية فاحفظوها لا تستشعروا الحقد فيدهمكم العدو ولا تحبوا الاحتكار فيشملكم القحط وكونوا لأبناء السبيل مأوى تؤووا غداً فى المعاد ـ وتزوجوا فى الاقارب فانه أمس للرحم وأقرب للنسب ولا تركنوا الى الدنيا فانها لا تدوم لاحد ولا تهتموا لها فلن يكون الاماشاءالله ولا ترفضوها فان الآخرة لا تنال الابها) وكان مدة ملكه أربع عشرة سنة وستة أشهر ثم ملك بعده ابنه سابور بن ازدشير وفى أيامه ظهر مانى بن بربك تلميذ فاردون وقال بالاثنين فرجع سابور الى مذهب مانى والقول باله النور واله الظلمة ثم عاد الى دين المجوسية وترك المانوية وكان ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة وقيل احدى وثلاثين سنة ونصفاً وثمانية عشر يوماً ثم ملك بعده ابنه (هرمز) وهو الذى يقال له هرمز

البطل وكان ملـكه سنة وقيل سنة وعشرة أشهر ثم ملك بعده ابنه (بهرام) ثلاث سنين ويقال انه أتاه مانى فعرض عليه مذهب الثنوية فأجابه فى ذلك احتيالا منه عليه الى أن أحضر له دعاته المتفرقين فى البلاد الذين يدعون الناس الى مذهب الثنوية فقتلهم وفى أيام مانى هذا ظهر اسم أول الزنادقة الذين أضيفت اليهم الزندقة وذلك ان الفرس كان لهم كتاب يسمى (أويستا) وله شرح يسمونه (الزند) وكان كل من أتاهم بزيادة على مافى كتابهم سموه (زيندين) ـ فلما أن جاءت العرب أخذت هذا الاسم من الفرس فعربته وقالت (زينديق) فالثنوية (المانوية) هم الزنادقة وألحق به هذا الاسم سائر من اعتقد القدم فى العالم وأبى حدوثه وأنكر البعث ـ وكان الذى أتاهم بهذا الكتاب المذكور (زرادشت) الذى تزعم الفرس أنه نبيها المرسل اليها وكان زرادشت هذا فى زمن الفرس الأوائل قبل دارا بن دارا الذى هو آخر ملك من أولئك الفرس بنحو المائتين من السنين ففى ذلك الزمن قام زرادشت بين الفرس وادعى النبوة وجاء اليهم بكتاب زعم أنه أنزل عليه من السماء وكتبه بماء الذهب فى ألف جلد رق وجعل كلامه فيه يدور على نيف وسبعين حرفاً فلم يقدر أحد منهم على قراءته فاختصره لهم وسمى مختصره (الزند) فساروا بذلك مدة الى أن قام مانى بن بربك بدين الثنوية فسمته،

المجوس زنديقاً وسمت أصحابه الزنادقة اذ زاد فى شرعهم الذي شرعه لهم زرادشت فقتل بهرام هذا مانيا وصلبه على باب مدينة من مدن العراق ويدعى ذلك الباب الى الآن بباب مانى * ثم ملك بعده (بهرام) بن بهرام وكان ملكه سبع عشرة سنة وأقبل فى أول ملكه على القصف واللهو واللذات والنزه والصيد لا يفكر فى ملكه ولا فى رعيته حتى خربت البلاد فى أيامه وقلت العمارة واضمحلت بيوت المال فلما أن كان فى بعض الايام ركب الى بعض منتزهاته وصيده فجنه الليل وهو يسير نحو المدائن وكانت ليلة مقمرة فدعا (بالموبذ) والموبذ عند المجوس كالربّى عند اليهود والقسيس عند النصارى وذلك لامر خطر بباله فجعل يحادثه حتى توسطوا فى مسيرهم بين خرابات كانت من أمهات الضياع وقد خربت مع ما خرب فى أيامه فلا أنيس بها الا البوم وبينما هم كذلك واذا ببوم يصيح وآخر يجاوبه من بعض تلك الخرابات فقال الملك أترى أحدا من الناس أعطي فهم ما يقول هذا الطائر المصوت فى هذا الليل فقال له الموبذ أيها الملك أنا ممن خصه الله بذلك فقال له فماذا يقول هذا الطائر وما الذى يقول الطائر الآخر فقال الموبذ هذا بوم ذكر يخاطب بومة انثى ويقول لها متعينى بنفسك حتى يخرج منا أولاد يسبحون الله ويبقى لنا فى هذا العالم عقب يكثرون الترحم علينا فأجابته البومة ان الذى دعوتنى

اليه لى فيه الحظ الأكبر والنصيب الاوفر فى العاجل والآجل الا أنى أشترط عليك خصالا ان أنت أعطيتنيها أجبتك الى ذلك فقال لها الذكر وما تطلبينه منى قالت أن تعطينى من خرابات أمهات الضياع عشرين قرية مما خرب فى أيام هذا الملك السعيد فقال له الملك فما الذى قال لها الذكر فقال الموبذ كان من قوله لها ان دامت أيام هذا الملك السعيد أقطعتك منها ألف قرية خراب فما تصنعين بها قالت فى اجتماعنا ظهور النسل وكثرة الولد فنقطع لكل ولد من أولادنا ضيعة من هذه الخرابات فقال لها الذكر هذا أسهل أمر سألتنى اياه وأنا مَلِئٌ بذلك ما حيّ هذا الملك * فلما سمع الملك الكلام من الموبذ عَلِم فى نفسه واستيقظ من نومه وفكر فيما خوطب به فنزل من ساعته ونزل الناس بنزوله وخلا بالموبذ فقال أيها القائم بأمر الدين والناصح للملك والمنبه على ما اغفله من أمور ملكه واضاعة بلاده ورعيته ما هذا الكلام الذى خاطبتنى به فقد حركت منى ما كان ساكناً فقال الموبذ صادفت من الملك السعيد حدة وقت سعد البلاد والعباد فجعلت الكلام مثلا موقظاً على لسان الطائر عند سؤال الملك إياى عما سأل فقال له الملك أيها الناصح اكشف لى عن هذا الغرض فقال أيها الملك إن الملك لا يتم الا بالشريعة والقيام لله بطاعته ولا قوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال

الا بالمال ولا سبيل للمال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل هو الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب جل وعلا وجعل له قيما وهو الملك قال أما ماوصفت فحق فأبن لى عما اليه تقصد واوضح لى فى البيان قال نعم أيها الملك عمدت الى الضياع فاقطعتها الخدم واهل البطالة فعمدوا الى ما تعجل من غلاتها فاستعجلوا المنفعة وتركوا العمارة والنظر فى العواقب وما يصلح الضياع وسومحوا فى الخراج لقربهم من الملك ووقع الحيف على الرعية وعمار الضياع فانجلوا عن ضياعهم وقلت الاموال وهلكت الجنود والرعية وطمع فى ملك فارس من أطاف بهـا من الملوك والامم لعلمهم بانقطاع المواد التى بسببها تستقيم دعائم الملك ـ فلما سمع الملك ذلك أقام فى موضعه ثلاثة أيام وأحضر الوزراء والكتاب وأرباب الدواوين فانتزعت الضياع من أيدى الخاصـة والحاشية وردت الى أربابها وحملوا على رسومهم السالفة وأخذوا بالعمارة وقوى من ضعف منهم فعمرت البلاد بذلك وأخصبت وكثرت الاموال عند الجباه وقويت الجنود وانقطعت مواد الاعداء واقبل الملك يباشر الامور بنفسه فحسنت سيرته وانتظم ملكه حتى كانت أيامه تدعى بعيد الاعياد مما عم الناس من الخصب وشملهم من العدل * ثم ملك بعده ابنه بهرام بن بهرام بن بهرام المعروف بالبطل فكان ملكه أربعة أشهر وهو الذى يقال له (شاهنشاه)

ثم ملك بعده ابنه (برشى) بن بهرام تسع سنين وقيل سبع سنين وخمسة أشهر ـ وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى عن عم كسرى أن كل من تقدم من هذه الملوك كان ينزل جند سابور من بلاد خورستان ثم ملك بعده ابنه هرمز بن برشى وكان ملكه سبع سنين وخمسة أشهر ـ ثم ملك بعده ابنه (سابور) بن هرمز وهو ذو الاكتاف وكان ملكه الى أن هلك اثنين وسبعين سنة وكان خلفه والده حملا فغلبت العرب على سواد العراق وقام الوزراء بامر التدبير وكان من جملة العرب الذين غلبوا على العراق ولد إياد ابن نزار وكان يقال لها طبق لاطباقها على البلاد وملكها يومئذ الحارث بن الاعز الايادى ـ فلما بلغ سابور من السن سبع عشرة سنة أعد أساورته للخروج اليهم والايقاع بهم وكانت اياد تصيّف بالجزيرة وتشتّى بالعراق وكان في جيش سابور رجل منهم يقال له لقيط فكتب الى اياد شعراً ينذرهم به ويعلمهم خبر من يقصدهم فقال :

سلام فى الصحيفة من لقيط * على من بالجزيرة من اياد
فان الليث يأتيكم دلاذاً * فلا يحبسكم سوق النقاد
أتاكم منهم سبعون الفاً * يزجون الكتائب كالجراد

فلم يعبئوا بكتابه وسراياهم تغزوا العراق وتغير على السواد فلما تجهز القوم نحوهم أعاد لقيط اليهم كتاباً يخبرهم فيه أن القوم

قد عسكروا وحشدوا لهم وأنهم سائرون اليهم وكتب اليهم شعرا فقال

ابلغ ايادا وخلل فى سراتهم
أنى أرى الرأى ان لم أعص قد نصعا

الا تخافون قوما لا أبا لكم * مشوا اليكم كأمثال الدبا سرعا
فقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

فاوقع بهم سابور وعمهم بالقتل وما أفلت منهم الا نفر لحقوا بارض الروم وخلع اكتاف كثير منهم فسمى لذلك سابور (ذا الاكتاف) وقد كان سابور فى مسيره فى البلاد أتى على بلاد البحرين وفيها يومئذ بنو تميم فامعن فى قتلهم وهرب بنو تميم وشيخها يومئذ عمرو بن تميم بن مرة وله من العمر يومئذ ثلثمائة سنة وكان يعلق بعمود البيت فى قفة قد أعدت له فأرادوا حمله فأبى عليهم الا أن يتركوه فى بلادهم وقال انى هالك اليوم أو غدا وماذا بقى من عمرى ولعل الله ينجيكم من سطوة هذا الملك المسلط على العرب فتركوه ومضوا فلما أصبحت خيل سابور الديار الفوها خالية فلما سمع عمرو صهيل الخيل جعل يصيح بصوت ضعيف فأخذ وجئ به الى سابور — فلما وضع بين يديه نظر الى دلائل الهرم ومرور الايام عليه فقال له سابور من أنت أيها الفانى قال أنا عمرو بن تميم ابن مرة وقد بلغت من الكبر ما ترى وقد هرب الناس منك

لاسرافك فى القتل وآثرت الفناء على يديك لبقاء من مضى من
قومي ولعل الله تعالى يجرى على يديك فرجهم وأنا سائلك عن أمر
ان اذنت لى فيـه فقال له سابور قل يُسمع فقال الشيخ ما الذى
حملك على قتل رعيتك ورجال العرب فقال سابور اقتلهم لمـا
ارتكبوا من بلادى وأهل مملكتى قال عمرو فعلوا ذلك ولست
عليهم بقيم — فلماملكتهم وقفوا عما كانوا عليه من الفساد هيبة لك
قال سابور اقتلهم لانا نجد فى مخزون علمنا وما سلف من أنباء أوائلنا
ان العرب ستدال علينا فقال عمرو هذا أمر تظنه أم تحققه قال
بل أتحققه ولا بد أن يكون قال عمرو فلم تسئ اليهـا والله لان
تبقى على العرب وتحسن اليها ليكافئونّ قومك عند ادالة الدولة لهم
باحسانك اليهم وان أنت طالت بك المدة كافئوك عنـد مصير
الامور اليهم ان كان هـذا حقاً وان كان باطلا فلم تتعجل
الاثم وتسفك دماء رعيتك قال سابور الامر صحيح والرأى
ما قلت فلقد صـدقت فى القول ونصحت فنادى منادى
سابور بامان الناس ورفع السيف — ويقال ان عمراً بقى بعد ذلك
ثمانين سنة ثم سار سابور الى ارض الروم ففتح المدن وقتـل
خلائق من الروم وقال لمن معه انى أريد ان أدخل بلاد الروم
متنكرا لأتعرف أخبارهم وسيرهم وممالك بلادهم فاذا بلغت من
ذلك حاجتى انصرفت الي بلادى وصرت اليهم بالجنود فحذروه

التغرير بنفسه فلم يقبل قولهم وسار متنكرا الى القسطنطينية فصادف وليمة لقيصر وقد اجتمع فيها الخاص والعام فدخل فى جملتهم وجلس على بعض موائدهم وقد كان قيصر أمر مصورا أتى عسكر سابور فصوره ـ فلما جاء قيصر بالصورة امر بها فصورت على آنية الشراب من الذهب والفضة واتي من كان على المائدة التى كان عليها سابور بكأس فنظر بعض الخدم الى الصورة التى كانت على الكاس وسابور مقابل لهم على المائدة فعجب من اتفاق الصورتين وتقارب الشخصين فقام الى الملك فأخبره فمثل بين يدى الملك فسأله عن خبره فقال انا من اساورة سابور وهربت منه لامر خفته منه فلم يقبلوا ذلك منه وقدم الى السيف فأقر بنفسه فجعل فى جلد بقرة وسار قيصر بجنوده حتى توسط العراق فافتتح المدن وشن الغارات وعقر النخل وانتهى الى مدينة سابور وقد تحصن بها وجوه الناس من فارس فنزل عليها وحضر عيد النصارى فأغفل الموكلون امر سابور وأخذ منهم الشراب وكان بالقرب من سابور اسارى من الفرس فراطنهم بالفارسية أن يحل بعضهم بعضا وشجعهم وأمرهم أن يصبوا عليه زقاق الزيت ففعلوا فلان عليه الجلد وتخلص واتى المدينة فراطنهم فعرفوه ورفعوه عندهم بالحبال ففتح أبواب خزائن السلاح وخرج على الروم وهم مطمئنون فكبس جيشهم عند

ضرب الناقوس فانهزم الروم وأتى بقيصر اسيرا فاستحياه وابقى عليه وضم اليه من أسر من أصحابه وأمرهم بغرس الزيتون بالعراق بدلا من النخل التى عقروها ولم يكن الزيتون قبل ذلك بالعراق وفى فعل سابور ذلك وتغريره بنفسه ودخوله الى ارض الروم يقول بعض المتقدمين (من شعراء الفرس)

وكان سابور صفوا فى ارومته ... اختير منها فأضحى غير مختار
اذ كان بالروم جاسوسا يجول بها ... حزم البرية من ذى كيد مكار
فاستأسروه وكانت كبوة عجبا ... وذلة سبقت من غير عثار
وأصبح الملك الرومي مقتربا ... أرض العراق على هول واخطار
فراطن الفرس بالابواب فاعترفوا ... كما تجاوب اسد الغار بالغار
فجذ بالسيف أهل الروم فامتحقوا ... لله درك من طلاب اوتار
اذ يغرسون من الزيتون ما عقروا ... من النخيل وما احفوا بمنشار

وهو سابور الذى بنى الايوان المعروف بايوان كسرى الى هذه الغاية * ويحكى ان الرشيد أراد هدم هذا الايوان فبعث الى يحيي بن برمك فشاوره فى ذلك وسيأتى الخبر ان شاء الله تعالى فى خبر يحيى بن برمك - ثم ملك بعده اخوه (ازدشير) ابن هرمز فكان ملكه الى ان خلع أربع سنين ثم ملك بعده سابور بن سابور خمس سنين وأربعة اشهر وكانت له حروب كثيرة مع إياد بن نزار وغيرها من العرب وفيها يقول شاعر اياد

على رغم سابور بن سابور أصبحت
قبابُ إياد حولها الخيل والنعم

ثم ملك بعده ابنه بهرام بن سابور الذى يدعى (شاهنشاه) وكان ملكه عشر سنين وقيل إحدى عشر سنة – ثم ملك بعده (يزدجرد) وهو المعروف بالأثيم فكان ملكه الى ان هلك احدى عشرة سنة وخمسة اشهر وثمانية وعشرين يوما وقيل اثنتين وعشرين سنة غير شهرين وكان فظا خشن الجانب شديد الكبر فاجتمعوا ودعوا الله عليه وسألوه تعجيل الفرج لهم منه فذكر انهم رأوا فرسا اقبل حتى وقف على بابه فطاف الناس به متعجبين من حسنه فأخبروه بذلك الفرس فقام ينظر اليه فأعجبه فأمر باسراجه والجامه فلما أسرج مسح وجهه وناصيته واستدار حوله فركضه الفرس ركضة أصاب بها كبده فقتله ثم ملأ الفرس فروجه فلم يدرك ثم ملك بعده بهرام بن يزدجرد المعروف (بهرام جور) فكان ملكه ثلاثاً وعشرين سنة وقيل تسع عشرة سنة وملك وهو ابن عشرين سنة وغاص هو وفرسه فى حمأة في بعض ايام صيده فجزعت عليه فارس لما كان عمها من عدله وشملها من احسانه ورأفته برعيته وكان من أهل الشدة والبأس على اعدائه ويقال انه دخل ارض الهند متنكرا فمكث بها حينا لا يعرف حتى بلغه ان فيلا هائجا بموضع

قد قطع السبيل وأهلك الناس فسألهم (بهرام جور) ان يدلوه عليه فرفع امره الى الملك فأرسل معه رسولا فلما انتهى اليه وقف الرسول على شجرة لينظر مايصنع بهرام مع الفيل فصرخ بهرام بالفيل صرخة عظيمة فخرج اليه الفيل فجعل بهرام يرميه ويثبت النشاب بين عينيه ثم دنا وأخذ بمشفره وجذبه جذبة خر منها الفيل صريعا ثم اجتز رأسه وأقبل به الى الملك فحياه الملك واجتباه وأحسن اليه ثم ان ملكا من اعداء ذلك الملك اقبل نحو ديار الملك الذى كان بهرام عنده فجزع ذلك الملك من كثرة جنود الملك الآتى نحوه فقال بهرام لايهولنك أمره فركب بهرام وقال لاساورة الهند احرسوا ظهرى ثم انظروا الى عملى وكانوا قوما لايحسنون الرمي واكثرهم رجالة فحمل عليهم حملة هدتهم ثم جعل يضرب الرجل فيقطعه نصفين ويأتى الفيل فيضرب مشفره فيكبه ويتناول من عليه فيقتله ويأخذ الفارس من سرجه ثم يذبحه على قربوس سرجه ويتناول الرجلين فيضرب بأحدهما الآخر فيموتان معاً ويرمى فلا تقع له نشابة فى الأرض فولوا امامه منهزمين وحمل اصحابه الذين كانوا يحرسون ظهره عليهم فأكثروا القتل فيهم فأنكحه ملك الهند ابنته — واسم هذا الملك الهندى (شبرمة) ونحله (الديبل ومكران) ومايليهما من أرض السند واشهد له بذلك ثم انصرف بهرام الى مملكته ولم يزل

تحمل اليه اموال تلك البلاد ـ ثم انه سار نحوه ملك الترك بجنود عظيمة فهزمه بهرام في جمع يسير من قومه وأخذه اسيرا وكان نشو بهرام مع العرب وكان يقول الشعر بالعربية ويتكلم بلغات كثيرة وكان على خاتمه مكتوبا (بالافعال تعظم الأخطار)

ومما حفظ من شعر (بهرام جور) يوم ظفره بخاقان ملك الترك حين أخذه أسيراً ثم قتله

أقول له لما فضضت جموعه * كأنك لم تسمع بصولات بهرام
وأني حامي ملك فارس كلها * وما خير ملك لا يكون له حامي

ومن قوله أيضاً *

لقد علم الانام بكل أرض * بان الترك قد أضحوا الى عبيدا
ملكت ملوكهم وقهرت منهم * عزيزهم المسود والمسودا
فتلك أسودهم تبغي حذارى * وترهب من مخافتي الورودا
وكنت اذا تشاوس ملك أرض * عبأت له الكتائب والجنودا
فيعطيني المقادة أو أوافى * به يشكو السلاسل والقيودا

ثم ملك بعده ابنه (يزدجرد) وكان ملكه تسع عشرة سنة وقيل ثماني عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوماً وأحضر حين ملك رجلا من حكماء عصره كان عنده آخذاً من أخلاقه ومقتبساً للرأى منه ليسوس به رعيته فقال له أيها الفاضل ما صلاح الملك قال الرفق بالرعية وأخذ الحق منهم بغير مشقة والتودد اليهم

بالعدل والاحسان وأمن السبيل وانصاف المظلوم من الظالم قال فما صلاح أمر الملك قال وزراؤه وأعوانه ان صلحوا صلح وان فسدوا فسد قال يزدجرد ان الناس قد أكثروا فى أسباب الفتن فصف لى ما الذى يسكنها ويدفعها قال الحكيم يشبّها ضغائن ويحييها جرأة عامة ويولدها استخفاف خاصة ويؤكدها انبساط الالسن بضمائر القلوب واشفاق موسر وأمل معسر وغفلة ملتذّ ويقظة محروم * وأما الذى يسكنها فاخذ العدة لما يخاف قبل حلوله وايثار الجد حين يلتذ الهزل والعمل بالحزم فى الغضب والرضا ثم هلك وتنازع الملك بعده إبناه (فيروز وهرمز) فقتل فيروز هرمز فملك فيروز بن يزدجرد بعد قتله لاخيه هرمز - ثم إنه غزا (خنشاور) ملك الهياطلة وهم الصغد بين بخارى وسمرقند فاحتال عليه ملك الهياطلة حتى أخذه أسيرا ثم عاهده على أن يخلّى سبيله ولا يغزوه بعد ذلك ففعل - فلما رجع الى ملكه أخذته الحمية فغزاه ثانية فظفر به مرة أخرى فقتله وكان ملكه سبعاً وعشرين سنة وتنازع الملك بعده ابناه (قباذ وبلاش) فغلب بلاش على أخيه فهرب قباذ الى خراسان ليطلب من ملك الترك أن يعينه على أخيه ثم ملك بلاش وكان حسن السيرة الى أن هلك وكان ملكه أربع سنين وكان قباذ لما سار الى خاقان ليستمده على أخيه قد مطله فى ذلك أربع سنين ثم وجه معه جيشاً فلما قدم المدائن

ألفى أخاه قد مات فملك عليهم وفى أيامه ظهر (مزدق الزنديق) وتفسير مزدق جديد الملك وإليه تضاف المزدقية وكان ملكه الى أن هلك ثلاثا وأربعين سنة وكان ضعيفاً فى ملكه مهيناً ولما قدم مزدق فى أيامه قال ان الله قد جعل الارض للعباد بالسوية فتظالم الناس واستأثر بعضهم على بعض وانضم الى مزدق جماعة وقالوا نحن نقسم بين الناس ونرد على الفقراء حقوقهم من الاغنياء فكانوا يدخلون على الرجل فيغلبون على أمواله ونسائه فوثب رجل من الاشراف يعرف بابن ساجور فى جماعة من أصحابه على مزدق فقتله وعاد قباذ الى ما كان عليه من ملكه ثم سُمى بقاتل مزدق الى قباذ فقتله فانتثر أمره وأدبر ولم تبق ناحية الا خرج عليه فيها خارج ثم هلك على ذلك ثم ملك بعده (كسرى أنوشروان) ابنه فأعاد الامور الى أحوالها ونفى رؤوس المزادقة وعمل بسيرة ازدشير وكان ملكه ثمانياً وأربعين سنة — وقيل سبعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر وهو الذى بنى الايوان وسور الابواب وجعل مبدأ السور من جوف البحر مقدار ميل وبناه على الزقاق بلبن الحديد والرصاص فكلما ارتفع البناء نزلت الى أن استقرت فى قرار البحر وارتفع السور على الماء فغاصت الرجال حينئذ بالخناجر والسكاكين الى تلك الزقاق فشقتها وتمكن السور على وجه الارض فى قعر البحر * وذكر المسعودى ان هذا السور

كان باقياً سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة ويسمى هذا السور الذى فى البحر (القيد) وجعل هذا السور فى البر على جبل الفتح أربعين فرسخاً حتى انتهى الى طبرستان وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا السور باباً من حديد وأسكن من داخله أمة من الناس تراعى ذلك الباب وما يليه من السور وذلك لدفع الامم المتصلة بذلك الجبل وهم أنواع من الامم منهم (الخزر واللان والترك والترغر) وغيرهم * ولما بنى أنو شروان هذا السور هابته الملوك وراسلته وهادته فكان فيمن ورد عليه رسول قيصر ملك الروم بهدايا وتحف وألطاف فنظر الى إيوانه وحسن بنائه فرأى فيه اعوجاجاً فى ميدانه فقال كان يحتاج هذا الصحن أن يكون مربعاً فقيل له ان عجوزاً لها منزل فى جانب الاعوجاج وان الملك راودها على بيعه وأرغبها فى الثمن فأبت فلم ير إكراهها على ذلك وبقى الاعوجاج من ذلك على ما ترى * فقال الرومى هذا الاعوجاج أحسن من الاستواء * وكتب اليه ملك الصين من يعفور ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر الذى يجرى فى قصره نهران يسقيان العود والكافور والذى يوجد أنحته من فرسخين والذى تخدمه بنات ألف ملك والذى في مربطه ألف فيل أبيض الى أخيه كسرى أنو شروان - وأهدى اليه فارساً من در منضد عينا الفارس والفرس من الياقوت الاحمر وقوائم سيفه من سفن نابت

منضد بالجوهر وثوب حرير صينياً عشرياً فيه صورة الملك على إيوانه وعليه حلته وتاجه وعلى رأسه الخدم بأيديهم المذاب المصورة منسوجة بالذهب وأرض الثوب لازوردى فى سفط من ذهب تحمله جارية تغيب في شعرها تتلألأ جمالا وغير ذلك مما تهديه الملوك الى أمثالها * وكتب اليه ملك الهند — من ملك الهند وعظيم ملوك المشرق وصاحب قصر الذهب وإيوان الياقوت والدر الى أخيه كسرى أنوشروان ملك فارس صاحب التاج والراية وأهدي اليه ألف مَن من العود الذى يذوب فى النار كما يذوب الشمع ويختم عليه كما يختم على الشمع وجاماً من الياقوت الأحمر فتحه شبر مملوءاً دراً وعشرة أمنان كافوركالفستق وأكبر من ذلك وجارية طولها سبعة أذرع تضرب أشفار عينيها الى وجنتيها وكأن بين أجفانها لمعان البرق مع إتقان شكلها مقرونة الحاجبين لها ضفائر شعر تجرها وفراشاً من جلود الحيات ألين من الحرير وأحسن من الوشى وكان كتابه اليه من لحا الشجر المعروف بالكاذى مكتوب بالذهب الاحمر وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين وهو نوع من النبات عجيب ذو لون حسن وريح طيبة تتكاتب فيه ملوك الصين والهند * وكتب اليه ملك التبت من ملك التبتان ومشارق الارض المتاخمة للصين والهند الى أخيه المحمود السيرة والقدر ملك المملكة المتوسطة في الاقاليم

السبعة أنو شروان وأهدى اليه أنواعاً مما يحمل من عجائب أرض تبت منها مائة جوشن تبتية مذهبة وأربعة آلاف مَن من المسك التبتي في نوافج غزلانية وأتى اليه سيف بن ذى يزن يستنصره على الحبشة فبعث اليه قائداً من قواده في جند من الديلم وكان يسمى كسرى الخير — ثم ملك بعده هرمز ابنه وأمه فاقم ابنة خاقان ملك الترك وقيل بل ملك من ملوك الخزر وكان ملكه اثنتى عشرة سنة ثم سملت عيناه وهذا أول ملك سملت عيناه ثم ملك بعده ابنه (برويز) ويعرف بكسرى وطالت مدته حتى ضجر الناس منه فخلعوه بعد ثمان وثلاثين سنة من ملكه وكان وزيره القائم بأمره بزرجمهر الحكيم — ولبزرجمهر هذا فضائل وحكم ومواعظ وكلام كثير فى أيدى الناس ويقال إن بزرجمهر هذا إنما كان وزيراً لكسرى أنو شروان وهو الذى قتله وذلك ان بزرجمهر ترك دين المجوسية ورجع الى دين عيسى عليه السلام فقتله كسرى لذلك ويقال إنه وجد فى منطقته كتاب فيه (اذا كان القدر حقاً فالحرص باطل — واذا كان الغدر فى الناس طباعاً فالثقة بكل أحد عجز — واذا كان الموت نازلا بكل أحد فالطمأنينة الى الدنيا حمق) وكان بزرجمهر هذا لما بلغ خمس عشرة سنة دخل على كسرى وقد جلست الوزراء على كراسيها والمرازبة فى مجالسها فوقف وحيا الملك ثم قال (الحمد لله المأمول نعمه المرهوب نقمه

الدال عليه بالرغبة اليه المؤيد الملك بسعوده فى الفلك حين رفع
شأنه وعظم سلطانه وأنار به البلاد وأنعش به العباد وقسم به في
التقدير وجوه التدبير فرعى رعيته فضل نعمته وحماها الويلات
وأوردها المعشبات وزادها عن الآكلين وألفها بالرفق واللين
انعاماً من الله عليـه وتثبيتاً لما فى يديه وأسأله أن يبارك له فيما
آتاه ويخير له فيما استرعاه ويرفع قدره فى السماء ويسير ذكره
على وجه الماء حتى لا يبقى له بينهما مناوى ولا يوجد له فيهما
مساوى وأستوهب الله له حياة لا تنغيص فيها وقدرة لايحيد
أحد عنها وملكا لا بؤس فيه وعافية تديم له البقاء وتكثر له النماء
وعزاً يؤمنه من انقلاب رعية أو هجوم بلية فانه مؤتى الخير
ودافع الشر) فأمر الملك فحشى فمه بنفيس الجوهر ولم يمنعـه
حداثة سنه إن استوزره وقلده خيره وشره فـكان أول داخل
وآخر خارج وكان أبوه خامل القدر وضيع الحال مفهه المنطق
اسمه البختكان * وفي أيام (برويز) كانت حروب ذى قار وكانت
لتمام الاربعين من مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي رواية
أخرى أنها كانت بعد بدر باربعة أشهر ويقال انه خرج في بعض
أعياده وقد صفت له الجيوش وفيما صف له ألف فيل وقد
أحدقت بها خمسون ألف فارس دون الرجالة فلما أبصرته الفيلة
سجدت له فما رفعت رؤوسها وبسطها بخراطيمها حتى جذبت

بالحاجن وراطنها الفيالون بالهندية وهو الذى قتل النعمان بن المنذر وسيأتي خبره ثم خلع برويز وسملت عيناه وقتل وكانت له سيرة موصوفة بالحسن — ثم ملك بعده ابنه (قباذ) المعروف (بشيرويه) القابض على أبيه والقاتل له والفرس تسميه الغشوم وكان ملك شيرويه الى أن هلك سنة وستة أشهر وقيل أكثر وقيل أقل وأم شيرويه هذا ابنة قيصر وقتل شيرويه من اخوته ثمانية عشر وكان هلكه حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ثم ملك بعده ابنه ازدشير وهو ابن سبع عشرة سنة فسار اليه من انطاكيه (شهريار) فقتله فكان ملكه خمسة أشهر * ثم ملك بعده شهريار هذا نحواً من اربعين يوماً وقيل شهرين فاغتالته ابنة لكسرى برويز يقال لها (ازريدخت) فقتلته وقيل ان الذى ملك بعد شيرويه اسمه (حرهار) ولم يكن من بيت المملكة وان التي قتلته امرأة اسمها (بوران) ثم ملك كسرى ابن قباذ وكان ملكه ثلاثة اشهر ثم ملكت ابنة لكسرى برويز يقال لها (ازريدخت) فكان ملكها سنة وأربعة أشهر ثم ملك (فردادخش) ابن كسرى وهو طفل وكانت مدته شهراً * ثم ملك بعده (يزدجرد) بن شهريار بن كسرى بن برويز بن هرمز ابن أنوشروان بن بهرام بن يزدجرد بن سابور بن هرمز بن سابور بن ازدشير الذى هو أول ملك من ملوك الساسانية ويزدجرد

هذا آخر من ملك منهـم وكان ملكه الى أن قتل بمرو من بلاد خراسان عشرين سنة وذلك لتسع خلت من خلافة عثمان بن عفان وهي سنة احدى وثلاثين من الهجرة ـ واذقد أتممنا أخبار الفرس وذكرنا ملوكهم ومدة كل ملك منهم فلنذكر اليونانيين كما ذكرهم (أبو محمد) بعد الساسانية فى البيت وهو قوله *

(ولم تدع لبنى يونان من أثر)

وقد تنازع الناس فى اليونانيين فذهبت طائفة الى أنهـم ينتمون الى الروم ويضافون الى ولد اسحاق وقالت طائفة ان يونان هو ابن يافث بن نوح وقال آخرون انهم من ولد يافث الاصفر وذهب قوم الى أنهم من ولد (أراش) ابن ياران بن سام بن نوح وذهب آخرون الى أنهـم قبيل متقدم فى الزمن الاول * قال المسعودى وقد ذكر آخرون إن يونان أخ قحطان وإنه من ولد عابر بن شالخ وان أمره كان فى الانفصال عن ديار أخيـه وإنه خرج من أرض اليمن وكان يونان جباراً عظيما وسيما جسيما وكان جزل الرأى كبير الهمة عظيم القـدر وهكذا ذكر يعقوب بن اسحاق الكندى فى نسب يونان إنه أخ لقحطان وقـد رد عليه أبو العباس الناشي فى قصيدته التى رد على الكندى فيها يقول *

أبا يوسف انى نظرت فلم أجد * على الفحص رأيا منك صح ولا عقدا
وصرت حكيما عند قوم اذا امرؤ * بلاهم جميعاً لم يجد عندهم عهدا

أتقرن إلحادا بدين محمد * لقد جئت شيئاً يا أخا كندة إدا
وتخلط يونانا بقحطان ضـلة * لعمرى لقد باعدت بينهما جدا

ولما كثر ولد يونان خرج يطلب موضعاً يسكنه فأتى الى موضع من الغرب فأقام به هو ومن معه من ولده فكثر نسله الى أن أدركه الموت فجعل وصيته الى الاكبر من ولده واسمه (جرليوس) فقال له (انى راحل عنك وقد وليتك على اخوتك فعليك بالجود فانه قطب الملك ومفتاح السياسة وباب السيادة وكن حريصاً على اقتناء الرجال بالانعام عليهم تكن سيدا رشيدا وإياك والحيد عن الطريقة المثلى التى عليها ينبنى العقل فانه من تركها وقع فى المهالك) فلما مات يونان بقى ابنه بعده على مكانه وكثر نسلهم فغلبوا على ديار المغرب من بلاد الفرنجة والنوكرد وأجناس الامم من الصقالبة وغيرهم وذكر بطلميوس في كتابه ان أول ملك من ملوكهم اسمه (فيلبس) وتفسيره صاحب العرش. وقيل ان اسمه قافبص * وقيل فيلوقس وكان مدة ملكه سبع سنين ثم ملك بعده الاسكندر ابنه (١) وقد تقدم خبره وبعض ما كان له ثم ملك بعد الاسكندر بطلميوس (٢) وكان حكيما

(١) ذكر أبو الفدا ان بعد الاسكندر ملك بعض الشام والعراق (انطياخس). وملك مقدونية اخو الاسكندر المسمى باسم ابيه (فيلبس) وملك بلاد العجم ملوك الطوائف وملك مصر وبعض الشام والمغرب البطالسة وهم ملوك اليونان *
(٢) المسمي (سشوس) ابن لاغوس الملقب بالمنطقى *

حالما شابا مدبرا وكان ملكه أربع سنين وقيل بل كان ملكه عشرين سنة * وذكر ان هذا الملك أول من اقتنى البزاة ولعب بها وضراها وكان من قبله من الملوك لايلعب بها وبما أن الشيء يذكر بما يجانسه نقول قد قيل ان الازارقة من ملوك الاندلس أول من لعب بالشواهين - واختلف فى أول من لعب بالعقبان فقيل اليونانيون وقيل الروم * وأول من لعب بالصقور الحارث ابن معاوية بن ثور وهو أبو كندة * ثم ملك بعده بطلميوس الثانى الملقب (بفيلوذفوس)(١) ومعناه محب أخيه وكان ملكه ستاً وعشرين سنة * ثم ملك بعده بطليموس المسمى (فيلوبطور) (٢) ومعناه محب أبيه وكان ملكه سبع عشرة سنة * ثم ملك بعده بطلميوس صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطى أربعاً وعشرين سنة * ثم ملك بعده بطلميوس المسمى (فيلوميطور)(٣) ومعناه محب أمه خمساً وثلاثين سنة * ثم ملك بعده (بطلميوس)(٤)

---

(١) وهو الذى نقلت له التوراة من العبرانية الى اليونانية وهو الذى عتق اليهود الذين وجدهم أسرى *

(٢) فى ابي الفدا ان بطليموس الثالث هو المسمى (اوراخيطس) وان هذا الثالث ملك خمسا وعشرين سنة وفى ايامه ادى له ملك الشام الاتاوة *

(٣) فى ابى الفدا ان الذى قبل محب الام هو المسمى (فيفنوس) وانه الخامس الذى ملك اربعا وعشرين سنة فهل هو صاحب كتاب المجسطى ام لا يظر اه اع

(٤) فى ابى الفدا ان الذى بعد محب الاخ هو المسمى (اوراخيطس) الثانى وانه ملك تسعا وعشرين سنة *

الصانع سبعاً وعشرين سنة * ثم ملك بعده (بطلميوس)(١) الاسكندرانى اثنتى عشرة سنة * ثم ملك بعده (بطلميوس)(٢) الجديد ثمانى سنوات * ثم ملك بعده بطلميوس الجوال ثمانى سنوات * ثم ملك بعده (بطلميوس) (٣) الحدث ثلاثين سنة ولقب (بطلميوس) لملوك اليونان ككسرى للفرس وقيصر للروم وخاقان للترك والنجاشي للحبشة وطرخان للخزر وتبع لمن ملك الشحر واليمن وحضرموت وفرعون لمن ملك مصر والقيل لحمير ثم ملك بعد بطلميوس الحدث ابنته المسماة (قيلا بطره) (ه) وكانت حكيمة متفلسفة مكرمة للعلماء معظمة للحكماء ولها كتب مصنفه فى الطب والتربية وغيرهما مترجمة باسمها ومنسوبة اليها ولها خبر ظريف فى موتها وقتلها لنفسها وكان لها زوج يقال له (انطوقيوس) مشاركا لها فى ملك مقدونية وبلاد مصر فلما

---

(١) فى ابي الفدا ان الذى بعد (اوراخيطس) الثانى الذى ملك سبعا وعشرين سنة هو (سوطيرا) وأنه ملك ست عشرة سنة او لعله المسمى (اسكندروس) فلينظر

(٢) لعله (سيدبريطس) وفى أبى الفدا انه ملك تسع سنين *

(٣) لعله المسمى (دينوسيوس)

(ه) ترتيب البطالسة فى ابى الفدا هكذا

(١)(سشوس) ابن لاغوس (٢) فيلوذفوس محب الاخ (٣) اوراخيطس (٤) فيلوبطور محب الاب (٥) فيفنوس (٦) فيلوميطور محب الام (٧) اوراخيطس الثانى (٨) سوطيرا (٩) سيدبريطس (١٠) اسكندروس (١١) فيلوذفوس الثاني (١٢) دينوسيوس (١٣) قيلوبطرا *

أراد الله ذهاب ملك اليونانيين أيدعليهم ملوك رومة فسار اليها (أغسطس) ملك رومه وكان أول من سمي بقيصر - واليه تنسب القياصرة وانما سمى اغسطس هذا بقيصر لان أمه ماتت وهي حامل فشق بطنها عنه ومعنى قيصر (بُقِرَ) وكان هذا الملك يفتخر على الملوك بأن النساء لم تلده وحقيقة هذه اللفظة بالعجمية جيشر* وقيل انما سمى جيشر لانه ولد بشعر يبلغ عينيه واسم الشعر بالعجمية جيشر فعرب فقيل قيصر ولاثنتين وأربعين سنة من مُلكه ولد المسيح عليه السلام وكان له مع (قيلابطره) حروب كثيرة حتى قتل زوجها وأراد أغسطس إعمال الحيلة فى أخذها لعلمه بحكمتها وليتعلم منها لانها كانت بقية الحكماء اليونانيين فراسلها فعلمت مراده فيها وما قد وترها به من قتل زوجها فطلبت الحية التى تكون بين الحجاز ومصر والشام وهي نوع من الحيات تراعى الانسان حتى اذا تمكنت منه ومن النظر الى عضو من أعضائه فقزت أذرعاً نحوه كالرمح فلم تخطيء ذلك العضو بعينه حتى تتفل عليه سما فيأتى عليه الموت فيموت فى ساعته ولا يعلم بها لجموده من فوره وتتوهم الناس إنه قد مات فجأة حتف أنفه * قال المسعودى ورأيت نوعا من هذه الحيات ببلاد طبرستان وهي حيات شبرية ولها رأسان تكون فى الرمل وفي جوف التراب فاذا

احست بالانسان أو غيره من الحيوان وثبت من موضعها اذرعا كثيرة فضربت باحدى رأسيها الى موضع من ذلك الحيوان أو الانسان فأى شيء لحقت منه مات من حينه فبعثت (قيلابطره) الملكة فاحتمل لها حية من تلك الحيات فلما أن كان اليوم الذى علمت أن اغسطس يدخل فيه عليها قصر ملكها امرت بانواع الرياحين والزهر أن تبسط فى مجلسها وقدام سريرها وعهدت بما احتاجت وجلست على سرير ملكها ووضعت تاجها على رأسها ولبست عليها ثيابها وزينتها وفرقت حشمها فاشتغلوا بأنفسهم وقربت هى يدها من الاناء الذى كانت فيه تلك الحية فضربتها فماتت مكانها وخرجت الحية من الاناء فلم تجد جحرا ولا مذهبا تذهب فيه لاتقان ذلك المجلس بالرخام والمرمر فاستترت تلك الحية بين الزهر والرياحين ودخل اغسطس حتى انتهى الى المجلس فنظر اليها جالسة والتاج على رأسها فلم يشك أنها حية تنظر فدنا منها فتبين أنها ميتة وأعجب بتلك الرياحين فمد يده الى كل نوع من أنواعه يلمسه ولا يدرى ما سبب موتها وهو متأسف على ما فاته منها فبيناهو كذلك اذ قفزت عليه الحية فرمته بسمها فيبس شقه الذى ضربته فيه فعجب من قتلها لنفسها ثم مما كادته به من القاء الحية بين الرياحين فهذه آخر من ملك من ملوك اليونانيين والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب *

(وأتبعتْ أختَها طسماً وعادَ على * عادوجُرهُمَ منها ناقض المِرَرِ)(١)

(ش) اخت طسم هى جديس فان طسما هو طسم بن لاود ابن ارم بن سام بن نوح وجديس بن عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وهم العرب البائدة وكان منزلهما جميعا اليمامـة التى كانت تدعى فى ذلك الوقت (جو) وكان الملك عليها رجلا من طسم يقال له عملوق وكان غشوما ظلوما لاينهاه شيء عن هواه وكان سبب فناء طسم وجـديس هو قوله (واتبعت أختها طسما) وذلك انه لما تمادى عملوق فى ظلمه وصنع بجديس ماصنع كان من أمرها ما كان ـ وذلك ان عملوق اتته ذات يوم امرأة اسمها هزيلة بنت مازن مع زوج لها اسمه (ماش) وكان قد طلقها وأراد أخذ ولد له منها وقد أبت عليه فترافعا الى الملك ليحكم بينهما فقالت هزيلة أيها الملك هـذا ولدى الذى حملته تسعاً

---

(١) (تعليق على هذا البيت من شرح ابن الاثير) قال اخت طسم هو جديس فان طسم هو ابن لاود بن ارم بن سام بن نوح وجديس هو ابن عابر بن ارم بن سام بن نوح والضمير فى اتبعت لليالي وكذا فى سائر الابيات فانه فيها عائد الى الليالى اى الى حوادثها وتقدير الكلام واتبعت الليالى طسما اختها جديس أى اتبعت اهلاك هذه باهلاك هذه ورجع على عاد وجرهم من الليالى ناقض المرر اى مزيلها والمرة القوة والشدة ومنه قوله تعالى (ذومرة) ومنه المرير من الحبال وهو ما اشتد فتله فالحوادث تنقض الامور المحكمة كما ينقض الحبل المحكم الفتل ـ وطسم وجديس من العرب البائدة وكان منزلهما جميعا اليمامة وكان اسم اليمامة فى ذلك الوقت جواً وكان ملكهم حينئذ رجلا من طسم يقال له عملوق وكان غشوما ظلوما اهـ

ووضعته دفعا وأرضعته سبعاً ولم انل منـه نفعاً حتى اذا تم فصاله واستوت خصاله أراد أن يأخذه مني قهرا ويسلبنيه قسرا ويترك يدي منه صفرا ـ فقال زوجها قد أخذت المهر كاملا ولم أنل منه طائلا الا ولداً جاهلا فافعل ما كنت له فاعلا فأمر الملك أن يقبض الولد منهما فيجعل فى غلمانه وقال لهزيلة ابغيه والداً ولا ولدا ولا تنكحي من بعده أحـدا قالت هزيلة أما النكاح فبالمهر وأما السفاح فبالقهر وما لى ارب فى واحد منهما وأنشأت تقول

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا * فابرم حكما فى هزيلة ظالما
لعمرى لقد حكمت لا مقورعا * ولا فهما عند الحكومة عالما
ندمت ولم أقدر على متزحزح * وأصبح زوجي عاجز الرأي نادما

فلما وصـل الشعر الى عملوق غضب وأقسم ان لا تهدى عروس فى جديس لبعلها حتى يكون هو الذى يبدأ بها فان كانت بكرا افترعها وان كانت ثيبا باضعها وهذا ليغض بذلك من جديس ويذلها فلم يزل على ذلك دهرا حتى اهـديت اليه عفيرة بنت عفار الجديسية اخت الاسود بن عفار الجديسى سيد جديس الى بعلها فحملت الى عملوق كعادته ـ ويقال إنه كان اسمها الشموس فحملت الشموس الى عملوق ومعها القيان يغنين بهذه الابيات *

أبدى بعملوق وقومى فاركبي * وبادرى الصبح بأمر معجب
فما لبكر بعدكم من مذهب * فسوف تلقين الذى لم تطلب

فلما افترعها وخلى سبيلها خرجت على قومها فى دمائها شاقة جيبها عن قبلها ودبرها وهى تقول *

لا أحد اذلّ من جديس * أهكذا يفعل بالعروس
ترضى بهذا يالقوم حر * أهدى وقد أعطى وسيق المهر
لأخذة الموت كذا النفسه * خير من أن يفعل ذا بعرسه

ثم قالت تحرّض جديساً على طسم وهي تقول

أيصلح ما يؤتى الى فتياتكم * وانتم رجال فيكم عدد النمل
أيصلح تمشي فى الدما فتياتكم * صبيحة زفت فى النساء الى البعل
فان انتمُ لم تغضبوا بعد هذه * فكونوا نساء لا تفيق من الكحل
ودونكم طيب العروس فانما * خلقتم لأثواب العرائس والغسل
فلو أننا كنا رجالا وكنتم * نساء لكنا لا نقر على الذل
فقبحا وشيكا للذى ليس دافعا * ويختال يمشي بيننا مشية الفحل
فموتوا كراما واصبروا العدوكم * بحرب تلظى كالضرام من الجزل
والا فخلوا بطنها وتحملوا * الى بلد قفر وهزل مع الهزل
ولا تجزعوا للحرب يا قوم انها * تقوم باقوام كرام على رجل
فيهلك فيها كل نكس مواكل * ويسلم فيها ذو النجابة والفضل

فلما سمعت بذلك جديس اجتمعت غضبي لذلك فقال لهم

الاسود بن عفار وكان مطاعا فيهم ياجديس لتطيعنني فيما آمركم
به او لأتكئن على سيفي حتى يخرج من ظهري فقالوا انا نطيعك
قال قد علمتم ان طسما ليس بأعز منكم ولكن ملك صاحبهم عليكم
وعليهم هو الذي يذعننا بالطاعة ولولا ذلك ماكان لهم عليكم من
فضل ولو امتنعتم منهم لكان لكم النصف فقالوا قد قبلنا
قولك ولكن القوم اكثر عدة منا وعددا فقال اني صانع طعاما
ثم ادعوهم اليه فاذا جاءوكم متفضلين في الحلل نهضنا اليهم بأسيافنا
فأنفرد أنا بالملك وينفرد كل رجل منكم برجل منهم وابدؤا
برؤسائهم فقالت عفيرة لاخيها الاسود لاتفعل هذا فان الغدر
ذلة وعار ولكن كاثروا القوم في ديارهم فتظفروا أو تموتوا
كراماً قال لا ولكن نمكر بهم فيكون ذلك أمكن منهم ثم ان
الاسود صنع طعاما وأمر قومه ان يخترطوا سيوفهم* ثم يدفنوها
في الرمل حيث صنع لهم الطعام ثم دعا عملوقا وقومه فلما توافوا
الى المدعاة استثارت جديس السيوف من حيث دفنوها وشدوا
عليهم فقتلوهم حتى ما أفلت منهم الا رجل واحد اسمه رباح بن
مرة ففر الي حسان بن تبع فاستغاث به وقد كان لما أراد المشي
الى حسان عمد الى جريدة نخل رطبة فجعل عليها طينا رطباً وحملها
معه وخرج بكلبة فلما ورد على حسان كسر يد الكلبة ونزع
الطين من على الجريدة فخرجت خضراء ودخل على حسان

واستغاث به وأخبره ماصنعت جديس بطسم فقال له الملك ومن أين أقبلت قال انى جئتك (أبيت اللعن) من مكان قريب وأراه الجريدة والكلبة وقال خرجت بهما من بلدى قال حسان ان كنت صدقتنى فلقد جئت من مكان قريب ووعده النصرة ثم نادى حسان في جنده بالمسير وأخبرهم بما صنعت جديس بطسم فقالوا وما جديس وطسم أيها الملك قال هما اخوان قالوا فما لنا في هذا من ارب وهم بعد عبيدك أيها الملك فقال حسان ماهذا بالحسن أرأيتم لو كان هذا فيكم كان حسناً لملككم ان يهدر دماؤكم وما علينا فى الحكم الا أن ننصف بعضكم من بعض فقام فرسانهم وقالوا الامر أمرك أيها الملك فرنا بماأحببت فامرهم بالمسير فساروا حتى اذا كانوا من اليمامة على ثلاث ليال قال رباح بن مرة لحسان (ابيت اللعن) ان لى أختاً متزوجة في جديس تبصر الراكب على مسيرة ثلاث ليال وانا أخاف أن تنذر قومها بك فأمر كل انسان أن يقتلع شجرة من الارض ويضعها امامه فامرهم حسان بذلك ـ ثم ساروا حتى اذا كانوا على ثلاث ليال من (جو) قالت أخت رباح ياجديس لقد سارت اليكم الشجر قالوا لها وما ذاك قالت أرى شجرا من دونها بشر وانى لأرى رجلا من وراء شجرة ينهش كتفاً أو يخصف نعلا فكذبوها وغفلوا عن أخذ اهبة الحرب حتى صبحتهم حمير وفى ذلك تقول

أخت رباح بن مرة واسمها (يمامة) وهى التى يقال لها زرقاء اليمامة

خذوا لهم حذركم ياقوم ينفعكم * فليس ما قد أرى بالامر يحتقر
انى أرى شجرا من خلفه بشرا * وكيف تجتمع الاشجار والبشر
صفوا الطوائف منكم قبل داهية * من الامور التى تخشى وتنتظر
انى أرى رجلا فى كفه كتف * أو يخصف النعل خصفا ليس يعتذر
ثوروا باجمعكم فى وجه أولهم * فان ذلك منكم فاعلموا ظفر
وغوّروا كل ماء دون منزلهم * فليس من دونه ورد ولا صدر
اوعاجلوا القوم عند الليل ان رقدوا * ولا تخافوا لهم حربا وان كثروا

فلما كان حسان من اليمامة على مسيرة ليلة عبأ جيشه ثم صبحهم فاستباح اليمامة قتلا وسبياً وهرب الاسود ثم نزل بطى فاجاروه من كل من يطلبه وهم لا يعرفونه وقبيلته فى طى مذكورة ثم ان حساناً لما فرغ من جديس امر باليمامة وكانت زرقاء فنزع عينيها فاذا في داخلها عروق سود فسألها عن ذلك فقالت له حجر اسود كنت اكتحل به يقال له الاثمد يشب لى بصرى * وقيل انها أول من اكتحلت بالكحل الذى هو الاثمد فأمر بها فصلبت على باب جو وقالوا سمي جواً باليمامة فسميت اليمامة من ذلك الوقت — وفى هذا يقول رباح بن مرة الطسمى لما أخذ بثاره *

غدر الحي من جديس بطسم * آل طسم كما تدان تدينه

قـد أتيناهم بيوم كيوم * تركوا فيه مثـل ماتركونا
ليت طسما عـلى منازلهـا * تعلم اني قضيت عنى ديونا

وقد ذكرت الشعراء قصة هذه المرأة ومن ذلك قول الأعشى على رواية ابن قتيبه*

ما نظرت ذات أشفار كما نظرَتْ * زرقا ولا نظر الذيبيُّ اذ نجعا
قالت أرى رجلا فى كفه كتف * أو يخصف النعل خصفاً ايةً صنعا
فكـذبوها بما قالت فصبحهم * ذو آل حسان يرجى السهل والسلعا
فاستنزلوا آل جوٍ من مساكنهم * وهدموا يافع البنيان فاتسعا

وروى ابن اسحاق*

كونى كمثل التى ان غاب واحدها * اهدت له من بعيد نظرة جزعا
اذ قلبت مقـلة ليست بمقرفة * ان يرفع الـكلب رأس الاول ارتفعا

ثم جاء بالابيات التى ذكرها ابن قتيبة دون البيت الاول وفيها يقول المسيب بن غلس *

لقد نظرت عين الى الجزع نظرة * الى مثل موج المفعم المتلاطم
الى حمير اذ وجهوا من بلادهم * تضيق بهم لأيا فروج المخارم

وفيها يقول النمر بن تولب *

وفتاتهم غرّ عداة تبينت * من بعد مرأى فى الفضاء ومسمع
قالت أرى رجـلا يقلب نعله * تقليب ذى وصل له ومشسع
ورأت مقدمة الخميس ودونها * ركض الجياد الى الصباح بتبع

وأما عاد التى ذكرها فى قوله (وعاد على عاد الخ)

فهم الذين ذكرهم الله تعالى فى كتابه العزيز فقال (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) الآية وأخبر الله عنهم وعن شدتهم وبطشهم وما بنوه من الابنية المشيدة التى تدعى على مرور الدهر بالعادية وذكر جماعة من ذوى العناية باخبار العالم أن الملك من بعد قوم نوح كان فى عاد قبل سائر الملوك ومصداق ذلك قوله تعالى (وأهلك عادا الاولى) فهذا يدل على تقدمهم وان هناك عاداً آخر بعدهم وكان عاد الذى ينسب اليه قوم عاد رجلا جباراً عظيم الخلقة وهو عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكان يعبد القمر وذكرانه رأى من صلبه أربعة آلاف ولد وانه تزوج ألف امرأة وكانت بلاده متصلة باليمن وهى بلاد الاحقاف وبلاد سنجار الى بلاد عمان الى بلاد حضرموت ـ وذكر جماعة من الأخباريين ممن عنى باخبار العرب ان عاداً لما توسط العمر اجتمع اليه الولد وولد الولد ورأى البطن العاشر من ولده ثم عمّر بعد ذلك ما شاء الله من زمانه في احسان لرعيته ـ فلما بلغ الف سنة ومائتى سنة مات* ثم كان الملك بعده فى الاكبر من ولده وهو شداد بن عاد فكان ملكه تسعمائة سنة ويقال انه احتوى على سائر ممالك العالم وملوكها وهو الذى بني مدينة إرم ذات العماد المذكورة فى سورة الفجر *

وذكر أنه بناها بعد أن جمع لها الفعلة من كل موضع وتأنق فى بنائها بناها (على ما يذكر) لبنة من فضة ولبنة من ذهب وجعل الانهار تشقها وأجرى مياهها فى قنوات الفضة وأتم بناءها فى نحو ثلثمائة سنة وغرس فيها أنواع الثمار — فلما جاءه الخبر بتمام بنائها تجهز للمشى نحوها برجاله وبمن يختص به ونظر فيما يحتاج اليه ليسكنها فتم جهازه فى عشرة أعوام لاستعداده لذلك — فلما صار على فرسخ منها أرسل الله عليه وعلى من معه صيحة أهلكته وكل من كان معه حتى ما بقى منهم أحد ولا عين تطرف فهى خاليــة الى الآن وربما وقع اليها بعض من يتيه فى تلك الارض فيدخلها ولقد ذكر انه ضلت ابل لرجل فى زمن عمر ابن الخطاب يعرف بعبد الله بن قلابه فخرج فى طلبها حتى وقع اليها فدخلها ومشى فيها فذكر من عجائبها عجباً وان بناءها لبنة من فضة ولبنة من ذهب فلما وصل الخبر الى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب سأل كعب بن مانع الذى يعرف بكعب الاحبار هل سمع فى الكتب المتقدمة بذكر مدينة بنيت على صفة ما وصف ذلك الرجل الذى دخلها فقال نعم يا أمير المؤمنين ووصف له قصتها قال ويدخلها رجل فى أيامك أو قد دخلها وهى إرم التى ذكرها الله تعالى فى كتابه العزيز *وذكر أن شداد هذا لما مات أبوه ترك ابنين شداداً وشديداً فقسم الارض بينهما ثم مات شديد ورجع ملك الارض الى شداد فمر به ذكر الجنة وأن

بناءها لبنة من فضة ولبنة من ذهب فحمله العتو على أن يبني مثلها
على زعمه ويسكنها فكان من خبره وخبرها ما ذكرنا من أمره
وقيل إن قوم هذا الملك هم عاد الثانية واليهم انتهى البطش و اليهم
أرسل هود النبي عليه السلام وهو هود بن عبد الله بن رباح بن
الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا
أهل أوثان ثلاثة (صدا وصمودا وهدا) فدعاهم هود الى توحيد
الله فكذبوه وقالوا من أشد منا قوة فوعظهم بما ذكر الله فى كتابه
وهو قوله (أتبنون بكل ريع آية تعبثون) الى آخر الآية وكان
من ردهم له ما ذكره الله تعالى وهو قوله (سواء علينا أوعظت)
الى قوله (وما نحن بمعذبين) فأصابهم عند تكذيبه ما ذكر الله
تعالى فى محكم تنزيله (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية)
الى قوله (فهل ترى لهم من باقية) وذلك أن الله تعالى حبس عنهم
القطر ثلاث سنين حتى جهدوا فأوفدوا لمكة وفدا ليستسقوا لهم
وهم قيل بن عفير ونعيم بن هزال ومرثد بن سعيد بن عفير وكان
مسلماً يكتم ايمانه وجلهمة بن الحسن بن خال معوية بن بكر ولقمان
ابن عاد صاحب النسور فانطلق كل رجل منهم مع قوم من رهطه
حتى بلغ عددهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن
بكر وكانوا أخواله وأصهاره فأنزلهم وأكرمهم وأقاموا عنده شهرا
يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان (قينتا معاوية) ويقال أنهما أول

من غنى في العرب ـ ولما كان الخبر يذكر بالخبر فنقول أول من غنى في الاسلام الغناء الرقيق (طويس) وهو الذى يضرب به المثل فى التشاؤم فيقال أشأم من طويس وكان فى أيام عثمان بن عفان ويكنى بابى نعيم والصوت الذى غنى به هو هذا *

قد برانى الشوق حتى * كدت من شوق أموت

فلما رأى معاوية بن أبى بكر طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون بهم من البلاء الذى أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك أصهارى وأخوالى وهؤلاء مقيمون عندى والله ما أدرى ما اصنع أستحى أن آمرهم بالخروج فيظنون انه ضيق منى بمقامهم عندى فشكا ذلك الى قينتيه (الجرادتين) فقالتا قل شعراً نغنيهم به لعل ذلك يخرجهم فقال معاوية بن بكر يذكرهم *

الا ياقيل ويحك قم فهينم * لعل الله يصبحنا غماما
فتسقى أرض عاد إن عاداً * قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس يرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وأن الوحش تأتيهم جهارا * ولا تخشى لراميهم سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم التماما
فقبح لوفدكم من وفد قوم * ولا لاقوا التحية والسلاما

فغنت بهذا الشعر احدى الجرادتين وهي (بعاد) وغنته الثانية وهي (ثماد)

انا قوم جعلنا من بنى عاد بن سام
كالشماريخ من الطود المناجيب العظام
فسقى الله بنى عاد معاً صوب الغمام
وتلقى وفدهم منه بانعاش الذمام

فلما سمع القوم ماغنتا به قال بعضهم لبعض ياقوم انما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم فادخلوا بنا الحرم نستقي لقومنا فقال مزيد بن سعد بن عفير وهو المؤمن منهم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم سقيتم فاظهر إسلامه فقال معاوية حين سمع كلامه يخاطبه *

أبا سعد فانك من قبيل * ذوى كرم وأمك من ثمود
فانا لانطيعك مابقينا * ولسنا فاعلين لما تريد
أتأمرنا لنترك دين وفد * ورمل والصدى مع العتود
أنترك دين آباء كرام * ذوى فخر ونتبع دين هود

(ووفد ورمل) قبائل من عاد والعتود كذلك ثم قالوا لمعاوية احبس عنا مزيدا فلا يقدم معنا مكة فانه قد ترك ديننا واتبع دين هود وخرجوا لمكة يستسقون بها لعاد فلما ولوا خرج مزيد حتى أدركهم قبل أن يصلوا فلما انتهى اليهم قال اللهم أعطنى سؤلى ولا تدخلني فى شيء مما يدعوك به وفد عاد وقد كان تخلف معه لقمان بن عاد صاحب النسور وقال قيل وكان رأس

وفد عاد* اللهم ان كان هودا صادقا فأسقنا فقد هلكنا فانشأ الله سحابات بيضاء وحمرا وسودا ثم نادى مناد من السحاب ياقيل اختر لك ولنفسك ولقومك من هذه السحابات فقال اخترت السوداء فانها اغزر ماء وأعذب فناداه مناد *

اخترتَ ياقيل رمادا أرمدا * لاتبقي من آل عاد أحدا
لا والداً تتركه وولدا * الا وتجعلهم رميما همدا
الا بنى اللوذية الهمندا

وبنو اللوذية منهم بنو لقيم بن هزال بن هزيل بن هزيلة بنت بكر بن معاوية وكانوا سكاناً بمكة مع اخوالهم ولم يكونوا مع عاد فهم عاد الاخرى فساق الله السحابة بما فيها من النقم الى عاد فلما رأوها استبشروا وقالوا(هذا عارض ممطرنا) كما ذكر الله تعالى فى كتابه فكان أول من بصر بما فيها وعرف انها ريح امرأة من عاد يقال لها (مهرة) فقالت أرى ريحاً كشهاب النار أمامها رجال يقودنها فسخرها الله تعالى عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد أحدا الا أهلكته واعتزل هود صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه فى حظيرة مايصيبهم منها الا ماتلين به جلودهم وانها لتمرّ من عاد بالظعن بين السماء والارض فتشدخهم بالحجارة ـ ولما خرجت الريح عليهم قال سبعة نفر منهم يقال لأحدهم (الخلجان) تعالوا حتى نقوم على

شفير الوادي فترد هذه الريح *واسم الوادى الذى خرجت عليهم منه الريح (المغيث) وأرسلت عليهم الريح يوم الاربعاء فلم تدُر الاربعاء وعلى وجه الارض منهم أحد ولذلك تكره أربعاء لاتدور فجعلت الريح تأخذ من السبعة الذين وقفوا على شفير الوادى الواحد بعد الواحد فترمى به فتقذفه حتى لم يبق منهم إلا الخلجان فقال له هود ياخلجان إسلم تسلم قال ومالى عند ربك ان أسلمت قال الجنة قال فما هؤلاء الذين أراهم فى السحاب كأنهم البُخت قال تلك ملائكة ربى قال فان أسلمت أفيقيدنى ربك منهم لقومي قال ويلك وهل رأيت ملكا يقيد من جنده قال اذاً لوفعل مارضيت فجاءت الريح فاقتلعته وألحقته بأصحابه وفى ذلك يقول النهيك ابن الخليل *

لو ان عاداً سمعت من هود * ما أصبحت عاثرة الجدود
هامدة الأجسام بالوصيد * صرعى على الأنوف والخدود
ماذا جنى الوفد من الوفيد * أحدوثة لأبد الأبيد

وروى عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال أوحى الله الى الريح العقيم أن تخرج على قوم عاد فتنتقم منهم فخرجت بغير كيل على مقدار منخر ثور فكانت الارض ترجف بمن عليها من المشرق الى المغرب فاستغاث خُزان الريح بربهم وقالوا يا ربنا إنا لن نطيقها فأوحى الله تعالى الى الريح أن تخرج على قدر خاتم الحوت ولم

تخرج ريح قط بغير مكيال إلا يومئـذ فانها عتت على الخزان
وغلبتهم ـ ولما خرج من وفد عاد مزيد بن سعيد ولقمان بن عاد
ولم يدخلا معهم فيما دخلوا فيه ودخلا مكة منفردين ودعوا الله
لانفسهما قيل لهما قد أعطيتما مُنا كما فاختارا لانفسكما إلا أنه
لاسبيل الى الخلود فقال مزيد ألهم أعطنى برآ وصدقاً فأعطى
ذلك وقال لقمان اللهم أعطنى عمراً فقيل له اختر لنفسك عمر
سبعة أعنز عفر في جبل وعر لايناله النظر أو عمر سبعة أنسر
فاختار الأنسر فكان يأخذ الفرخ منها حين يخرج من بيضته
ويأخذ الذكر لفضل قوته فاذا مات أخذ غيره وكل نسر يعيش
ثمانين سنة حتى انتهى الى السابع وكان آخرها لُبد فلما مات لبد
مات معه لقمان وهو الذى يدعى لقمان النسور (قوله وعاد على
عاد وجرهم الخ) فعاد قد ذكرنا ماتيسر من أخبارهم ـ وأما
جرهم فهو جرهم بن عوف بن زهير بن أنس بن الهميسع بن حمير
ابن سبا الاكبر بن يشحب بن يعرب بن قحطان بن عابر وهو هود
النبي صلوات الله عليه وقيل جرهم بن غابر بن سبا بن يعرب بن
قحطان وكان من حديث جرهم أنه لما تفرقت القبائل من اليمن
لقحط شديد كان بها فى الزمن الأول فخرج من اليمن من القبائل
العماليق وجرهم فيممت العماليق نحو تهامة وعليهم السميدع بن
هود بن لاوى بن قيطور بن كركر فاشتد بهم الجوع فأقبل السميدع

يرتجز لهم ويحثهم على المسير ويشجعهم فيما نزل بهم*

سيروا بني كركر فى البلاد * انى أرى ذا الدهر في فساد
قد سار من قحطان ذو الرشاد*

ثم أتوا مكة فنزلوا على زمزم فلما استقر بهم القرار فى وادى مكة تسامعت بهم جرهم فساروا نحوهم وعليهم الحارث بن مضاض ابن عمر بن سعيد بن الرقيب بن ظالم بن هلى بن يغث بن جرهم ونزلوا على مكة ـ وقد قيل فى العماليق أيضاً إنهم من ولد جرهم والاشهر غير ذلك وكان السميدع من العماليق ينزل بأجياد من أسفل مكة فيعشر من دخل مكة من ناحيته وكان الحارث بن مضاض مع جرهم ينزل (بقعيقعان) من أعلى مكة يعشّر أيضاً من دخل مكة من ناحيته فكان بين الحارث والسميدع حرب عظيم فخرج الحارث من قعيقعان يتقعقع عند قومه بالسلاح فسمى الموضع بقعيقعان وخرج السميدع فى قومه مع جياد الخيل فسمى الموضع بأجياد فكانت الدائرة للعماليق على جرهم فافتضحوا فسمى الموضع فاضحاً ثم اصطلحوا ونحروا الجذور وطبخوا فسمى الموضع طابخاً وكل موضع من هـذه المواضع يسمى بهذا الاسم الى اليوم ثم كانت ولاية البيت بعد نابت بن اسماعيل فى جرهم ثلثمائة سنة وقد قيل خمسمائة سنه وقيل ستمائة سنة فكان أول من ملك منهم مضاض ابن عمرو مائة سنة ثم ملك بعده ابنه عمرو مائة وعشرين سنة

ثم ملك ابنه الحارث بن عمرو مائةسنة ثم ملك ابنه مضاض الاصغر أربعين سنة وكانت طائفة من جرهم نزلت نجران منهم الأفعى بن الأفعى الجرهمى وهو الذى أوصى نزار بن معد بن عدنان لما أشرف على الموت بنيه بالرجوع اليه عند الاختلاف فقال لبنيه (وهم مضر الحمرا وربيعة الفرس واياد الشمطا وانمار الحمرا) لمضر القبة الحمراء وما شاكلها ولربيعة الفرس والسلاح وما شاكله ولاياد الخادمة الشمطاء وما شاكلها ولانمار الحمار وما شاكله وقال يابنى ان اختلفتم في ميراثى فسيروا الى الأفعى بن الأفعى يقسم بينكم فلما مات أبوهم اختلفوا في القسمة فمشوا الى الافعى فعثروا فى طريقهم على أثر بعير فقال مضر هذا أثر بعير ازور قال ربيعة نعم وابتر قال اياد نعم واعور قال انمار نعم وشرود فلقيهم فى طريقهم انسان فسألهم هل رأوا له بعيراً ضالا فقال مضر أكان بعيرك ازور قال نعم فقال له ربيعة أكان بعيرك أبتر قال نعم قال له اياد أكان بعيرك أعور قال نعم قال انمار أكان بعيرك شرود قال نعم فأين بعيرى قالوا مارأينا لك بعيراً قال كيف تعرفون صفة بعيرى ثم تقولون ما رأيتموه فاتبعهم حتى وصلوا الي الأفعى فقال له أيها الملك انصفنى من هؤلاء القوم فانهم عدوا على بعيرى فأخذوه ثم جحدونى وقص عليه قصته معهم فأقسموا مارأوا له بعيراً قال فكيف عرفتم صفة بعيره ولم تروه فقال مضر رأيت أثر

بعيرٍ يمكن يده الواحدة أكثر من الأخرى فعلمت أنه أزور قال ربيعة ورأيته يرمي ببعره مجتمعاً فعلمت أنه أبتر ولو لم يكن أبتر لرماه متفرقاً وقال إياد ورأيته يمر بالكلأ فيأكل من الجانب الواحد ولا يأكل من الجانب الآخر فعلمت أنه أعور وقال انمار رأيته يمر بالروضة من الكلأ فلا يعرج عليها ويمر بما هو دونها في الطيب فيرتع فيها فعلمت أنه شرود فقال الافعى للرجل صدق القوم ليسوا بأصحاب بعيرك - ثم انه سألهم عن قضيتهم فأخبروه بما أوصاهم به أبوهم وبما أعطى كل واحد منهم فقال أو مثلكم يحتاج إلى أن يقسم بينهم أحد قالوا على هذا اعتمدنا فقسم بينهم الميراث على ما تفرس فيهم فأعطى مضر القبة الحمراء وما شاكلها من ذهب وإبل حمر فسميت مضر الحمراء وأعطي ربيعة الفرس والسلاح وما كان لأبيه من خيل فسميت ربيعة الفرس وأعطى إياد الخادمة الشمطاء والفضة والغنم والابل البيض فسميت إياد الشمطاء وأعطى انمار الحمار والبغل وما شاكل لونه من الابل والدواب فسميت انمار الحمار * ثم أنزلهم في دار الضيافة ووكل بهم من يسمع كلامهم ويحفظه ويخبر به وأمر صاحب غنمه أن يذبح لهم خروفاً من أسمن خرفانه وأمر صاحب شرابه أن يسقيهم من أطيب شرابه وأن يطعمهم عسلاً من أطيب عسل عنده فلما أكلوا وشربوا قالوا لحم طيب سمين قال أحدهم إلا أنه أرضعته كلبة وقالوا هذا شراب طيب قال

الثانى منهم لولا ان داليته على قبر وقالوا هذا عسل طيب قال الثالث منهم إلا أن نحلته وضعته فى هامة جبار ـ ثم قالوا هذا ملك كريم فقال الرابع منهم إلا أنه لغير رشدة فقص عليه الموكل بهم جميع كلامهم فأرسل الى الغنام فسأله فقال لما طلبت أسمن الغنم لم يكن عندى أسمن من الذى ذبحت لهم وكانت أمه قد ماتت فكان يرضع مع الاجراء وسأل صاحب شرابه فقال ليس عندى شراب أطيب من شراب الدالية التى هى على قبر جدك ولا كان عندى عسل أطيب من العسل الذى أطعمتهم وكانت نحلة قد وضعته فى هامة انسان فدخل على أمه فقال أصدقينى مَن أبى وإلا قتلتك قالت له ان أباك الذى تنسب اليه كان قد كبر وخشيت أن يموت ويذهب الملك منى وكان حواليه فتى من قراباته وسيم فمكنته من نفسى حتى علقت منه بك ثم قتلته فخرج اليهم وأمرهم بالانصراف وقال هؤلاء شياطين الانس ثم بغت جرهم فى الحرم وطغت حتى فسق رجل منهم بامرأة فى البيت وكان الرجل يدعى اسافا والمرأة تدعى نائلة فمسخهما الله حجرين صيرا بعد ذلك وثنين وعُبدا تقرباً بهما الى الله تعالى وقيل بل حجرين نُحتا ومثلا من ذكرنا وسميا باسميهما فبعث الله على جرهم الرعاف والنمل وغير ذلك من الآفات فهلك كثير منهم وكثر ولد اسماعيل وصاروا ذوى قوة ومنعة فغلبوا على أخوالهم وهم جرهم فأخرجوهم من مكة فلحقوا ببلاد

جهينة فأتاهم فى بعض الليالى السيل فذهب بهم فكان الموضع يعرف باضم ـ وقد ذكر ذلك أمية بن أبى الصلت الثقفى فقال *

وجرهم دمنوا تهامة فى الدهـ * ـر فسالت بجمعهم اضم

وفى خروج جرهم من مكة حين أخرجهم ولد اسماعيل يقول عمرو بن الحارث بن مضاض *

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالى والجدود العواثر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت * نعز فما يحظى لدينا المكاثر
ملكنا فعززنا فأعظم بملكنا * فليس لحىّ غيرنا ثم فاخر
فان تنثنى الدنيا علينا بحالها * فان لنا حالا وفيها التشاجر

فى أبيات له وفى ذلك يقول أيضاً *

وكنا ولاة البيت والقاطن الذى * اليه يوفى نذره كل محرم
سكنا بها قبل الظباء ورائة * لنا من بنى هيّ بن بىّ بن جرهم

وبانقراض جرهم حين حملهم السيل باضم كما قدمنا انقرضت العرب العاربة من عاد وعتيد وثمود وجديس وطسم والعماليق ودبار وجرهم ولم يبق من العرب الا من كان من عدنان وقحطان ولما غلب ولد اسماعيل على جرهم ونفوهم عن ولاية البيت قال عمرو بن الحارث الجرهمي يخاطب بكرا وغبشانا من بنى اسماعيل

يا أيها الناس سيروا ان قصركم * ان تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا

حثوا المطى وارخوا من أعنتها * قبل الممات وقضوا ما تقضونا
كنا أناساً كما كنتم فغيّرنا * دهر فأنتم كما كنا تكونونا

وقال بعض العرب *

الموت مكتوب على الأحياء * من ساكن الخضراء والغبراء

وقيل وجدت هذه الابيات (الثلاث) مكتوبة فى حجر كتب فى الزمن الاول لا يعرف قائلها والله أعلم *

(وما أقالت ذوى الهيئات من يمن
ولا أجارت ذوى الغايات من مضر) (١)

(ش) لم يذكر الناظم أحداً من أهل اليمن ولا من مضر بخصوصه وانما جمعهما فى هذين الاسمين ونحن ملمون بشيء من التفاصيل فنقول ــ أما اليمن فقد اختلف الناس فى أنسابهم كما اختلفوا فى علة التسمية بهذا الاسم * فمن الناس من زعم أن اليمن انما سمى يمناً لانه عن يمين الكعبة اذا استقبلت الشمس من مطلعها كما ان الشام انما سمى شاماً اذ كان عن شمال الكعبة ــ والحجاز انما سمى حجازا اذ كان حاجزا بين اليمن والشام ــ والعراق انما سمى

---

(١) (من شرح ابن الاثير) الهيئة الشارة يقال فلان حسن الهيئة . والغاية المدى والراية ايضا . والاقالة الاعفاء يعنى ان الليالى لم تعف اصحاب الرياسات من اليمن ولم تجر ذوي الروايات والاكابر من مضر بل جرعت الكل كأس الحمام ولم تف له بزمام اه

عراقاً لكثرة انصباب الانهار اليه كالرافدين دجلة والفرات وما سواهما من أنهار العراق وهو مأخوذ من عرقوتي الدلو ـ ومن الناس من يزعم أن اليمن انما سمي يمناً ليمنه والشام لشؤمه وهذا قول يعزى الى قطرب النحوي في آخرين ـ ومنهم من رأى انه انما سمي يمناً لأن الناس حين تفرقت لغاتهم ببابل تيامن بعضهم يمين الشمس وبعضهم شمالها فسمي كل بما يناسبه وقد قيل أيضاً إن الشام انما سمي شاماً لشامات سود وبيض في أرضه وذلك لاختلاف التراب والبقع وهذا قول الكلبي وقال الشرقي بن القطامي انما سمي الشام بشام ابن نوح لأنه أول من سكنه فلما سكنته العرب تطيرت من سام فقالت شام ـ وأما اختلاف الناس في أنساب أهل اليمن فطائفة تزعم أنهم من ولد قحطان بن الهميسع بن بنت اسماعيل* وأجمع النسابون على أن اليمن كلها من ولد قحطان وكان لقحطان من الولد أحد وثلاثون ولداً ذكراً وكلهم من امرأة واحدة وهي حيا بنت روق بن فزارة بن سعد بن سويد بن عوص بن لمرم بن سام ابن نوح ـ واختلف الناس في لسان قحطان فقيل كان عربي اللسان وقيل سرياني اللسان كما اختلفوا في اسم أول من ملك اليمن فقيل يعرب بن قحطان وأنه أول من نطق بالعربية وأول من حياه ولده بتحية الملك (أبيت اللعن) و (أنعم صباحاً) وقيل سبا بن يشجب ابن يعرب بن قحطان واسمه عبد شمس وانما سمي سبا لانه أول

من سبى السبى من ولد قحطان وكان ملكه أربعمائة سنة وأربعاً وثمانين سنة ثم ملك بعده ابنه (حمير) بن سبا فكان أشجع الناس فى وقته وأفرسهم وأكثرهم جمالا وكان ملكه خمسين سنة وكان يلقب (بالعرنجج) وكان أول من وضع التاج على رأسه من ملوك اليمن تاج الذهب وقيل إنما سمى بحمير لكثرة لباسه الثياب الحمر - ثم ملك بعده أخوه (كهلان) بن سبا فكان ملكه ثلثمائة سنة ثم عاد الملك بعد هلاك كهلان الى ولد حمير * وقد اختلف فيمن ملك بعد كهلان فقيل ملك (أبو مالك) بن عسكر بن سبا فكان ملكه ثلثمائة سنة وقيل الذى ملك بعد كهلان (الرايش) وهو الحارث بن بدر وكان الحارث أول من غزا منهم وأصاب الغنائم وأدخلها اليمن وبينه وبين حمير خمسة عشر أباً وسمى الرايش لانه أدخل الغنائم والاموال والسبى فراش الناس فى أيامه - وفى عصره مات لقمان صاحب النسور الذى تقدم فى وفد عاد خبره وكان أقصى أثر الرايش فى غزوه الاول الهند ثم غزا بعد ذلك الترك وقد ذكر الرايش نبينا صلى الله عليه وسلم فى شعر له وهو

ويملك بعدهم رجل عظيم * نبىٌّ لا يرخص فى الحرام
يسمى أحمداً ياليت انى * أعمر بعد مخرجه بعام

وكان ملكه مائة وخمساً وعشرين سنة ثم ملك بعده (على ماذكر صاحب كتاب المعارف) ابنه (ابرهة) ويقال له ابرهة

ذو المنار لانه أول من ضرب المنار على طريقه فى مغازيه ليهتدى بها اذا رجع وكان ملكه مائة وثلاثاً وثمانين سنة * وذكر المسعودى أن الذى ملك بعد الرايش هو (حيار) بن غالب بن زيد بن كهلان وكان ملكه مائة وعشرين سنة ـ ثم ملك بعده الحارث بن مالك ابن افريقيش بن صيفى بن يشجب بن سبا فكان ملكه مائة وأربعين سنة (وهو الذى يقال له ابرهة ذو المنار) ثم ملك بعده على ماذكر المسعودى الرايش بن شداد بن ملطاط فكان ملكه مائة وخمساً وعشرين سنة ثم ملك بعده ابرهة ذو المنار فكان ملكه مائة وثمانين سنة ـ ثم ملك بعده (افريقش) فكان ملكه مائة وأربعا وستين سنة فزاد المسعودى فى روايته على ابن قتيبة بملك جبار والحارث والرايش بن شداد وغزا افريقش نحو المغرب من أرض البربر حتى أتى طنجة ونقل البربر من أرض فلسطين ومصر والساحل الى مساكنهم اليوم وكانت البربر بقية من قتل يوشع بن نون وافريقش الذى بنى افريقية وبه سميت افريقية * ثم ملك بعده أخوه (العبد) بن ابرهة وهو (ذو الاذعار) وسمي بذلك لانه كان فيما يذكر أهل الاخبار غزا بلاد النسنان فقتل منهم مقتلة عظيمة ورجع الى اليمن من سبيهم بقوم وجوههم فى صدورهم فذعر الناس منهم فسمى بذى الاذعار وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ـ ثم ملك بعده (الهدهاد) بن شرحبيل بن عمرو

ابن الرايش وهو ابو بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام ـ ويقال ان أمها كانت جنية وكانت مدة ملكه عشرين سنة وقيل سبعا وقيل ستا واختلف المسعودي وابن قتيبة فيمن ولى بعده فقال ابن قتيبة (بلقيس) وقال المسعودى تبع الاول فكان ملكه أربعمائة سنة على رواية المسعودى وقال ابن قتيبة مائة وثلاثا وستين سنة ثم ملكت بعده بلقيس بنت الهدهاد وكان ملكها عشرين ومائة سنة ـ ثم ملك بعدها (ياسير) بن عمرو ويعرف بياسير ينعم لانعامه على الناس وكان شديد السلطان وخرج غازيا نحو المغرب حتى أتى وادى الرمل الجارى فوجه جيشا فى الرمل فهلكوا ولم يعد أحد منهم فأمر بصنم نحاس فصنع وكتب في صدره بالمسند وهو القلم القديم (ليس ورائى مذهب) ورجع فكان ملكه خمسا وثمانين سنة على رواية ابن قتيبة وعلى رواية المسعودى خمسا وثلاثين سنة ـ ثم ملك بعده (شمر) بن افريقش بن ابرهة ويسمى شمر بن ابرعش وذلك لارتعاش كان به وخرج نحو العراق ثم توجه يريد الصين ودخل مدينة الصغد وهدمها فسميت (شمركند) أى شمر خربها وعربت بعد فقيل (سمرقند) وكان ملكه على ما قال ابن قتيبة مائة وسبعا وثلاثين سنة ـ وقال المسعودى ثلاثا وخمسين سنة وفيه يقول دعبل بن على يفتخر باليمن

هم كتبوا الكتاب بباب مرو * وباب الشاش كانوا كاتبينا

وهم سموا بشمر سمرقندا * وهم غرسوا هناك التابتينا

ثم ملك بعده (تبع الاقرن) بن شمر فغزا بلاد الروم حتى بلغ وادي الياقوت فمات قبل أن يدخله وكان ملكه على ماروى ابن قتيبة ثلاثاوخمسين سنة *وروى المسعودي مائةوثلاثاوثلاثين سنة ثم ملك بعد تبع الاقرن تبع اليمن على ما ذكر ابن قتيبة وكان ملكه مائة وثلاثاً وستين سنة ـ وقال المسعودي بل ملك بعد الاقرن (كليكرب) وقيل مليكرب وكان ملكه ثلثمائة وعشرين سنة ـ ثم ملك بعد مليكرب على رواية المسعودي (حسان) بن تبع فكان ملكه الى أن قتل خمساً وعشرين سنة وقال ابن قتيبة بل ملك بعده ابنه تبع ابن كليكرب وهوأسعد ابن كرب ويقال هوالذى آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال*

شهدت على أحمد أنه * رسول من الله بارى النسم
فلو مدّ عمرى الى عمره * لكنت وزيراً له وابن عم

وهو تبع الاوسط وهو الذى كسى البيت وكان ملكه ثلثمائة وعشرين سنة وهو الذى حارب الاوس والخزرج بيثرب وكانوا يقاتلونه بالنهار ويضيفونه بالليل ـ فلما رأى ذلك منهم قال ماينبغي لنا أن نقاتل هؤلاء وانصرف عنهم وكان يعجبه ذلك منهم ويقول (والله إن قومنا لكرام) وبينا تبع على ذلك اذ جاءه حبران من أحبار يهود قريظة راسخان في العلم حين سمعا ما يريد من

اهلاك المدينة وأهلها قبل أن يُقلع عنهافقالا له أيها الملك لا تفعل فانك ان أبيت الا ما تريد حيل بينك وبينها ولم نأمن عليك عاجل العقوبة قال لهما ولم ذلك قالا هي مُهاجر نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان تكون داره وقراره فبناها ورأى أن لهما علما وأعجبه ما سمع منهما وانصرف عن المدينة واتبعهما على دينهما وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها فتوجه الى مكة وهو طريقه الى اليمن حتى اذا كان بين (عسفان وأمج) أتاه نفر من هزيل فقالوا أيها الملك ألا ندلك على بيت مال ذا إثراء أغفلته الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة قال بلى قالوا بيت بمكة يعبده أهله ويصلون عنده وانما أراد الهزليون هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك أو بغى عنده فلما أجمع على ذلك أرسل الى الحبرين فسألهما عن ذلك فقالا له ما أراد القوم الا هلاكك وهلاك جندك ما نعلم في الارض بيتاً لله اتخذه لنفسه غيره ولئن فعلت ما دعوك اليه لتهلكن ولنهلكن معك جميعاً قال فماذا تأمراني أن أصنع اذ أقدمت عليه قالا تصنع عنده ما يصنع أهله تطوف به وتعظمه وتحلق رأسك عنده وتتذلل له حتى تخرج منه قال فما يمنعكما من ذلك قالا أما والله أنه لبيت أبينا ابراهيم وأنه لكما أخبرناك ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالاوثان التي نصبوها حوله وبالدماء

التي يريقون عندها فهم نجس أهل شرك فعرف نصحهما وصدقهما وأتى بالنفر من هزيل فقطع أيديهم وأرجلهم ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام (فيما يذكرون) ينحر للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل - ورأى في المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف ثم رأى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملأ والوصايل فكان تبع (فيما يزعمون) أول من كسى البيت وأوصى به ولاته من جرهم وأمرهم بتطهيره وأن لا يقربوا منه دماً ولا ميتة وأن لا تقربه حائض وجعل له باباً ومفتاحاً - ثم خرج متوجهاً الى اليمن بمن معه من جنود وبالحبرين حتى اذا دخل اليمن دعا قومه الى الدخول فيما دخل فيه فأبوا عليه حتى حاكموه الى النار وكانت باليمن (فيما يزعمون) نار تحكم بينهم فيما اختلفوا فيه بأكل المبطل وعدم الاضرار بالمحق فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلدين لها حتى قعدا للنار عند مخرجها التي تخرج منه فخرجت النار فلما أقبلت اليهم حادوا عنها وهابوها فزجرهم من حضرهم من الناس وأمروهم بالصبر لها فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الاوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما لم تضرهما فاتفقت عند ذلك حمير على دين اليهودية فمن هنالك وعن ذلك

كان أصل اليهودية باليمن — ثم ملك بعده (عمرو بن تبع) وكان ملكه أربعاً وستين سنة وقال ابن قتيبة بل حسان بن تبع ملك بعده وهو الذى قتل زرقاء اليمامة وأباد جديساً وكان ملكه خمساً وعشرين سنة ـ ثم ملك بعده (مزيد بن عبد كلال) وكان ملكه أربعين سنة ثم ملك بعده (ربيعة بن مزيد) وكان ملكه سبعاً وثلاثين سنة ثم ملك (ابرهة) بن الصباح بن ربيعة وهو المدعو بشيبة الخير وكان ملكه ثلاثا وأربعين سنة ثم ملك بعده (عمرو بن ذى قيفان) الذى كان سيفه عند عمرو بن معديكرب المعروف بالصمصامة وفى ذلك يقول عمرو *

وسيف لابن ذى قيفان عندى * تخير نصله من عهد عاد

وكان ملكه تسع عشر سنة وذكر ان ملك الروم أهدى الى الرشيد جملة سيوف قلعية فأمر الرشيد باحضار الصمصامة صمصامة عمرو ليحقر عندهم سيوفهم ورسول ملك الروم حاضر فجعل يقط بها السيوف التى لهم سيفاً سيفا كما يقط الفجل ثم أراه حد الصمصامة فاذا ليس بحده فل ولا أثر من تقطيع تلك السيوف ثم ملك بعده (لخيعة ذو شناتر) ولم يكن من أهل بيت الملك وأغرى بالاحداث من بنى الملوك فكان يطالبهم بما يطالب به النسوان ولم يزل على هذه الخصلة الذميمة حتى بعث الى ذرعة ابن ذى نواس بن تبان أخى حسان وكان صبيا صغيراً جميلا فلما

آتاه رسوله عرف ما يريده وأخذ سكينا لطيفا حديداً فخبأه بين قدمه ونعله فلما خلا معه وثب اليه فواثبه ذو نواس فوجأه فقضى عليه ثم حز رأسه وكان له كوة يشرف منها على عبيده اذا قضى حاجته من الغلام الذى يكون عنده ويضع مسواكا فى فيه فلما قتله ذونواس جعل المسواك فى فمه وجعل رأسه فى تلك الكوة التى كان يشرف منها على عبيده ثم خرج الى العبيد فقالوا له ذو نواس ارطب أم يباس فقال لهم (سل نحماس اسطبان ذو نواس اسطبان لاباس) وتفسيره سلوا الرأس الذى فى الكوة تخبركم واتركوا ذا نواس فلما رأوا ما فعل ذو نواس بلخيعة قالوا ما ينبغى أن يتملك علينا غير هذا الشاب الذى أراحنا من هذا الفاسق فاجتمعوا فملكوه عليهم ويقال ان اسمه يوسف وهو صاحب الاخدود الذى ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز فقال (قتل أصحاب الاخدود) وهو آخر من ملك من أهل اليمن وغرق نفسه حين غلبت عليه الحبشان وكان ملكه مائتى سنة وستين سنة لجميع ماملكوا من السنين ثلاثة آلاف سنة واثنان وثمانون سنة ـ ثم غلبت الحبشة على اليمن وملكها منهم ثلاثة (ارباط) بن أصحمة عشرين سنة* ثم ابرهة الاشرم أبو يكسوم وهو صاحب الفيل فسلط الله عليه ما قال فى كتابه الكريم (ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل) الى آخر

السورة وكان ملكه خمسين سنة وهو الذى بني القليس بصنعاء وأراد أن يرد اليه الحج فخرج اليه رجل من كنانة فقعد فيه ليلا فأحرقه فذلك كان السبب الذى من أجله أراد ابرهة هدم الكعبة وكان ماقص علينا الله في كتابه * ثم ملك بعده (يكسوم) ابنه سنتين فجميع ما ملكت الحبشة اثنين وسبعين سنة — ثم ملكها (سيف بن ذى يزن) لكسرى وقيل معدى كرب بن سيف ثم لم تزل الولاة بعد سيف تتداولها من قبل كسرى حتى أتى الله بالاسلام وملكها بعد ابن ذى يزن انوشروان بن وهرز ثم رجل يقال له (سنجار) ثم خرزاد ثم النوشجان ثم المرزبان ثم ابنه جرجس ثم باذان ثم ساسان ـ فهؤلاء مَنْ ملك اليمن من أهل اليمن وغيرهم وكان من أهل اليمن من خرج فملك الشام وهم الذين يقال لهم آل جفنة وملوك الحيرة أيضاً من أهل اليمن وهم آل المنذر ويقال انه قال رجل لعبد الله بن عمرو بن العاص (أن حمير تزعم أن تبعاً منهم) فقال (نعم والذى نفسى بيده انه في العرب كالأنف بين العينين وكان منهم سبعون تبعاً) وقال النعمان ابن بشير الانصارى *

لنا من بنى قحطان سبعون تبعاً * أطاعت لنا بالخرج منا الاعاجم
ومنا سراة الناس هود وصالح * وذو الكفل منا والملوك الاعاظم

أراد ثمانين فلم يتفق فى القافية ومثله قال ابن (حمرطاس) فى

قصيدته المقصورة وهو قوله *

سبعون ملكا تبعاً لم يكن * فيمن دراسواهم ومن برا

وقال حسان بن ثابت الانصارى *

فنحن بنى قحطان ذى الملك والعلا

ومنا نبيُّ الله هود بن عابر

وادريس ما ان كان فى الناس مثله

ولا مثل ذى القرنين جا بالعسا كر

وصالح والمرحوم يونس بعدما * ألاث به حوت فاحلب زاخر

شعيب والياس وذو الكفل كلهم

ثمانون قد فازوا بطيب السرائر

فأما ملوك الشام فأولهم الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة ابن امرئ القيس بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ويكنى الحارث بأبي شمر - ثم تداولها منهم سبعة وثلاثون ملكا ومدة ماملكوا من السنين ستمائة وست عشرة سنة الى أن انتهى الملك الى آخرهم وهو (جبلة بن الايهم) الذى تنصر على عهد عمر بن الخطاب بعد ان أقبل على عمر مذعناً للاسلام ثم كان منه أن لطم انساناً من الناس فلما أراد عمر إدانته تنصر ثم ندم على تنصره وقال *

تنصرت الاشراف من أجل لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني منها اللجاج ونخوة * فبعت لها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمي لم تلدني وليتني * رجعت الى القول الذي قاله عمر
وياليتني أرعى المخاض بقفرة * وكنت أسيرا في ربيعة أو مضر
وياليت لي بالشام أدنى معيشة
أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

ولما تنصر جبلة بن الايهم لحق (بهرقل) صاحب القسطنطينية فأقطعه هرقل الاموال والضياع والرباع وبقي كذلك ماشاء الله ثم ان عمر بعث الى هرقل رسولا يدعوه الى الاسلام أو الجزية فأجاب الى الجزية - فلما أراد الرسول الانصراف قال له هرقل ألقيت ابن عمك هذا النازل عندنا (يعني جبلة) الذي أتانا راغباً في ديننا قال مالقيته قال إلقه ثم ائتني أعطك جواب كتابك قال الرسول فذهب الى باب جبلة فاذا على بابه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثل ماعلى باب هرقل قال الرسول فلم أزل أتلطف في الاذن حتى اذن لي فدخلت عليه فرأيته أصهب اللحية ذا سبال وكان عهدي به أسود اللحية والرأس فانكرته فاذا هو قد دعا بسحالة الذهب فذرها على لحيته حتى عادت سوداء وهو قاعد على سرير من قوارير قوائمه أربعة أسود من ذهب فلما عرفني رفعني معه على السرير وجعل يسألني عن المسلمين فذكرت

خيراً وقلت تضاعفوا أضعافاً على ما تعرف قال وكيف تركت عمر ابن الخطاب فقلت بخير حال فرأيت الغم فى وجهه لما ذكرت من سلامة عمر ثم انحدرت على السرير فقال لم تأبى الكرامة التى أكرمناك بها قلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا فقال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك عن الدنس ولا تبالى على ما قعدت - فلما سمعته يقول صلى الله عليه وسلم طمعت فى اسلامه فقلت له ويلك يا جبلة ألا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله فقال أبعد ما كان منى قلت نعم قد كان رجل من بني فزارة فعل اكثر مما فعلت ارتد عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام فقبل ذلك منه وخلفته في المدينة مسلماً قال زرنى من هذا ان كنت تضمن لى أن يزوجنى عمر ابنته ويولينى الامر بعده رجعت الى الاسلام قال الرسول فضمنت له التزويج ولم أضمن له الامرة - قال ثم أومى الى خادم كان على رأسه فذهب مسرعاً واذا خدم قد جاءوا يحملون الصناديق فيها الطعام فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة والخلنج وقال لى كل فقبضت يدى وقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل فى آنية الذهب والفضة فقال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك وكل فيما أحببت قال فأكل هو فى الذهب وأكلت أنا فى الخزف ثم جىء بطشوت الذهب وأباريق

الفضة فغسل يده فى الذهب وغسلت يدى في الصفر * ثم أومأ الى خادم بين يديه فر مسرعا فسمعت حساً واذا خدم معهم كراسى مرصعة بالجوهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله ثم جاءت الجوارى عليها تيجان الذهب فقعدت عن يمينه وعن يساره على تلك الكراسي ثم جاءت جارية كأنها الشمس حسناً على رأسها تاج وعلى ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه وفى يدها جامة فيها مسك فتيت وفي يدها اليسرى جامة فيها ماء ورد فأومت تلك الجارية أو صفرت بالطائر الذى على تاجها فوقع فى جامة الورد فاضطرب فيها ثم أومأت اليه فطار حتى نزل على صليب تاج رأس جبلة فلم يزل يرفرف حتى نفض ماعليه فى رأسه فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت أنيابه ثم التفت الى الجوارى التى عن يمينه فقال لهن بالله اضحكنا فاندفعن يغنين يخفقن عيدانهن *

لله در عصابة نادمتهم * يوماً بجلق فى الزمان الاول
يسقون من ورد البريض نديمهم * راحاً تصفق بالرحيق السلسل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتى ما تهر كلابهم * لايسئلون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الأنوف من الطراز الأول

قال فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال أندرى من يقول هذا قلت لا قال حسان بن ثابت شاعر النبى صلى الله عليه وسلم * ثم أشار

الى الجوارى اللواتى عن يساره فقال لهن أبكيننا فاندفعن يغنين ويخفقن عيدانهن *

لمن الديار اقفرت بمعانى * بين أعلى اليرموك فالجمان
ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهـــر محلى لحادث الازمان

قال فبكى حتى سالت دموعه على لحيته ثم قال أتدرى لمن هذا قلت لا قال لحسان بن ثابت * ثم أنشد الابيات التى أولها (تنصرت الاشراف) ثم سألني عن حسان أحيّ هو قلت نعم فأمر له بكسوة ولي كذلك أيضاً وأمر بمال لحسان ونوق موقرة بزّاً ثم قال لي ان وجدته حيا فادفع اليه الهدية واقرئه منى السلام وان وجدته ميتا فادفعها الى أهله وانحر النوق على قبره ـ فلما أخبرت عمر بخبره وما اشترط عليّ وما ضمنته له قال فهلا ضمنت له الامرة فاذا أفاء الله به قضى الله علينا بحكمه * ثم جهزنى عمر الى هرقل مرة ثانية وأمرنى أن أضمن له ما اشترط ـ فلما دخلت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت أن الشقاء غلب عليه فى أم الكتاب * وأما ملوك الحيرة فأولهم مالك بن فهم بن غنم ابن دوس بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان خرج من اليمن مع عمر بن عامر مزيقياء حين أحسوا بسيل العرم وسيأتى خبر سيل العرم ان شاء الله تعالى ـ وكان مُلك مالك على الحيرة عشرين سنة

ثم ملك بعـده جذيمة الوضاح وكان يقال له ذلك لبرص كان به ويقال له أيضاً الابرش فـكان ينزل الانبار ولا ينادم أحداً من الناس زهوا بنفسه عن الندماء فـكان ينادم الفرقدين فاذاشرب قدحاً صب لهذا قدحاً ولهذاقدحا ويقال انه أول من عمل المنجنيق من الملوك وأول من حذيت له البغال وأول من رفع بين يديه الشمع وقتلته الزباء بنت عمر بن قطرب بن حسان بن أذينه بن السميدع ابن هوبر ـ وسنذكر بعض خبرها فى ذكر عمر وابن أخته القائم بعده فى حيلته على قتل الزباء بأمور يطول ذكرها ولـكنا نلمح بالبعض فـكان قتله لها أن الملك جذيمة الذى كان قبله كان خاله وكانت الزباء قد احتالت على قتله فقام عمرو هذا وهو عمرو بن عدى اللخمى الذى يقال له الطواق (شب عمرو عن الطوق) واحتال لها مع غلام كان لخاله جذيمة يقال له قصير بن سـعيد وذلك ان قصيرا قال لعمرو اضرب ظهرى واقطع أرنبة أنفى واتركنى واياها فلما فعل ذلك به فرّ قصير الى الزباء وصار من جملة رجالها وأراها النصح والاجتهاد فى قضاء حوائجها وأنه غاش لعمرو بن عدى فجعل يتجر لها ويذهب لعمرو في الخفية فيعطيه الاموال فيأتيها بها كأنها من اجتهاده وحذقه فى التجارة حتى اطمأنت اليه فذهب الى عمر فاخذه وأخذ معه الفى رجل وجملهم فى جوالق على الف جمل وجعل معهم دروعهم وسيوفهم وأتى

بهم كأنما فى الجوالق مال صامت وأتى بهم على طريق يقال له الغوير لم تكن عادته أن يسلكها قبل ذلك فلما قرب من حصنها تقدم اليها فأعلمها أنه أتاها بمال صامت فاشرفت من شرفات قصرها تنظر الى الجمال فرأتها وكأنها تنزع أرجلها من أوحال لثقل ما عليها فقالت « عسى الغوير ابؤسا » فذهبت مثلا ثم أنشأت تقول *

ما للجمال مشيها وئيدا * أجند لا يحملن أم حديدا

أم صرفانا باردا شديدا * أم الرجال جثما رقودا

وقد كان قصير قال لها قبل ذلك كله كالمستنصح لها ماينبغى لمثلك الا أن يكون لها موضع معد ليوم ما فانه لا يدرى ما تحدث به الايام فأرته سربا فى ناحية قصرها قد نفذت به الى حصن أختها وكانت حصونهما على حافتى الفرات فلما أتاها بما أتى به دخلت الابل على البواب حتى اذا بقى آخرها جمل عيل صبر البواب بكثرتها فطعن بعود كان بيده فى جولق من تلك الجوالق فقابل خاصرة الرجل الذى كان فيه فضرط فقال البواب (اشتالشقا) تفسيره أى شر فى الجوالق فثار الرجال من الجوالق بايديهم السيوف فخرجت الزباء هاربة الى سربها فأبصرت قصيراً عند باب السرب ومعه عمرو والسيف فى يده فمصت خاتما كان بيدها فيه سم ساعة وقالت بيدى لا بيد عمرو وفى ذلك يقول المتلمس ويذكر جدع قصير أنفه *

ومن طلب الاوتار ماجز أنفه قصير وخاض الموت بالسيف بيهس

وعمرو بن عدى هذا هو الذى استهوته الجن دهراً طويلا ثم أنه رجع فبينا مالك وعقيل ابنا فارج وقيل (فالج) يقصدان جزيمة الملك بهدية نزلا على ماء ومعهما قينة يقال لها أم عمرو فتعرض لهما عمرو وهو قد طالت أظفاره وشعره وساءت حاله وهيئته فجلس اليهما وهما يأكلان فمد اليهما يده مستطعماً فناولته تلك الجارية طعاماً فأكله ثم مد يده ثانية فقالت أن تعط العبد كراعاً يبتغ ذراعاً ثم ناولت صاحبيها من شرابها واوكأت سقاءها فقال لها عمرو *

عدلت الكأس عنا أم عمرو * وكان الكأس مجراها اليمينا
وما شرّ الثلاثة أمّ عمرو * بصاحبك الذى لا تصبحينا

فقال له الرجلان من أنت فانتسب لهما ففرحا به وأقبلا الى خاله مسرورين وقد كان خاله جعل الجعائل لمن يأتى به فلما بلغاه خاله قال لكما حكمكما فقالا له منادمتك فكانا كما اختارا فهما نديما جذيمة الابرش اللذين سار بهما المثل ويقال انهما نادماه أربعين سنة فما أعادا عليه حديثاً مما حدثاه به مرة أخرى بل كانا يحدثاه كل يوم بحديث جديد لم يسمعه منهما قبل وكان ملك عمرو مائة سنة ثم ملك بعده ابنه امرؤ القيس وكان ملكه ستين سنة * ثم ملك بعده ابنه عمرو بن امرئ القيس وهو موقد اخروب خمساً

وعشرين سنة وكانت أمه مارية التى يضرب المثل بقرطيها فيقال (قرطامارية) ثم ملك بعده النعمان بن امرئ القيس فارس حليمة وهو الذى بنى الخورنق وكردس الكراديس وكان أعور ويقال انه أشرف يوماً على ماحوالى الخورنق فقال أكل ماأرى الى نفاد فقيل له نعم فقال فأي خير فى ملك آخره الي نفاد ثم انخلع من ملكه ولبس المسوح وساح فى الارض وقد ذكره عدى بن زيد فى شعره فقال *

وتذكر رب الخورنق اذ * أشرف يوماً وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يملك والبحر معترض والسدير
فارعوى قلبه وقال فما * غبطة حى الى الممات يصير

وكان ملكه خمساً وثلاثين سنة *ثم ملك الاسود بن النعمان عشرين سنه ـ ثم ملك المنذر بن الاسود وكانت أمه ماء السماء وسميت ماء السماء لحسنها وجمالها فعرفوا بعد ذلك ببنى ماء السماء وكانت مدة ملكه أربعاً وثلاثين سنة ـ ثم ملك بعده عمرو بن المنذر اربعاً وعشرين سنة ـ ثم ملك بعده المنذر بن عمرو بن المنذر ستين سنة ـ ثم ملك بعده قابوس بن المنذر ثلاثين سنة *ثم ملك النعمان بن المنذر وهو الذى يقال له (ابيت اللعن) اثنتين وعشرين سنة وهو آخر من ملك منهم وقتله كسرى برويز وسيأتى خبره فى موضعه* ثم ملك بعده اياس بن قبيصة واتى الله بالاسلام فهؤلاء

ملوك اليمن من كان منهم باليمن والشام والحيرة *

وأما قوله (ولا أجارت ذوى الهيئات من مضر) فانما ضمنه القافية لان مضر لم يكن فيها قبل الاسلام ملوك كما كان فى اليمن حتى نذكرهم خبراً كاليمن والفرس واليونان وغيرهم من الأمم الى أن أتى الله بالاسلام فكانت لمضر الغاية التى سبقت الغايات والآية التى أربت على الآيات من النبوة ثم الخلافة ثم الأمراء الذين كانوا منهم فغايات مضر لم تنقطع بعد فنذكرها ونذكر رجالها كما عملنا فى اليمن وغيرها وهم أكثر من أن يحصيهم العدّ اذا عدّ رؤساؤهم وأمراؤهم فأضربنا عن أن نذكرهم أو نذكر واحداً منهم اذ لا فائدة فى ذكر واحد وترك الآخرين ولا استطاعة على ذكر جميعهم اذ قد ملؤا الآفاق وطبقوا البلاد ثم قال *

(ومزقت سبأ فى كل قاصية * فما التقى رائح منهم بمبتكر) (١)

سبا الذى ذكره هو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وسمى سبا لانه أول من أدخل السبي بلاد اليمن واسمه عبد شمس وكان له عشرة من الولد سكن الشام منهم أربعة وهم لخم

---

(١) من ابن الاثير يعنى ان الليالى مزقت سبأ فى كل بقعة قاصية اى بعيدة فلم يلتق السائر منهم آخر النهار بمن سار اوله اشار بذلك الى قوله تعالى فى سبا (ظلموا انفسهم فمزقناهم كل ممزق) وقصتهم مشهورة انتهى والاية فى سورة سبأ وهى قوله بعد سياقة خبرهم (فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور)

وجدام وغسان وعاملة وسكن اليمن منهم ستة وهم كندة ومذحج وطي والاشعر والازد وأنمار وقد ذكر الله تعالى تمزيقهم فى كتابه فقال (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم) الى قوله (ومزقناهم كل ممزق) وكانت أرضهم (مأرب) من بلاد اليمن وكانت العمارة فيها أزيد من مسيرة شهرين للراكب المجدّ وكانوا يقتبسون النار بعضهم من بعض مسيرة ستة أشهر واذا أرادت المرأة أن تجتنى من ثمارها شيئا وضعت مكتلها على رأسها وخرجت تمشي تحت الثمار وهى تغزل أو تعمل ما شاءت فلا ترجع حتى يمتلئ مكتلها مما شاءت من الثمر الذى يتساقط طيباً وقد قيل ان مأرب اسم ملكها فسميت تلك الارض به وفيه يقول الشاعر *

من سبأ الحاظرين مأرب اذ * يبنون من دون سيله العرما

وقيل إن مأرب اسم لقصر ذلك الملك وفى ذلك يقول الطمحان

ألم تروا مأرباً ما كان أحصنه * وما حواليه من سور وبنيان

وكان أول من خرج من اليمن فى أول تمزيقهم عمرو بن عامر مزيقياء وقيل له مزيقياء لانه كان يمزق فى كل يوم حلتين وكان تمزيقه اياهما أنه كان يلبسهما أول النهار ويأمر بتمزيقهما آخره لئلا يلبسهما أحد بعده وكان سبب خروج عمرو بن عامر من

اليمن أنه كانت له زوجة كاهنة يقال لها طريفة الخير رأت فى منامها أن سحابة غشيت أرضهم فأرعدت وأبرقت ثم أصعقت فأحرقت كل ماوقعت عليه ففزعت طريفة فزعاً شديداً وأنت الملك عمراً وهى تقول ما رأيت اليوم ميل عنى النوم رأيت غيما أرعد وأبرق طويلا ثم أصعق فما وقع على شىء الا أحرق فلما رأى ما داخلها من الفزع سكنها * ثم ان عمراً دخل حديقة له ومعه جارية من جواريه فبلغ ذلك طريفة فخرجت اليه وخرج معها وصيف لها اسمه سيار فلما برزت من بيتها عرض لها ثلاث مناجيد منتصبات على أرجلها واضعات أيديهن على أعينهن وهى دواب تشبه اليرابيع فقعدت الى الارض واضعة يديها على عينيها وقالت لوصيفها اذا ذهبت هذه المناجيد فاخبرنى فلما ذهبت أعلمها فانطلقت مسرعة فلما عارضها خليج الحديقة التى فيها عمرو وثبت من الماء سلحفاة فوقعت في الطريق على ظهرها وجعلت تروم الانقلاب على بطنها فلا تستطيع وتستعين بذنبها فتحثو التراب على بطنها من جنباته وتقذف بالبول قذفاً فلما رأتها طريفة جلست الى الارض فلما عادت السلحفاة الى الماء مضت طريفة الى أن دخلت على عمرو وذلك حين انتصف النهار في ساعة شديدة الحر فاذا الشجر يتكفأ من غير ريح فلما رآها عمرو استحيا منها وأمر الجارية بالتنحى عنه * ثم قال لها يا طريفة ماأتى بك فكهنت وقالت

والنور والظلمات والارض والسموات ان الشجر لهالك وليعودن الماء كما كان فى الزمن السالك فقال عمرو ومن أخبرك بهذا قالت أخبرتنى المناجد بسنين شدائد يقطع فيها الولد الوالد قال ما تقولين قالت أقول قول الندمان لهفا لقد رأيت سلحفاة تجرف التراب جرفا وتقذف بالبول قذفا فدخلت الحديقة فاذا الشجر من غير ريح يتكافأ قال عمرو وما ترين فى ذلك قالت هى داهية دهياء من أمور جسيمة ومصائب عظيمة قال وما هو ويلك قالت أجل وان فيه الويل ومالك فيه من نيل وان الويل فيما يجيء به السيل فألقى عمرو نفسه عن فراشه وقال ما هذا يا طريفة قالت هو خطب جليل وحزن طويل وخلف قليل والقليل من تركه قال وما علامة ما تذكرين قالت اذهب الى السد فاذا رأيت جرذاً يكثر بيده فى السد الحفر ويقلب برجليه مراجل الصخر فاعلم أن العنز عقر وان قد وقع الامر قال وما هذا الامر الذى تذكرين قالت وعد من الله نزل وباطل بطل ونكال بنا نكل فبغيرك يا عمرو فليكن الثكل فانطلق عمرو الى السد فحرسه فاذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلها خمسون رجلا فرجع الى طريفة فأخبرها الخبر وهو يقول *

أبصرت أمراً عاد لى منه ألم * وهاج لى من هوله برح السقم
من جرذ كفحل خنزير الاجم * أو كبش صرم من أفاويق الغنم

يسحب قطرا من جلاميد العرم * له مخاليب وانياب قضم
ما فاته سحلا من الصخر قصم

فقالت طريفة وان من علامة ما ذكرت لك أن تجلس فتأمر بزجاجة فتوضع بين يديك فان الريح تملؤها بتراب البطحاء من سهل الوادى ورمله وقد علمت ان الجنان مظللة ما يدخلها شمس ولا ريح فامر عمرو بزجاجة فوضعت بين يديه ولم تمكث الا قليلا حتى امتلأت من تراب البطحاء فأخبر عمر وطريفة بذلك وقال لها متى يكون هلاك السد قالت له فيما بينك وبين سبع سنين قال ففى أيها يكون قالت ما يعلم بذلك الا الله ولو علمه أحد من الخلق لعلمته وانه لا تأتى علىَّ ليلة فيما بينى وبين السنين السبع الا ظننت هلاكه فى غدها أو فى مسائها * ثم ان عمراً رأى فى النوم (سيل العرم) وقيل له آية ذلك أن ترى الحصباء قد ظهرت فى سعف النخل وكرمه فنظر اليه فوجد الحصباء قد ظهرت فيه فعلم أن ذلك واقع وأن بلادهم ستخرب فكتم ذلك وأخفاه وأجمع على بيع كل شىء له بأرض مأرب وأن يخرج منها هو وولده ولكنه خشى أن يستنكر عليه الناس ذلك فأمر أحد أولاده اذا دعاه لما يدعوه اليه أن يتأبى عليه ولا يجيبه وأن يفعل ذلك به فى الملأ من الناس واذا لطمه يرفع هو يده ويلطمه ثم صنع طعاماً وبعث الى أهل مأرب ان عمراً صنع طعاماً يوم

مجد وذكر فأحضروا طعامه فأقبل الناس فلما جلسوا للطعام جلس عنده ابنه الذى أمره بما أمر فجعل يأمره بما أمر فيتأبى عليه ولا يأتمر وينهاه فلا ينتهى فرفع عمرو يده فلطم وجه ابنه فلطمه ابنه وكان اسمه مالك فصاح عمرو وقال واذلاه يوم فخر عمرو وبهجته صبيٌّ يضرب وجهه وحلف ليقتلنه فلم يزالوا بعمرو يرغبون اليه حتى تركه فقال والله لا أقيم بموضع صنع أبى فيه هذا ولأ بيعن أموالى حتى لا يرثها هذا بعدى فقال الناس بعضهم لبعض اغتنموا غيظ عمرو واشتروا منه أمواله قبل أن يرضى فابتاع الناس منه كل ماله بأرض مأرب وفشا بعض حديثه فيما بلغه من شأن سيل العرم فقام أناس من الازد فباعوا موالهم فلما أكثروا البيع استنكر الناس ذلك فأمسكوا أيديهم عن الشراء فلما اجتمعت الى عمرو أمواله أخبر الناس بشأن سيل العرم - ولما خرج عمرو من اليمن خرج لخروجه منها بشر كثير فنزلوا أرض (عك) فحاربتهم عك فارتحلوا من بلاد عك ثم اصطلحوا وتبقوا بها حتي مات عمرو بن عامر مزيقياء وتفرقوا على البلاد فنهم من سار الى الشام وهم أولاد جفنة بن عمرو بن عامر ومنهم من سار الى يثرب وهم أولاد قيلة وهم الخزرج والاوس وأبوهما حارثة بن ثعلبة بن عامر مزيقياء وسارت أرض الشراة الى أرض الشراة وازدعمان الى عمان وسار مالك بن فهم الى العراق * ثم

خرجت بعد عمرو بيسير من أرض اليمن طى فنزلت جبلى طى (أجا وسلما) ونزلت ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر تهامة وسموا خزاعة لانخزاعهم من اخوانهم وتمزقوا على البلاد كل ممزق — ثم أرسل الله على السد السيل فهدمه وهو سيل العرم الذى ذكره الله في كتابه العزيز * واختلف فى العرم فقيل العرم السيل واحدته عرمه * وقيل العرم الجرذ وكان السد فيما يذكرون قد بناه لقمان الاكبر بن عاد وكان رصفه لحجارة السد بالرصاص والحديد وكان فرسخا فى فرسخ وقيل ان الذى بناه ملك من ملوك حمير وقد ذكر ذلك ميمون بن قيس الاعشى وذكر فساده فقال

وفى ذاك للمؤتسي أسوة * ومأرب عفى عليها العرم
رخام بنته لهم حمير * اذا جاء مواره لم يرم
فأروى الزروع وأعنابها * على سعة ماؤهم اذ قسم
فصاروا أيادى مايقدرو * زمنه على شرب طفل فطم

ولهذا قال (ومزقت سبأ فى كل قاصية) اشارة الى تفريقهم على البلاد كما ذكرنا والله أعلم *

(وأنفذت فى كليب حكمها ورمت
مهلهلا بين سمع الارض والبصر) (١)

---

(١) من ابن الاثير قوله ورمت مهلهلا الخ هو مثل يقال فعل كذا وكذا بين سمع الارض والبصر اذا فعله خاليا * ومهلهل يقال انه قتل بموضع لم يطلع عليه عين احد ولا سمعت اذنه اه

كليب الذى ذكره هو كليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير ابن جشم الذى يقال فيه (أعز من كليب وائل) وبلغ من عزه فى قومه أنه كان لا يوقد أحد ناراً مع ناره - ولا يورد أحد ابله مع ابله* ويقول وحش فلانة فى جوارى فلا يهاج ومواقع السحاب من أرض فلانة فى جوارى فلا يرعى وهو قائد معد يوم خنوار ففض بهم جموع اليمن فاجتمعت عليه معد كلها وملكوه عليهم وجعلوا له تحية الملك وتوجته وأطاعته وما اجتمعت معد كلها قط الا على ثلاثة هو أحدهم وأبوه هو الثانى منهم قادها يوم السلان وهو يوم كان أيضاً بين معد واليمن والثالث عامر بن الظرب بن عمر بن يشكر بن الحارث بن عمر بن قيس بن غيلان قادها يوم البيداء وهو أول يوم كان بين معد واليمن ولما ملكت معد كليباً على انفسها بغى على قومه بما هو فيه من عزه وانقياد معد كلها له حتى بلغ من عزه وبغيه ما ذكرنا وقتله جساس بن مرة وهو صهره وابن عمه وجساس هذا هو الذى يقال له حامى الجار مانع الذمار وكان سبب قتله أنه كانت لجساس جارة يقال لها البسوس وهى البسوس بنت منقذ بن سلمان المنقرى جار جساس وقال ابن دريد وابو رياش ان البسوس هى ابنة منقذ بن عمر بن سعد بن زيد مناة بن تميم وكان للبسوس ناقة يقال لها السراب وبهما تضرب العرب المثل فى الشؤم فتقول (أشأم من البسوس وأشأم من السراب) وذلك لاجل ماجرى

بين ابنى وائل بسببهما فانه يقال ان الحرب لبثت بينهما أربعين سنة وكانت هذه الناقة معقولة بفناء بيت البسوس يوماً من الايام فمرت بها ابل لكليب فنازعت السراب عقالها حتى قطعته وتبعت ابل كليب حتى دخلت فيها فلما انتهت الى كليب أنكرها وكان على الحوض الذى ترد فيه الابل ومعه قوسه وكنانته فرمي السراب بسهم فخرم ضرعها فنفرت الناقة وهى ترغو * وقيل ان سبب رميه للسراب انه مشى بعض الايام فى حماه وكان هذا الحمى مسيرة يوم فى يوم ولم يكن يدخله أحد من العرب اجلالا لكليب الاصهره مرة أبو جساس (فان المرآة أخت جساس بن مرة كانت تحت كليب) وكانت المساكن التى ينزلها في الصيف مواضع يقال لها ذو الخناصرة وذو القطب والحناطة والركبتان والفياض (وهو الموضع المعروف بالملاهى كان الحيان يجتمعان فيه لكليب فيلعبون ويلهون ويقريهم فيه كليب ولذلك سمي بالملاهى وهو مما يلى أرض غسان) وكان يظعن فى الشتاء الى أرض غسان من تهامة وكان حد الحمى الذى يحميه كليب ما بين المحرقة من أرض غسان وخزارى وهى المهجم وكان مورد هذا الحمى ومياهه سهاما وسرودا (فمشى ذات يوم فى ذلك الحمى) فوجد قبرة قد باضت في الحمى فقال هذه القبرة فى جوارى وقال يخاطبها وكان حماه يسمى المعمر وتسمى أرضه أرض فاس فقال *

يا لكِ من قبرة بمعمر خلالك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري

فدخلت ناقة البسوس ذلك الحمى فوطئت على عش القبرة فكسرت بيضها فلما علم كليب أن السراب صنعت ذلك رماها بالسهم الذي خرم ضرعها فلما رأتها البسوس القت خمارها وصاحت واذلاه واجاراه فلما سمعها جساس وعلم بذلك أحشمته فركب فرساً له معروفة وأخذ رمحه بيده وركب معه عمرو بن الحارث ابن ذهل بن شيبان على فرس ومعه معتلة له حتى دخلا على كليب في حماه فطعنه جساس فقصم صلبه وطنه عمرو بن الحارث فوقع كليب يفحص برجليه ثم قال لجساس اغثني بشربة من الماء فقال تجاوزت (شبيثا والاحص) والاحص ماء لغسان وهناك قتله جساس وفي ذلك يقول عمرو بن الاصم *

وان كليباً كان يظلم قومه * فادركه مثل الذي تريان
فلما حشاه الرمح كف ابن عمه * تذكر ظلم الاهل اي اوان
وقال لجساس اغثني بشربة * والا فخبر من ترى بمكاني
فقال تجاوزت الاحص وماءه * وماء شبيث وهو غير دفان

وقال نابغة جعدة *

الا ابلغ عقالا ان خطة داحر * لتكفيك فاستأخر لها او تقدم
كليب لعمري كان اكثر ناصراً * وايسر جرما منك ضُرّج بالدم

رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة * كحاشية الثوب اليماني المسهم
وقال لجساس اغثني بشربة * تدارك بها مناً علىّ وانعم
فقال تجاوزت الاحص وماءه * وبطن شبيث وهو غير مبرسم

ولما قتل جسَّاس كليبا وقعت الحرب بين بكر وتغلب وشمر مهلهل اخو كليب لحرب بكر وسُمى مهلهل لانه اول من هلهل الشعر أى رققه وهو خال امرئ القيس ومهلهل اول من قصد القصائد وفيه يقول الفرزدق *

﴿ومهلهل الشعراء ذاك الاول﴾

فاستعد مهلهل لحرب بكر بني تغلب وترك النساء والغزل وحرم القمار والخمر وارسل رجالا من تغلب الى بكر يعذر اليهم فيما وقع ويعرض عليهم اربع خصال فاتت رسله مرة بن ذهل بن شيبان اباجساس وهو فى نادى قومه فقالت انكم اتيتم عظيما فى قتلكم كليبا فى ناب من الابل وقطعتم بيننا وبينكم الرحم وانا كرهنا العجلة عليكم دون الاعذار ونريد ان نعرض عليكم خصالا اربعا فيها مخرج لكم ومقنع لنا فقال مرة وماهى قالوا إمَّان تحيي لنا كليبا او تدفع لنا جساسا فنقتله به او همَّاما أخاه فانه كفء كريم له اوتمكننا من نفسك فان فيك وفاءً من دمه فقال مرة أما احياء كليب فلا سبيل اليه وأما جساس فانه غلام طعن طعنة على عجلة ثم ركب فرسه فلا أدرى أىَّ البلاد احتوت عليه واما همام فانه

ابو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة وكلهم فرسان فى قومهم ولم يسلموه لى فادفعه اليكم يقتل بجريرة قومه وأما انا فهل هو الا ان تجول الخيل غداً جولة فاكون اول قتيل بينها فما اتعجل الموت ولكن عندى خصلتان أما احداهما فهؤلاء بنىّ الباقون علقوا فى عنق من شئتم منهم تسعة فانطلقوا به الى رحالكم واذبحوه ذبح الخروف والافالف ناقة سود المقلة أقيم لكم بها كفيلا من بكر بن وائل فغضب القوم وقالوا لقد أسأت تبذل لنا صغار اولادك وتسومنا اللين فى دم كليب ووقعت الحرب بينهم فقال المهلهل يرثى كليبا *

بتُّ ليلا بالانعمين طويلا * ارقب النجم ساهرا أن يزولا
كيف اهدى ولا يزال قتيل * من بنى وائل أينسى قتيلا

فى قصيدة طويلة وقال ايضا يرثيه *

كليب لا خير فى الدنيا ومن فيها * اذ أنت خليتها فيمن يخليها
نعى النعاة كليباً لى فقلت لهم * مالت بنا الارض اوزالت رواسيها
الحزم والعزم كانا من صنائعه * ما كل آلائه يا قوم نحصيها
القائد الخيل تردى فى أعنتها * زهواً اذا الخيل لجت فى تعاديها
يهزهزون من الخطى مدمجة * كمتا أنابيبها شهباً عواليها
ليت السماء على من تحتها وقعت * وانشقت الارض فانجابت بمن فيها

ولم يزل المهلهل يطلب بثار كليب ولا يبالى بمن يقتل من بكر

حتي قتل فى جملة من قتل بجير بن الحارث وقال بُؤ بشسع نعل كليب وقال يصف أيامه في محاربته مع بكر وينعاها عليهم *

أليلتنا بذى جشم أنيرى * اذا أنت انقضيت فلاتحورى
فان يك بالذنائب طال ليلى * فقد أبكى من الليل القصير

وفيها يقول *

فلو نُبش المقابر عن كليب * فيخبر بالذنائب أىَّ زير

وانما قال هذا لان كليباً كان يعيبه ويقول له انما أنت زير نساء وفيها يقول حين قتل بجير بن الحارث*

هتكت به بيوت بنى عباد * وبعض الغشم أشفى للصدور
على أن ليس عدلا من كليب * ولو برزت مخبأة القصور
ولولا الريح أسمع أهل حجر * صليل البيض تقرع بالذكور

وهذا أول كذب كذبته العرب في أشعارها ولم تكن تكذب قبل حتى نبههم عليه المهلهل وشرع لهم طريقه على ما ذكر وهي قصيدة طويلة ولما بلغ الحارث قتل بجير ابنه قال نعم القتيل قتيل أصلح بين ابنى وائل وظن أن مهلهلا قد أدرك ثاره وجعله كفئاً له فقيل انما قتله بشسع نعل كليب فغضب الحارث عند ذلك (وقد كان اعتزل حرب تغلب وبكر) فتولى حرب تغلب بنفسه من ذلك الوقت — وأول يوم شهده الحارث من تلك الايام يوم قضة وهو يوم تحلاق اللمم وفيه يقول طرفة بن العبد *

سائلوا عنا الذى يعرفنا * بقوانا يوم تحلاق اللمم
يوم تبدى البيض عن أسواقها * وتكفّ الخيل اعراج النعم

ويوم تحلاق اللمم سُمى بذلك لان الحارث بن عباد لما قتل ابنه اجتمعت له بكر وكان فارسهم وهو فارس النعامة والنعامة اسم فرسه فقال لهم احملوا معكم نسائكم يكنّ من ورائكم فاذا وجدن جريحاً منهم قتلنه وان وجدن جريحاً مناسقينه واطعمنه فقالوا له ومن أين يتميز لهن بكر من بنى تغلب فقال لهم احلقوا رؤسكم لتمتازوا بذلك ففعلوا فسمي يوم تحلاق اللمم فحلقت بكر باجمعها رؤسها الا (جحدر بن ضبيعة) منهم وكان من شجعانهم فقال لهم اتركوا لمتى وأنا أقتل لكم أول فارس يقدمهم ثم أنه صرع بعد ذلك فلما رأته نساء بنى بكر دون حلق ظننه من تغلب فاجهزن عليه وهو الذى قتل يوم ذلك فارسين طعن (أحدهما) بسنان رمحه (والثانى) بزجه وهما عمر وعامر التغلبيان وانكشفت فيه تغلب وهو أول يوم ظهرت فيه بكر على تغلب وكان الظهور فى سائر أيامهم لتغلب على بكر حتى ظنوا أنه الفناء وكان لهم من الايام قبل ذلك يوم النهى ويوم الذنائب وهو من اكبر أيامهم ويوم واردات وفيه قتل همام بن مرة أخو جساس فربه المهلهل وكان له صديقاً فرآه مقتولا فقال والله ما قتل بعد كليب أعز علىّ فقداً منك وقتله ناشرة وكان همام رباه صغيراً ومن أيامهم التى

كانت لتغلب على بكر يوم الحنو ويوم عويرضات ويوم اثير ويوم ضربة ويوم القضبات وكان بين المهلهل وهمام من الاخوة والود ان قد كان آلى كل واحد منهما أن لا يكتم صاحبه خبراً كائناً ما كان — فلما قتل جساس كليباً كان في ذلك اليوم المهلهل مع همام في شراب فارسلت بكر رسولا الى همام ليخبروه بذلك سراً مخافة عليه من بنى تغلب فلما أتاه الرسول سارّه بذلك فتغير وجهه وقال له مهلهل لما كان بينهما من العقد على أن لا يكتم أحد عن صاحبه خبراً ما قال لك هذا الرجل فقال همام اخبرنى أن جساساً قتل كليباً فظنها المهلهل كذباً فقال لهمام است جساس أضيق من ذلك ثم قام همام ولحق بقومه مخافة على نفسه ولما تولى الحارث الحرب بنفسه ووالى الهزائم على تغلب أسر فى بعض الايام عدياً وهو لا يعرفه فى السلاح فقال له دلنى على عدى بن ربيعة واخلى سبيلك فقال له عليك العهد بذلك قال نعم قال فأنا عدى فجزّ ناصيته وتركه * وكذلك كانت العرب تفعل ويفخر بذلك فاخرهم ويقول جززت من نواصى الفرسان كذا وكذا وفى أنه أسره ولم يعرفه يقول الحارث بن عباد *

لهف نفسى على عدى ولم * أعرف عدياً اذ أمكنتنى اليدان

ويقال انه لما أتاه خبر ابنه قال *

قرّبا مربط النعامة منى * لقحت حرب وائل عن حيالى

وهى قصيدة طويلة كرر فيها (قربا مربط النعامة) فى خمسين بيتا وهى نحو المائة وقد كان آلى أن لا يصالح تغلبا حتى تكلمه الارض فلما كثرت وقائعه فى تغلب ورأت تغلب أنها ما تقوم له حفروا سربا تحت الارض وأدخلوا فيه رجلا وقالوا له اذا مربك الحارث فغنّ بهذا البيت *

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض

فلما أتى الحارث على ذلك الموضع اندفع ذلك الرجل يغنى بذلك البيت — وابو منذر كنية الحارث فقيل للحارث قد بر قسمك فأبق بقية قومك ففعل واصطلحت بكر وتغلب ففر المهلهل بنفسه ونزل بمذحج فى قوم يقال لهم جنب فاجاروه من بكر بن وائل وكان الذى أجاره معاوية الخير وتزوج ابنة مهلهل بعد أن أبى ذلك فاكرهوه وساقوا له فى المهر قبة من ادم وفى ذلك يقول مهلهل *

اعزز على تغلب بما لقيت * أخت بنى الاكرمين من جشم
انكحها فقدها الاراقم فى * جنب وكان الحباء من أدم
لو ان نايين جاء يخطبها * ضرج ما انت خاطب بدم

واما قوله (رمت مهلهلا بين سمع الارض والبصر)

فاشارة الى ما يقال انه قتل بموضع لم يطلع عليه عين احد ولا سمعته اذنه وهذا مثل يقال فعل كذا بين سمع الارض

وبصرها اذا فعله خاليا وكان سبب قتله انه لما اصطلح ابنا وائل وفرهو الى جنب قوم من مذحج اشترى عبدين يغزوان معه فغزا بهما حتى طال عليهما الامر واحبا الراحة منه فاجمعا على قتله بموضع قفر - فلما شعر بانهما فاعلان ولم ير لنفسه منجى قال لهما أما اذا عولتما على قتلى فابلغا عنى هذه الرسالة فقالا له هات رسالتك فانشدهما *

من مُبلغ عنى بان مهلهلا * لله درُّكما ودرُّ ابيكما

فلما قتلاه وانصرفا نحو بيته قيل لهما ما فعل سيدكما قالا مات بارض كذا فدفناه بها لارض سمياها - قيل لهما أفما اوصى بشيء حين مات قالا اوصانا بكيت وكيت وانشدا البيت فلم يدر احد ما اراد وقالوا ما هذا بشعر مهلهل فقالت ابنته والله ما كان أبى رديء الشعر ولا سفساف الكلام وانما أراد أن يخبركم بان هذين العبدين قتلاه - وانما معنى هذا البيت *

مَن مُبلغ عنى بان مهلهلا * أضحى قتيلا بالفلاة مجندلا

لله دركما ودر أبيكما * لا يبرح العبدان حتي يقتلا

فقتل العبدان بعد أن أقرا ان ذلك كذلك كان وانهما أحبا الراحة منه لطول ماجشمهم من الغزو والسفر - وقيل انه أصبح ميتاً بين يدى جمل هاج عليه كان للاعسر بن فلان فلم يعلم أحد بموته حتى أصبح كذلك والله أعلم بأى ذلك قد كان *

(ولم تردّ على الضليل صحته * ولا ثنت أسداً عن ربّها حجر)

الضليل هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو والحارث هو آكل المرار وسمى امرؤ القيس بالملك الضليل لانه ترك ملكه وخرج يطلب من قيصر جيشاً يأخذ به ثار أبيه وقوله (ولم ترد على الضليل صحته) لقول امرئ القيس فى السينية التى أولها *

﴿ الما على الربع القديم تعبساً ﴾ وفيها يقول *

وبدلت قرحاد اميا بعد صحة * لعل منايانا تحولن ابؤسا
لقد طمح الطماح من بعد أرضه * ليلبسنى من دائه ماتلبسا

والطماح رجل من بنى أسد أرسل معه قيصر حلة مسمومة الى امرىء القيس ـ فلما لبسها تقطع لحمه فمات بانقرة من بلاد الروم ـ وقيل ان سبب ذلك أن قيصرا كان أتاه امرؤ القيس يستنجده على بنى أسد وكانت بنواسد قد قتلت حجراً يوم مافط وفى ذلك يقول امرؤ القيس حين بلغه قتله *

ارقت لبرق بليل أهل * يلوح سناه بأعلى القلل
بنواسد قتلوا ربهم * ألا كل شىء سواه جلل

ومن أجل هذا قال أبو محمد رحمه الله (ولا ثنت أسداً عن ربها حجر) وكانت العرب تسمى السيد والملك عليهم رباً وكان الذى قتله منهم قبيلتين يقال لاحداهما مالك وللاخرى كاهل ولذلك يقول *

والله لايذهب شيخي باطلا * حتى أبيد مالكا وكاهلا

القاتلين الملك الحلاحلا * خير معد حسباً ونائلا

وتولى قتله منهم علياء بن الحارث أحد بنى كاهل وفيه يقول *

وأفلتهن علباء جريضا * ولو أدركته صفر الوطاب

وذلك أنه لما قصد امرؤ القيس بنى أسد وهو يريد علياء وكان لايعلم أحد باقباله فلما كانت الليلة التي يصبح فيها كاهلا بادر مخافة أن يصل اليهم خبره بجمل القطا ينفر فيمر على عليا فقالت أمته ما رأيت كالليلة قطا فقال لها علياء (لو ترك القطا ليلا لناما) ثم ارتحل عن موضعه ذلك فصبح امرؤ القيس المنزل فلم يلف فيه أحداً من بنى كاهل والفى بنى كنانة في ديارها فأوقع بهم وهو يظن انهم بنو كاهل فلما عرفهم كف عنهم وهو يقول *

ألا يالهف نفسى أين قوم * هم كانوا الشفاء فلم يصابوا

وكان امرؤ القيس استنجد قيصر على بنى أسد حين قتلوا أباه وحالوا بينه وبين ملكه وفى ذلك يقول *

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه * وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك انما * نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

وكان سبب ملك امرىء القيس وملك آبائه على بنى وائل (على ماذكر أبو عبيدة) انه لما تسافهت بكر بن وائل وقطع بعضها أرحام بعض اجتمع رؤساؤهم فقالوا إن سفهاءنا قد غلبو علينا

حتى أكل القوى الضعيف ولا نستطيع دفع ذلك فالرأى أن نملك علينا ملكا نعطيه الشاة والبعير فيأخذ للضعيف من القوى ويرد على المظلوم من الظالم ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون فيفسد ذات بيننا ولكنا نأتى تبعاً فنملكه علينا فأتوه وذكروا له أمرهم فملك عليهم الحارث بن عمر الكندى جد امرىء القيس المعروف بآكل المرار وكان ينزل بطن عاقل وهو واد من أودية بكر بن وائل — وسمى الحارث بآكل المرار لان عبد « ياليل » أغار عليه فأخذ زوجة الحارث فيمن أخذ فأعجبت وخافت أن يستنقذها الحارث وكان أسود آدم فقالت لعبد ياليل (أنج بنفسك قبل التبع فكأنى بالحارث كأنه جمل آكل مرار قد لحقك) فما كان الا كلا ولا حتى لحقهم الحارث فاستنقذها منه وقال لها هل أصابك قالت نعم وما اشتملت النساء على مثله فأمر أن تربط الى فرس ويركض حتى يقطعها — فالحارث وبنوه هم ملوك كندة وكان السبب فى أن البس قيصر امرأ القيس هذه الحلة أن أغراه به الطماح الاسدى وكان الطماح متعلقاً بقيصر فأغراه به وقال انه لم يرض بحباء الملك ولا صدق وعده : وقد كان وعده النصر على بنى أسد وقد زعم أنه يقود اليك العرب عن آخرها — وقيل ان الطماح سم تلك الحلة وذهب بها الى امرىء القيس وقال له يقول لك الملك البس هذه تتشرف بها وسيأتيك نصره — وانما فعل ذلك

الطماح ابقاء منه على قومه إذ كان قيصر قد وعده انجاده على بنى أسد والله سبحانه وتعالى أعلم بأى ذلك قد كان *

(ودوَّخت آلَ ذبيان وإخوتهم * عبساً وعضت بنى بدر على النهر)

ذبيان وعبس أخوان فان ذبيان بن بغيض وعبساً بن بغيض ابن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن غيلان وقوله (دوَّخت) أى ذللت وذلك لان الحرب دامت بينهم أربعين سنة فلم تنتج لهم ناقة ولا فرس لاشتغالهم بالحرب وكان السبب الذى هاجت الحرب بينهم من أجله ان قيس بن زهير وحمل بن بدر تراهنا على (داحس والغبراء) أيهما يكون له السبق وكان داحس فرساً لقيس بن زهير والغبراء حجرة لحمل بن بدر الذبيانى وجعلا الرهان مائة ناقة وأن يكون منتهى الغاية مائة غلوة والمضمار أربعين يوماً ـ ثم أرسلاهما الى رأس الميدان وكان فى مواضع كثيرة من طريق الغاية شعاب فأكمن حمل بن بدر في تلك الشعاب فتياناً من فزارة على طريق الفرسين وقال لهم ان جاء داحس سابقاً ردوه عن الغاية ثم أرسلاهما فخرجت الانثى عن الفحل فقال حمل بن بدر سبقتك ياقيس فقال قيس رويداً حتى يعدوان الجدد الى الوعث وترشح أعطاف الفحل فلما خرجا من الجدد الى الوعث برز داحس على الغبراء فقال قيس (جرى المذكيات غلاب) فلما شارف داحس الغاية ودنا من الفتية وثبوا فى وجهه فردوه حتى برزت عليه الغبراء ففى ذلك يقول قيس *

وما لاقيت من حمل بن بدر * واخوته على ذات الاصاد
هم فخروا علىَّ بغير فخر * وردوا دون غايته جوادي

فثارت الحرب بينهم ثم ان حذيفة بن بدر أخا حمل بن بدر بعث ابنه مالكا الى قيس بن زهير يطلب منه حق السبق فأخذه قيس فقتله وقطع يده وعلق يد الصبي فى عنان فرسه فرجعت الفرس غائرة واليد معلقة فى عنانها فاجتمع الناس وحملوا ديته مائة ناقة عشراء - وزعموا أن الربيع بن زياد العبسي تحملها فى ماله - ثم ان حذيفة بعد أخذ دية ابنه أخبر إن مالك بن زهير أخا قيس بن زهير نازل بموضع يعرف بالشربة وكان مالك زوج أخت حذيفة وهى أم قرفة التى يضرب المثل بمنعها فيقال (أمنع من أم قرفة) ويقال انها كانت تعلق فى بيتها سبعين سيفاً لذوى محارمها فمشى اليه فقتله وفى ذلك يقول عنترة *

فلله عينا من رأى مثل مالك * عقيرة قوم ان جرى فرسان
فليتهما لم يرسلا قيد غلوة * وليتهما لم يجريا لرهان

ومالك هذا هو الذى يقال فيه (فتى ولا كمالك) وان كان قد قيل أن صاحب هذا المثل هو مالك بن نويرة — وأول ماجرى مثل هذا المثل أن قيل (لافتى الا عمرو) وهو عمرو بن يفن الذى يضرب به المثل فى الرماية فيقال (أرمي من ابن يفن) وكان فى زمن لقمان بن عاد — ولما قتلت بنو ذبيان مالك بن زهير قالت

لهم بنو جزيمة وهم قيس واخوته ردوا علينا مالنا اذ قتلتم مالكا بمالك فأبى حذيفة أن يرد عليهم شيئاً منها وكان الربيع بن زياد العبسى نازلا فيهم فقال لهم بئس مافعلتم قبلتم الدية ثم غدرتم فقالوا له لولا انك جار لقتلناك وكانت لهم خفرة الجار ثلاثاً فقالوا له اخرج عنا فخرج عنهم وكان يسمى هو واخوته بالكملة وأمهم فاطمة بنت الخرشف الانمارية وهى من انمار بغيض لا من انمار بجيلة وهى احدى المنجبات وهى التى قيل لها فى النوم — فيما زعم أبو عبيدة — أعشرة هدرة أحب اليك أم ثلاثة كعشرة فلم تقل شيئاً فعاد لها فى الليلة الثانية فلم تقل شيئاً فقصت رؤياها على زوجها فقال لها ان عاد لك ثالثاً فقولى ثلاثاً كعشرة وزوجها زياد بن عبد الله بن ناشب العبسى فلما عاد لها فى الثالثة قالت ثلاثة كعشرة — فولدتهم كلهم غاية أنس الفوارس وعمارة الوهاب وربيع الحفاظ وهو الذى هرب منهم حين قال لهم بئس مافعلتم وكان بينه وبين قيس بن زهير عداوة على درع كان قد غصبها له الربيع فلما أخافته ذبيان اصطلح مع قيس بن زهير وقال*

فان تك حرباً أمست عواناً * فانى لم أكن ممن جناها
ولكن ولد سودة أرثوها * وحشوا نارها لمن اصطلاها
فانى غير خاذلكم ولكن * سأسعى الآن اذ بلغت مداها

وبنو سودة هم بنو بدر بن فزارة بن ذبيان ثم تناهضت

ذبيان وعبس للحرب وعلى بني ذبيان حذيفة بن بدر وعلى بنى عبس الربيع بن زياد فالتقوا بموضع يعرف (بالمرتقب) وفى ذلك اليوم يقول عنترة *

يادار عبلة بالجواء تكلمى * وعمى صباحاً دار عبلة واسلمى

ثم اجتمعت ذبيان وأحلافها والتقوا معهم بذى حسا وهو وادى الصفا من أرض الشربة وهربت بنو عبس وخافت أن لا تقوم لجمعهم فأتبعوهم حتى لحقوا بهم فقالوا لهم التفانى أو تقيدونا من قتلى يوم المرتقب فاشار قيس بن زهير على الربيع بن زياد ان لايناجزهم وان يعطوهم رهائن حتى ينظروا فى أمرهم فتراضوا أن يكون رهنهم عند شميع بن عمرو أحد بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان فدفعت اليه عبس ثمانية من الصبيان وانصرفوا وتكاف الناس وكان رأى الربيع مناجزتهم وفى ذلك يقول *

أقول ولم أملك لنفسي نصيحة * أرى ماترى والله بالغيب أعلم

أتبغى على ذبيان فى قتل مالك * فقد حش جانى الحرب نارا تضرم

فمكثت رهائنهم عند شميع بن عمرو حتى أدركته الوفاة فقال لابنه مالك بن شميع ان عندك مكرمة لاتبيد ان أنت احتفظت بها وهم هؤلاء الاغيلمة وكأنى بك اذا أنامتُ قد أتاك خالك حذيفة وعصر لك عينه وقال هلك سيدنا ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم اليه فيقتلهم فلا تشرف بعدها أبداً فان خفت ذلك

فاذهب بهم الى قومهم — فلما هلك شميع أطاف حذيفة بابنه مالك واختدعه حتى دفعهم اليه فأتى بهم موضعاً يقال (اليغمرية) فجعل يبرز كل يوم غلاماً فينصبه غرضاً للسهام ويقول ناد أباك فينادى أباه حتى يموت فلم تزل الحرب بينهم تستعر والدماء تكثر الى أن التقوا فى جانب (حفرة الهباءة) واقتتلو من بكرة حتى انتصف النهار وحجز بينهم الحر وكان حذيفة بن بدر يحرق فخذه الركض فقال قيس بن زهير يابنى عبس ان حذيفة اذا احتدمت الوقيعة تستنقع في حفر الهباءة فعليكم بها فخرجوا حتى وقفوا على أثر صارف فرس حذيفة والحنفا فرس حمل بن بدر فقال قيس هذا اثر الحنفا وصارف فقفوا أثرهما حتى وافوا الهباءة مع الظهيرة فبصر به حمل بن بدر وهو في النهر فقال لاخوانه من أبغض الناس اليكم أن يقف على رؤسكم قالوا قيس بن زهير وربيع بن زياد قال فهذا قيس وربيع بن زياد فلم ينقض كلامه حتى وقفا على رؤسهم وقيس يقول (لبيكم لبيكم) يعنى اجابة الصبية الذين كانوا ينادونهم اذ يقتلون وكان فى النهر حذيفة وحمل ابنا بدر ومالك أخوهما وورقا بن هلال وحسن بن وهب فوقف عليهم عنترة فحال بينهم وبين خيلهم ثم توافت فرسان بنى عبس فقال حمل ناشدتكم الرحم ياقيس فقال قيس لبيكم لبيكم (فعرف) حذيفة أنه لايدعهم فانتهر حملا وقال اياك والمأثور من الكلام وقال

قيس ان قتلتنى لا تصطلح غطفان بعدها أبداً فقال أبعدها الله ولا أصلحها وجاء (قرواش) بمعبلة وضربه بها فقصم صلبه وابتدره الحارث بن زهير وعمرو بن الاسلع ووقفا عليه فقتلاه وقتل الربيع بن زياد حمل بن بدر وقال قيس بن زهير يرثيه *

سيعلم ان خير الناس ميت * على حفر الهباءة ما يريم
ولولا ظلمة ما زلت أبكى * عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر * بغى والبغي مرتعه وخيم
أظن الحلم جر علىّ قومي * وقد يستجهل الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني * فمعوج لدىّ ومستقيم

ومثلوا بحذيفة بن بدر كما مثل هو بالغلمة فقطعوا خصيتيه وجعلوهما فى فيه وقطعوا لسانه وجعلوه بين اليتيه وفى ذلك يقول قائلهم *

فان قتيلا بالهباءة في استه * وفى فمه ان عاد للظلم ظالم
متى تقرءوها تهدكم من ضلالكم * وتعرف ان ما فض عنها الخواتم

ففى ذلك قال (وعضت بنى بدر على النهر) فلما أصيب أهل الهباءة استعظمت غطفان قتل حذيفة فتجمعوا لابنه حصن وابن حصن هذا هو عيينة من المؤلفة قلوبهم الذين أعطاهم النبي عليه الصلاة والسلام وفضلهم على غيرهم ليتألف قلوبهم بالاموال وهو الذى يسمى الاحمق المطاع فعرفت عبس أن ليس لهم مقام

بارض غطفان فخرجوا الى اليمامة فنزلوا باخوالهم من بنى حنيفة ثم انتقلوا الى بنى سعد ـ ثم أرادوا الغدر بهم فشعروا بهم فقوضوا ليلا وقدموا ظعنهم ووقفت فرسانهم بموضع يقال له الفروق وابلى فيه عنترة بلاء شهر به وسئل بعد ذلك وقد كان اجتمع عليهم فى ذلك اليوم جمع كثير فقيل له كم كنتم يوم الفروق قال مائة لم يقلوا فيضعفوا ولم يكثروا فينكلوا ثم لم يزالوا كذلك الى أن أصلح بينهم عمرو ومعقل ابنا شميع واياهما يعنى زهير بقوله »

تدار كتما عبساً وذبيان بعدما * تفانوا ودقوا بينهم عظم ميسم

(والحقت بعدى بالعراق على * يد ابنه أحمر العينين والشعر)

عدى هذا الذى ذكره هو عدى بن زيد بن ايوب بن زيد مناة بن تميم وكان على دين النصرانية من عباد الحيرة (١) وكان شاعراً وفيه قال ابو عبيدة عن أبى عمرو بن العلاء (هو فى الشعراء كسهيل فى النجوم تعارضه ولا تجرى مجراه) وهو أول من شبه أباريق الخمر بالظباء وكان ترجماناً (لبرويز) وكاتبه بالعربية وهو السبب فى أن ولى برويز النعمان بن المنذر من بين أخوته وكان أذمهم وأقبحهم ولكن أشار به عدى على برويز واحتال فى ذلك حتى ولاه ثم اتهمه النعمان بسعيه عليه

(١) هكذا بكثير من النسخ وكأن معناه انه من النساك بمدينة الحيرة فلينظر

فاحتال حتى صار بيده فحبسه فكان عدى يقول الشعر فى الحبس ثم قتله ومما قاله *

أبلغ النعمان عنى مألكا * اننى قد طال حبسي وانتظارى
لو بغير الماء حلقي شرق * كنت كالغصاء بالماء اعتصارى

وكان قتله لعدى بالعراق وابنه الذى ذكره هو زيد بن عدي ولم يزل يتوصل بما يقدر عليه من الحيل حتى حصل على منزلة أبيه عند كسرى برويز فذكر زيد لكسرى نساء آل النعمان ابن المنذر ووصفهن له بالجمال والادب فكتب اليه برويز يخطب الى النعمان أخته أو ابنته فلما قرأ النعمان الكتاب قال وما يصنع الملك بنسائنا وأين هو من مهى السواد وكان الواصل اليه بالكتاب زيد بن على فقال له (أبيت اللعن) انما أراد الملك تشريفك ولو علم أنك لا تريد ذلك لم يتعرض له ولكنى سأعتذر عنك له فقال له النعمان فافعل فانك تعلم ما على العرب فى زواج العجم من الفضاضة ـ فلما رجع زيد الى برويز حرّف له كلام النعمان وأخرجه أقبح مخرج فقال برويز رب عبد قد صار من الطغيان الى أكثر من هذا فلما بلغ كلامه النعمان علم أنه غير ناج منه ففر بنفسه حتى صار الى طى لصهر كان له فيهم ثم خرج من عندهم حتى أتى بنى رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس فقالوا له أقم عندنا فانا مانعوك مما نمنع منه أنفسنا

فجزاهم خيراً ورحل عنهم ثم انه مشى الى كسرى ليرى فيه رأيه وفى ذلك يقول ابن زهير بن أبى سلمى *

ألم تر للنعمان كان بنجوة * من الشر لوأن امرأ كان ناجيا
فغير عن ملك عشرين حجة * من الدهر يوماً واحدا كان غاويا
فلم أر مسلوبا له مثل ملكه * أقل صديقاً معطياً أو مواسيا
خلا ان حياً من رواحة حافظوا * وكانوا أناسا يتقون المخازيا
فساروا الى أن جيشوا عندبابه * هجان المطايا والعتاق المذاكيا
فقال لهم خيرا وأثنى عليهم * وودعهم توديع أن لا تلاقيا

فأقبل النعمان حتى أتى المدائن فصف له كسرى ثمانية آلاف جارية عليهن المصبغات صفين فلما سار النعمان بينهن قلن له أما فينا للملك غنى عن بقر السواد فعلم النعمان أنه غير ناج منه ولقيه زيد بن عدى فقال له النعمان أنت فعلت هذا بى ولئن تخلصت لك لأسقينك بكأس أبيك فقال له زيد امض نعيم فقد أحبلت لك أحبولة لا يقطعها المهر الازن فأمر كسرى بالنعمان فحبس بساباط المدائن من أرض العراق ثم أمر به فرمي بين أرجل الفيلة فوطأته حتى مات وفى ذلك يقول سلامة بن جندل وذكر كسرى برويز *

هو المدخل النعمان بيتاً سماؤه * بحور الفيول بعد بيت مسردق

وقد أكثر الشعراء من ذكره فمن ذلك قول الاعشى *

ولا الملك النعمان يوم لقيته * بغبطته يعطى الصلات وينفق
ويقسم أمر الناس يوماً وليلة * وهم ساكتون والمنية تنطق
فذاك وما أنجى من الموت ربه * بساباط حتى مات وهو محرَّق

وهذا قوله*

(وألحقت بعدى بالعراق على * يد ابنه أحمر العينين والشعر)

يعنى النعمان وذلك ان النعمان كان أبرش يقول أبو محدرة الطائى يحذر رجلا يقال له ابن عمار من النعمان وقربه فقال*

لقد نهيت ابن عمار وقلت له * لا تقربن أحمر العينين والشعر
ان الملوك متى تنزل بساحتها * يعلق بثوبك من نيرانهم شرر

وكان النعمان هذا يكنى أبا قابوس وهو صاحب النابغة الذبيانى وصاحب الغرنين وذلك لانه كان له نديمان يقال لأحدهما عمرو ابن مسعود وللآخر عمرو بن المضلل الاسديان فسكر ذات ليلة وبينا هو فى حالة السكر اذ أمر بدفن هذين النديمين حيين فلما أصبح سأل عنهما فأخبر بخبرهما فبنى عليهما بناء وجعل لنفسه يوم بؤس ويوم نعيم من أجل ذلك فكان اذا لقيه أحد يوم بؤسه قتله وطلى بدمه ذلك البناء وهو موضع معروف بالكوفة واذا لقيه أحد يوم نعيمه أغناه ففى يوم من أيام بؤسه لقيه عبيد ابن الابرص فقتله ويقال انه يوم قتله النعمان كان له أكثر من ثلثمائة سنة وأنه قال له أنشدنى ياعبيد فقال له عبيد حال الجريض

دون القريض قال أنشدنى هذا البيت *

أقفر من أهله ملحوب * فالقطبيات فالذنوب

فأنشده عبيد *

أقفر من أهله عبيد * فليس يبدى ولا يعيد

فسأله أىّ قتلة يختار فقال له عبيد اسقنى حتى أثمل ثم افصدنى فى الاكحل ففعل به ذلك ولطخ بدمه ذلك البناء الذى بناه على عمرو بن مسعود وصاحبه وكان يسمى ذلك البناء الغريانين وكان مقتل النعمان حين قتله كسرى برويز بعد مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بست سنين وثمانية أشهر *

(وأشرفت بخُبيبٍ فوق قارعة * وألصقت طلحة الفياض بالعفر ١)

خبيب الذى ذكره هو خبيب بن عدى الانصارى من بنى جحجبا شهد بدرا وأسر يوم الرجيع فى السرية التى خرج فيها مزيد بن أبى مزيد وعاصم بن أبى الاقلح حمىّ الدبر وكانوا سبعة نفر فقتل منهم خمسة وأسر أثنان زيد بن الدثنة وخبيب هذا فانطلق المشركون بهما الى مكة فاشترى خبيبا حجرُ بن أبى اهاب التميمى حليف بنى نوفل لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ليقتله

---

(١) اشرفت بخبيب اى رفعته فوق قارعة أى فوق الخشبة التى صلب فوقها ومعنى الشطر الثانى ان الليالى هوت بطلحة اى بجسده فى العفر والعفر محركا التراب يعنى انه دفن به بالثرى بعد ان ذاق كاس الشهادة وكل ذلك يتبين جليا من التاريخ الذى افاض الشارح رحمه الله *

بابنه وكان خبيب قتل يوم بدر الحارث أبا عقبة وحدثت عنه
مارية مولاة حجر بن أبى اهاب وكانت قد أسلمت بعد ذلك
قالت كان خبيب قد حبس فى بيتى ولقد اطلعت عليه يوما وان
فى يده قطفا من عنب يأكل منه وما أعلم أن فى أرض الله عنباً
يؤكل (اذذاك) وذكرت امة انه قال لها حين حضره القتل ابعثى
الىّ بحديدة أتطهر بها للقتل قالت فاعطيت غلاما من الحى الموسى
وقلت له ادخل على هذا الرجل البيت فوالله إن هو الا أن ولى بها
اليه فقلت في نفسى بئس ماصنعت اصاب والله الرجل بثاره يقتل
هذا الغلام فيكون رجلا برجل فلما ناوله الحديدة اخذها من يده
ثم قال لعمرك ماخافت امك غدرى حين بعثتك بهذه الحديدة الىّ
ثم خلى سبيله ويقال ان الغلام كان ابنها ـ ثم خرجوا بخبيب حتى
اذاجاء وابه التنعيم ليصلبوه قال لهم ان رأيتم أن تدعونى حتى اركع
ركعتين فافعلوا قالوا دونك فاركع قالت فركع ركعتين اتمهما
واحسنهما ثم اقبل على القوم فقال أما والله لولا ان تظنوا انى انما
طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة وهو اول من صلى
ركعتين عند القتل من المسلمين * ثم قال اللهم احصهم عددا واقتلهم
بددا ولا تغادر منهم احدا ثم قال *

ولست ابالى حين اقتل (مسلما) * على اىّ جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشأ * يبارك على اوصال شلو ممزع

ثم قام اليه عقبة وقد رفعوه بخشبته فقتله فتلك القارعة التى ذكرها وقتل بموضع يقال له التنعيم — ويقال ان أول من قتل مصلوبا(ذوالافوه) وهو الضحاك وهو من ملوك الفرس الاول ويقال انه فى زمان نوح عليه السلام (١) ومما يذكر في خبر خبيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه أيكم ينزل خبيباً عن خشبته وله الجنة فقال الزبير بن العوام أنا يارسول الله والمقداد معي فخرجا حتى اتيا التنعيم ليلا واذا حول الخشبة أربعون من المشركين نشاوى فانزلاه فاذا هو رطب يتثنى لم يتغير منه شيء وكان ذلك بعد قتله بأربعين يوماً ويده على جراحته وهى تسيل دما الريح ريح المسك واللون لون الدم فحمله الزبير على فرسه فلما انتبه الكفار لم يجدوا خبيباً فأخبروا بذلك قريشاً فركب منهم سبعون فلما لحقوهما قذف الزبير خبيباً فابتلعته الارض فسمى بليع الارض وكان قتل خبيب بعد الهجرة بثلاث سنين * فلما أدركوهما قال لهم الزبير انا الزبير وهذا المقداد فمن شاء فليتقدم فرجع الكفار عنهما ولم يقدموا عليهما — وأما طلحة الفياض فهو طلحة بن عبد الله التيمى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد العشرة الذين شهدلهم النبي عليه السلام بالجنة وقتل يوم الجمل قتله مروان بن الحكم وكان من جلة أصحابه *

---

(١) المشهور انه كان فى زمان الخليل حتى قيل انه نمرود *

ويقال إن طلحة رضى الله عنه رفع يديه الى السماء فى اليوم الذى قتل فيه وقال اللهم ان كنا داهنا فى أمر عثمان وظلمناه فخذ له اليوم منا حتى يرضى - فلما سمع مروان بن الحكم قوله ضربه ضربة أتت منها على نفسه ويقال انه رماه بسهم وكان من أجواد قريش - ويقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات وليس بطلحة الطلحات الذى يقول فيه الشاعر *

رحم الله اعظما دفنوها * بسجستان طلحة الطلحات

فان هذا من خزاعة وهو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى وهو أحد أجواد العرب في الاسلام والصاحب هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة وفى مرة يجتمع مع الرسول عليه السلام وحكى الخشنى قال لما قتل طلحة يوم الجمل وجدوا فى تركته ثلثمائة بهار من ذهب وفضة والبهار مزود من جلد عجل - وقيل إن البهار جلد عنق الجمل ومن حديث سفيان أن عائشة بنت طلحة كانت ترى أباها طلحة فى نومها وذلك بعد عشرين يوماً من قتله يقول أخرجينى من هذا الماء الذى يؤذينى فلما انتبهت من نومها جمعت أعوانها ثم نهضت فاستخرجته فوجدته صحيحاً لم تنحص شعرة من شعره وقد اخضر جنبه كالساق من الماء الذى كان يسيل عليه فلفته بالملاحف ودفنته بالبصرة وبنت حوله مسجدا فكانت المرأة من أهل

البصرة تأتى بقارورة البان فتصبها على قبره حتى عاد تراب قبره كالمسك الازفر وانما ذكرت تاريخ قتل خبيب ولم أذكر تاريخ قتل طلحة لاني رأيت أبا محمد بن عبدون رحمه الله قد عوّل على متابعة البيوت بعضها بعضاً بصدورها وما يذكر فى ذلك من الاخبار ولم يحفل باعجازها فلذلك لا أذكر تاريخ أخبار الاعجاز وربما كانت يتقدم ذكر أخبار الاعجاز على الصدور في اكثرها أو بعضها فلذلك أضربت عن هذا *

(ومزقت جعفراً بالبيض واختلست * من غيله حمزة الظلاّم للجزر(١)

جعفر هذا هو جعفر بن أبى طالب أخو على ابن أبي طالب رضى الله عنهما وهو ذو الجناحين وذو الهجرتين وسمي بذى الهجرتين لانه هاجر الى أرض الحبشة والى المدينة ويكنى بأبى عبد الله وسمي بذى الجناحين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر عنه أنه أعطي فى الجنة جناحان يطير بهما حيث شاء عوضاً يديه المقطوعتين فى غزوة مؤتة وكان من خبر قطع يديه رضي الله عنه أنه لما جهز رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكر موتة أمر

---

(١) المعنى ان الليالى مزقت جعفراً بالسيوف واختلست اى استلبت اسد الله حمزة من غيله اى اجمته والغيل موضع الاسد وكنى بالظلام للجزر عن الكرم تقول العرب فلان ظلام للجزر اذا كان كريماً مضيافاً والجزر بضمتين جمع جزور وهى الناقة التى تنحر * ووزان الجمع كرسل *

عليه زيد بن حارثة وقال أميركم زيد فان قتل فأميركم جعفر بن أبي طالب فان قتل فأميركم عبدالله بن رواحة الانصاری فان قتل فسيفتح الله على يدى رجل من المسلمين وأشار بيده الى خالد بن الوليد المخزومى فلما التقوا مع الروم وقتل زيد بن حارثة أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قطعت يده اليمنى فأخذها بشماله فقاتل حتى قطعت شماله ثم احتضن الراية وقاتل بها حتى قتل ويحكى انه وجد فى مقدمه يوم قتل اربع وخمسون ضربة بسيف وكان قتله سنة ثمان من الهجرة ـ أما حمزة الذى ذكره فهو حمزة ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل يوم احد قتله وحشىٌّ غلام جبير ابن مطعم فهذا قوله (واختلست من غيله) لان حمزة كان يقال له اسد الله واراد من جمله لحمزة ظلاما للجزر ان يصفه بالكرم وهذا كثير فى اشعار العرب يقولون فلان ظلام للجزر اذا ارادوا وصفه بالكرم وكان حمزة رضى الله عنه معروفا بالكرم ومن ظلمه للجزر مايحكى عنه من انه كان قبل تحريم الخمر يشرب فاحتاج اصحابه الى لحم فاخذ سيفه وخرج الى ناقة لعلى رضي الله عنهما فعرقبها واشتوى منها لاصحابه وكان من خبر عرقبته لناقة على ان عليا كان له شارفان من الابل فعلقهما بفناء بيت رجل من الانصار لبعض الامر وكان حمزة يشرب فى بيت قريب من ذلك الموضع مع قوم ومعهم قينة تغنيهم فجاءوا فقالت

ألا يا حمز للشرب النواء * فهن معقلات بالفناء
ضع السكين فى اللبات منها * وضرجهن حمزة بالدماء
وعجل من شرائحها طعاما * ملهوجة على وهج الصلاء
واصلح من اطايبها طبيخا * لشربك من قديد أو شواء
فانت ابا عمارة للمرجى * لكشف الضر عنا والبلاء

فقام الى الشارفين فعرقبهما فكان سبب تحريم الخمر فعله الذى فعله بهما فانه عوتب على ذلك فسب عاتبه وتزيد فى كلامه حتى خرج به عن الحد والله سبحانه وتعالى أعلم *

(وبلغت يزدجرد الصين واخترات *
عنه سوى الفرس جمع الترك والخزر)

(يزدجرد) هذا هو ابن شهريار وهو آخر ملوك الفرس ويذكر من خبره انه لما وصل سعد ابن ابى وقاص رضي الله عنه الى العذيب امر يزدجرد ان تنقل امواله الى الصين وأقام هو فى عدة من الجند وقلة من المال (بنهاوند)
وكان ذلك سنة اربع عشرة من الهجرة وخاف على المدائن أخا رستم وسرح رستما لقتال سعد (بالقادسية) فى اربعمائة الف مقاتل فلما بلغه هزيمة سعد لرستم وقتله اياه علم أن مدنهم قد اخترمت فهرب وجعل لا يستقر بموضع من مدائنه ثم دخل الى الصين ثم رجع الى بلاده ـ فلما كان فى أيام عثمان بن عفان وخرج الاحنف

ابن قيس الى (خراسان) وافتتح بها (هراة) عنوة مشى نحو (مرو) وكان بها يزدجرد فهرب نحو مرو (الروذ) وكتب الى خاقان ملك الترك والى (عارك) ملك الصغد أن يغيثاه ثم خرج هو من مرو الروذ الى بلخ فخرج الاحنف فى طلبه حتى التقى معه (ببلخ) فهزمه الاحنف وقد كان لما وصل رسوله الى خاقان وعارك انهما أقبلا فى الترك والصغد ومن انضم اليهم من سائر طوائف أهل بلادهم من الخزر وغيرهم اذ كان شأن الملوك أن ينجد بعضهم بعضاً فلقيا يزدجرد منهزماً فرجع معهما الى خراسان ولما بلغ خبرهم الاحنف وكثرة عددهم استند الى جبل ليقاتلهم من جهة واحدة فأقبل الترك ومن معهم حتى نزلوا بهم فكانوا ينادون القتال ويراوحونه مدة ويرجعون الى معسكرهم فخرج الاحنف ذات ليلة حتى وقف على عسكر الترك وهو منفرد فلما أصبح خرج من الترك فارس ومعه طبل يضرب به وعليه طوق ليقف على بعد من عسكره كالطليعة وكان من سنة الترك أن لا يتحركوا من عسكرهم حتى يخرج منهم ثلاثة كل واحد منهم مطوق ومعه طبل يضرب به ـ فلما خرج الاول حمل عليه الاحنف فاختلفا طعنتين فقتله الاحنف وأخذ طوقه ووقف موضع التركي ثم خرج الآخر ففعل به كذلك ثم الثالث كذلك وأهل عسكرهم لا علم لهم بما صنع بفرسانهم فلما خرج عسكرهم على عادته ألفوا فرسانهم

صرعى وقد كان الاحنف لما قتل الثلاثة انصرف الى عسكره ولم يخبر أحداً بصنعه فلما رآهم خاقان تطير بذلك وتشاءم وقال قد طال مقامنا وقد أصيب منا هؤلاء القوم بمكان لم أتخيله فمالنا فى قتال هؤلاء القوم خير — ثم أمر أصحابه بالانصراف فانخزلت عن يزدجرد جموع الترك والصفد والخزر وغيرهم منصرفين الى بلادهم وبقى فى الفرس وحدها فانصرف يريد مرو وسأل مرزبانها وأهلها مالا فمنعوه فلما كان عند الليل هجموا عليه فقتلوا من أصحابه جملة وفرّ هو بنفسه على وجهه ومعه منطقته وسيفه وسلاحه حتى انتهى الى رجل ينقر الارحاء على شفير نهر يقال له (المرغاب) فآوى اليه ليلا فلما نام قام النقار اليه فقتله وأخذ سلاحه وألقى جسده فى المرغاب فلما أصبح أهل مرو اتبعوا أثره حتى خفي عليهم عند منزل النقار فأخذوه فأقر لهم بقتله فقتلوا النقار وأهل بيته وأخرجوه من المرغاب وجعلوه فى تابوت وحملوه الى اصطخر فدفنوه بها وذلك فى أيام عثمان عام اثنين وثلاثين من الهجرة *

(ولم تردّ مواضي رستم وقنا
ذي حاجب عنه سعداً فى ابنة الغير) (١)

رستم الذى ذكره هو رستم الارمنى وكان يزدجرد قد أمره على

---

(١) اراد ان سوف رستم ورماح ذي حاجب صاحب راية كسرى لم يرد عهما سعدا *

العسكر الذى وجهه لحرب سعد والمسلمين بالقادسيه وكان رستم من أهل النجدة فيهم والقوة * ذكروا أنه لبس ذات يوم درعين من حديد ومغفراً وأخذ سلاحه وأمر بفرسه فأسرج له وقرب عليه فوثب اليه من غير أن يمسه أو يضع رجله فى ركاب * أما ذو الحاجب الذى ذكره فهو (خرزاد) الذى كانت عنده راية كسرى التى كانت من جلود النمور وكان عرضها ثمانية أذرع فى فى طول اثنى عشر ـ وأما سعد المذكور فهو سعد بن أبى وقاص ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد العشرة الذين شهد لهم بالجنة وساق أبو محمد رحمه الله خبره فى هذا البيت ملفوفاً وسأسوق منه ما تهيأ لنا ذكره ان شاء الله تعالى وكان من خبره ما ذكره فى هذا البيت وذلك انه لما وجه عمر بن الخطاب سعد بن أبى وقاص لحرب الفرس نهض حتى نزل القادسية فلما سمع به يزدجرد ملك الفرس بعث اليه العساكر وعليها رستم الأرمنى فكان أول يوم كان بينهم يوم (أرماث) نهض رستم لقتال المسلمين فى هذا اليوم وهو على سريره وضرب عليه طياره كالمظلة وقد عبأ فى قلب عسكره ثمانية عشر فيلا عليها الرجال وفى كل مجنبة كذلك وتصاف المسلمون ثم برز أهل النجدة من المسلمين وانشبوا فى القتال وخرج أمثالهم من أهل فارس فخرج غالب بن عبد الله الاسدى وهو يقول *

قـد علمت والدة المسانح * ذات البنان والبيان الواضح
اني سماح البطل المسالح * وفارج الامر المهم الفادح

فخرج (هرمز) وهو من ملوك الباب والابواب وكان متوجاً فبارزه فأسره غالب وأتى به الى سـعد ثم انصرف غالب الى المطاردة وخرج عاصم بن عمرو وهو يقول *

قدعلمت بيضاء صفراء اللبب * مثل اللجين اذتغشاه الذهب
أنى امرؤ الامر يعييه السبب

فطارد رجلا من أهـل فارس فهرب منه الفارسى فاقتحم وراءه فى أصحابه فحماه أصحابه ثم تزاحف الناس واقتتلوا حتى غربت الشمس وذهبت هدأة من الليل ثم رجع هؤلاء وهؤلاء فلما أصبح الناس غدوا على هيئتهم وهـذا اليوم يسمى يوم (اغواث) فخرج القعقاع بن عمرو وقال من يبارز وكان القعقاع يقول فيه أبو بكر الصديق رضى الله عنه لا يهزم جيش فيه مثل هذا فخرج اليه ذوالحاجب فقتله القعقاع فانكسرت الاعاجم لذلك وتقاتلوا فى هذا اليوم أيضاً حتى جن عليهم الليل وحمل القعقاع فى هذا اليوم ثلاثين حملة يقتل فى كل حملة رجلا من اكابرهم وكانت ليلة ارماث تدعي الهدأة وليلة اغواث تدعى السواد وكان فى يوم اغواث قد شرب ابو محجن فحبسه سعد فى القصر الذى هو فيه — فلما كان ليلة أغواث اتى سعداً يستقيله

فزجره وردّه فأتى أم سلمة بنت حفص زوج سعد فقال لها عليّ عهد الله ان أخرجتيني أن أقاتل فان سلمت رجعت الى قيودي فقالت له ما أنا وذاك فرجع وهو يقول *

كفى حزناً ان تردىء الخيل بالقنا * وأترك مشدوداً عليّ وثاقيا
اذا قمت أعياني الحديد وغلقت * مصاريع دوني قد تصد المناديا
وقد كنت ذا مال كثير واخوة * وقد تركوني واحداً لا أخاليا

فسرحته أم سلمة وأعارته البلقاء فرس سعد وكان سعد شاكياً فخرج فأبلى بلاء حسناً حتى تعجب الناس منه وهم لا يعرفونه فمن قائل يقول هو هشام بن عتبة أو أحد عسكره وكان هشام ابن عتبة وافاهم مدداً وآخر يقول ان كان الخضر يحضر الحروب فهو هذا وثالث يقول لولا ان الملائكة لا تباشر الحروب لقلنا انه ملك وسعد ينظر من أعلى القصر ويقول لولا أن مكان أبي محجن عندي لقلت هو أبو محجن وهذه البلقاء — ثم رجع أبو محجن ووضع رجليه في قيده — فلما علم سعد بذلك سرحه من قيوده فلما كان اليوم الثالث وهو يوم (اغماس) تزاحف الناس بعضهم الى بعض وقد أصيب من المسلمين ألفان ومن المشركين عشرة آلاف وفي يوم أغماس سقط عمرو بن معد يكرب عن فرسه فرمى بده في رجل فرس من خيل المشركين فما قدر الفرس أن يزول عن مكانه حتى أخذ صاحبه ورماه عنه وركبه وتجالد الناس في يوم

اغماس حتى دخل الليل فتجالدوا طول الليل وتسمى هذه الليلة ليلة (الهرير) وكان يسمع فيها صليل السيوف كأصوات القيون حتى أصبحوا كذلك * وانما سميت ليلة الهرير لان الناس كانوا لاينطقون فيها إلا هريراً فأصبح الناس وهم حسرى من الكلال فقام القعقاع وقال ان الدائرة بعد ساعة فاصبروا واحملوا فاجتمع اليه جماعة من المسلمين وقصدوا نحو رستم فلما رأى الناس ذلك فعلوا مثل فعلهم وركد عليهم النقع ثم هبت ريح دبور فقطعت طيارة رستم عن سريره فهوت بها فى نهر العتيق فهرب وانتهى القعقاع وأصحابه الى السرير فعثروا برستم فجاءتهم منه رائحة المسك فترامى فى نهر العتيق واقتحمه عليه هلال بن علقمة وخرج به الى البر فقتله وهو هلال بن علقمة بن تيم الرباب ويقال بل قتله رجل من بنى أسد وفى ذلك يقول شاعر منهم *

قتلنا رستما وبنيه قسرا * تثير الخيل فوقهم الهباء

ثم صعد على السرير وصاح قتلت رستما ورب الكعبة وانهزم جيش الفرس وأخذهم السيف وتهافتوا فى نهر العتيق فقتل منهم ثلاثون ألفاً وقد كان قتل منهم فى المعركة نحو عشرة آلاف سوى من قتل منهم فيما كان قبل من الأيام الأول وأرسل سعد الى هلال وقال له أين صاحبك الذى قتلته فقال رميت به بين البغال قال اذهب فجئ به فذهب فجاء به وأخذ المسلمون من الاسلاب

والاموال مالم يروا قط مثله وكان قتل رستم سنة أربع عشرة من الهجرة وفى تلك السنة كان يزدجرد بعث بأمواله نحو الصين وقتل بعد ذلك بمدة ـ وأتى بذلك البيت تتمة لخبر يزدجرد *

(وخضبت شيب عثمان دماً وخطت * الى الزبير ولم تستحي من عمر)

عثمان هذا هو عثمان بن عفان بن العاص بن أميـة بن عبد شمس بن عبد مناف وفى عبد مناف يجتمع مع الرسول صلى الله عليه وسلم * ويكنى بأبى عمر وأبى عبد الله وكان حسن الوجه رقيق البشرة كبير اللحية أسمر اللون رأسه كثير الشعر أقنى الأنف ليس بالطويل ولا بالقصير هكذا ذكره ابن قتيبة فى المعارف * وذكر ابن عبد ربه أنه كان أبيض مشرباً بصفرة كانه فضة وذهب حسن القامة أخمش الساعدين سبط الشعر أصلع الرأس أجمل الناس اذا اعتم مشرف الأنف عظيم الارنبة كثير شعر الساعدين والساقين ولما أسن شدّ أسنانه بالذهب وخبر قتله أشهر من أن يذكر * وكان الذى ضربه أول ضربة هو (كنانة بن بشير) وكان أزرق قصيراً وكان من تجيب (وتجيب من كندة) وكان قتله يوم الجمعة صبيحة عيد الاضحى سنة خمس وثلاثين من الهجرة وكان تسوّر عليـه من حائط دار محمد بن حزم الانصارى ولم يدخل عليه أحد من باب الدار فان الحسن والحسين رضي الله عنهما وجماعة من أبناء الصحابة كانوا على باب داره يمنعون الناس من الدخول عليه وفي

دخول الذين دخلوا عليه من باب محمد بن حزم يقول الاحوص يهجو قبيلة محمد بن حزم *

لا ترثين لحزميّ رأيت به * ضراً وان طرح الحزمى فى النار
الناحسين بمروان بذى حسب * والمدخلين على عثمان فى الدار

وفى قتله فى عيد الاضحى يقول الفرزدق *

عثمان إذ قتلوه وانتهكوا * دمه صبيحة ليلة النحر

وقال حسان الانصارى رضي الله عنه *

ضحوا بأشمط عنوان السجود به * ويقطع الليل تسبيحاً وقرآ نا

وفى ذلك يقول أيمن بن خزيم *

ضحوا بعثمان فى الشهر الحرام ولم
يخشوا من المطمح الكف الذى طمحوا
تعاقد الذابحوا عثمان ضاحية * وأى ذبح حرام ويلهم ذبحوا
وأى سنة كفر سنّ أولهم * وباب كفر على سلطانهم فتحوا
ماذا أرادوا أضل الله سعيهم
بسفك ذاك الدم الذا كى الذى سفحوا

وكانت ولايته اثنتى عشرة سنة إلا عشر ليال وهو مهاجر هاجر الى أرض الحبشة وخرج اليها برقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم زوجته وفيهما قال النبى أنهما أول من هاجر الى الله بعد ابراهيم ولوط ـ ثم هاجر الى المدينة فله هجرتان وهو الذى

اشترى (بئر رومة) وكانت ركية ليهودى يبيع ماءها من المسلمين
فقال النبي من يشترى رومة ويجعلها للمسلمين يضرب بدلوه مع
دلائهم وله بها مشرب فى الجنه فأتى عثمان الى اليهودى فساومه
فيها فأبى أن يبيعها كلها فاشترى نصفها باثنى عشر ألف درهم
وجعلها للمسلمين وكان اتفق مع اليهودى أن يكون لكل واحد
منهما يومه في الاستسقا فكان اذا كان يوم عثمان استسقى المسلمون
ما يكفيهم ليومين فلما رأى ذلك اليهودى قال أفسدت علىَّ ركيتى
ثم باع النصف الثانى بثمانية آلاف درهم * وكانت بيعته بعد عمر
ابن الخطاب وهو ابن تسع وستين سنة وهو أول من اتخذ فى
الاسلام صاحب شرطة وكان صاحب شرطته عبد الله بن قنفذ
(أما الزبير) فهو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى
ابن قصى وفى قصى يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
عمود النسب وهو حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم والحوارى
معناه الخالصة قال صلى الله عليه وسلم لكل نبي حوارى وحواريي
الزبير بن العوام وهو ابن عمته صفية وقتله عمرو بن جرموز
بموضع يقال له وادى السباع عند انصرافه من يوم الجمل قبل
الوقعة وذلك ان علياً كرم الله وجهه دعا الزبير صبيحة يوم الجمل
أن اخرج الىَّ فانى أريد أن أكلمك فخرج اليه وعلىٌّ عليه السلام
على بغلة النبى صلى الله عليه وسلم بغير سلاح والزبير على فرسه

ومعه سلاحه فقيل لعائشة ان الزبير قد خرج الى على فقالت قتل الزبير سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يبارز علياً أحد إلا قتله فقيل لها ان علياً دون سلاح فقالت الحمد لله رب العالمين ولما خرج الزبير الي على قال على له أتذكر يوم طلعت علينا فى (فناضة) وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك الىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحكت له فقلت له أنت يا رسول الله ان على بن أبى طالب لا يترك دعابته فقال لك ليست بدعابة وانه قال لى حين طلعت علينا يا على أتحب الزبير قلت نعم فقال أما أنه سيقاتلك وهو ظالم لك فقال الزبير أنسيتها ولو تذكرتها ما خرجت ثم قال كيف أرجع وقد التقت حلقتا البطان هذا والله العار الذى لا يغسله الدهر فقال يا زبير ارجع بالعار قبل أن ترجع بالعار والنار فرجع الزبير ودخل على عائشة فقال يا أماه والله ما شهدت موطناً فى الشرك ولا فى الاسلام إلا ولي فيه رأى وبصيرة غير هذا الموطن فانه مالى فيه رأى ولا بصيرة وانى لعلى باطل فقالت عائشة يا أبا عبد الله خفت سيوف بنى عبد المطلب فقال أما والله ان سيوفهم لطوال حداد يحملها فتية أنجاد وقال لابنه عليك بحزبك وأما أنا والله أرجع الى بيتى فقال له ما يردك فقال مالو علمته لكسرك فقال له ابنه بل رأيت عيون بنى هاشم تحت المغافر فراعتك وعلمت أن سيوفهم حداد تحملها فتية أنجاد فغضب

وقال مثلي يفزع بهذا ثم نزع سنان رمحه وحمل على عسكر علي فقال علي لاصحابه أفرجوا له فانه قد غضب وانه منصرف عنكم فقال أصحاب علي إذاً والله لا نبالي بجمعهم بعد رجوع الزبير وما كنا نتقي سواه ثم انصرف حتى أتى ابن جرموز فنزل به فقال يا أبا عبد الله جنيت حرباً ظالماً أو مظلوماً ثم تنصرف أتائب أنت أم عاجز فسكت عنه الزبير ثم عاوده فقال له يا أبا عبد الله حدثني عن خصال أسألك عنها قال هات قال خذ لك عثمان وبيعتك علياً واخراجك أم المؤمنين وصلاتك خلف إبنك ورجوعك عن هذه الحرب قال أما خذلي عثمان فأمر قدم الله فيه الخطيئة وأخر التوبة وأما بيعتي علياً فلم أجد من ذلك بداً إذ بايعه المهاجرون والانصار وأما اخراجي عائشة فأردت أمراً وأراد الله غيره وأما صلاتي خلف إبني فلأن أم المؤمنين انما قدمته وأما رجوعي عن هذه الحرب فظن بي كل شيء غير الجبن ثم انصرف عنه ابن جرموز وهو يقول والهفي على ابن صفية أضرمها ناراً ثم أراد أن يلحق بأهله قتلني الله ان لم أقتله ثم رجع اليه كالمستنصح له فقال يا أبا عبد الله دون أهلك فيافي وقفار فخذ نجيبي هذا وخل فرسك ودرعك فانهما شاهدتان عليك بما تكره ولم يزل به حتى ترك عنده فرسه وسلاحه وإنما أراد ابن جرموز أن يلقاه حاسراً لما كان يعلم من بأسه وأتى الزبير رجل من كلب فقال له يا أبا عبد الله

أنت صهرى وابن جرموز لم يعتزل هذه الحرب من خشية الله ولـكنه كره أن يخالف الأحنف وكان الأحنف قد اعتزل حرب الجمل فانه قال لعلى عليه السلام وقد دعاه عليٌّ لنصرته اختر منى إما أن أنصرك في خمسمائة أو أكف عنك ستة آلاف سيف فقال على كفى بكفك هذا ناصراً فقعد الأحنف عن حرب الجمل وقعد معه ابن جرموز وغيره ولـكن ارجع الى ابن جرموز وخذ فرسك ودرعك فان أحدا من الناس لايقدم عليك وأنت فارس أبدا ثم ان الزبير تهاون بما قاله الـكلبى وخرج وترك درعه وفرسه عند ابن جرموز وسار معه كالمشيع له — فلما انتهيا الى وادي السباع استغفله وطعنه فقتله — وقيل انه اتبعه فوجده نائماً بالوادي فقتله وهذا أصح وفى ذلك تقول زوجته عاتكة ترثيه *

غدر ابن جرموز بفارس بهمة * يوم اللقاء وكان غير معدد
يا عمرو لو نبهته لوجـدته * لاطائشاً رعش الجنان ولا اليد
ثكلتك أمك إذ قتلت لمسلما * حلت عليك عقوبة المتعمد

فلما رجع برأسه وسلبه قال له رجل فضحت والله اليمن أولها وآخرها بقتلك الزبير رأس المهاجرين وفارس النبى صلى الله عليه وسلم وحواريه وابن عمته والله لو قتلته فى حرب لعز ذلك علينا ولمسنا عارك فكيف وقد قتلته وهو فى جوارك وحرمتك والله لايزيدك على عليه السلام اذا جئته برأسه على أن يبشرك بالنار

فغضب ابن جرموز وقال والله ما أخاف فيه قصاصاً ولا أرهب فيه قرشياً ثم أتى ابن جرموز علياً برأس الزبير فلم يأذن له وقال لحاجبه بشره بالنار وفى ذلك يقول ابن جرموز *

أتيت علياً برأس الزبير * وقد كنت أحسبها زلفتى
فبشر بالنار قبل العيان * فبئس بشارة ذى التحفة

وكان الزبير من الفروسية فى مكان عظيم ذكر أنه لما انهزم مالك بن عوف النضرى يوم حنين انهزم حتى أتى (أوطاساً) فوقف عليه وهو موضع مشرف فاجتمع حوله جماعة كثيرة من المنهزمة أصحابه وكان مالك من أهل النجدة المشهورين بذلك (ومن شهرته أنه لما أسلم بعث أهل موضع من الشام لعمر أن يبعث لهم مددا فى الفى فارس فبعث عمر مالكا هـذا وطلحة الاسدى منفردين) ولما وقف باوطاس جعل ربيبه ينظر اليه فقال له ما ترى قال أرى خيلا عليها فرسان من صفتهم كيت وكيت وصار يقول له أرى بنى فلان فى تبع بنى فلان ولم يزل كـذلك الى أن قال له أرى فارساً منفردا بعمامة حمراء رمحه على عاتقه قال قد جاءكم الموت الزؤام ذلـكم الزبير ابن العوام والله لا يبرح حتى يزيلـكم من موضعكم هذا ـ فلما حاذاهم رفع اليهم رأسه فما زال يضاربهم حتى أزالهم عن مواضعهم ووقف — وحكى عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عبـد الله بن الزبير قال دعانى أبى يوم

الجمل فقمت عن يمينه فقال أما انه اليوم لا يقتل الا ظالم او مظلوم وما أرى الا انى سأقتل مظلوما وان اكثر همى دينى فبع مالى ثم أقض دينى فان فضل شيء فثلثه لولدك قال فلما قتل نظر فى دينه فاذا هو الف الف ومائة الف قال فبعت له ضيعة بالغابة بمائة الف الف وسبعمائة الف ولم أزل أقضى ديونه فلما لم يبق عليه شيء اخذت ثلث ما بقى لولدى وقسمت ما بقى من ثمن ضياعه على نسائه وورائه وكان له أربع نسوة فحصلت كل واحدة من نسائه من ربع الثمن على الف الف ومائة الف وكان جميع ذلك مائة الف الف وسبعماية الف ويقال انه كان يدخل عليه فى كل يوم الف دينار - أما عمر الذى ذكره فى آخر الشطر الثانى فهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن قرط بن رباط بن رزاح بن عدى ابن كعب بن لؤى بن غالب وفى كعب يجتمع مع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الفاروق سماه بذلك جبرائيل عليه السلام وذلك انه تخاصم يهودى ومنافق عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المنافق لست أرضي الا بحكم عمر فمشيا الي عمر فأخبراه الخبر فقتل المنافق وأنصف اليهودى فى ماله فنزل جبرائيل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال عمر الفاروق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا ما فعل عمر فقص عليهم قصة اليهودى والمنافق فسمى عمر الفاروق من أجل ذلك وهو أول من جند الاجناد ودون

الدواوين وقتله ابو لؤلؤة النصرانى غلام المغيرة بن شعبة واسم العلج فيروز ويكنى بأبى لؤلؤة وكان كعب بن نافع الذى يقال له كعب الاحبار قد أنذر عمر بما سيقع من طعن أبى لؤلؤة وزعم انه يوجد فى التوراة قتله ـ فلما طعن عمر دخل عليه كعب فلما رآه عمر انشده *

فأوعدنى كعب ثلاثا يعدها * ولا شك أن القول ما قاله كعب
وما بى حذار الموت انى لميت * ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

وأنشد عمر هذين البيتين لان كعب الاحبار كان قد أنذره قبل موته بثلاث انه يقتل شهيدا فى ثلاث ليال قال عمر أنى لى بالشهادة وقد شكا اليه أبو لؤلؤة مولاه المغيره وقال انه يحملنى خراجا كثيراً فقال عمر وكم يحملك قال مائة درهم فى كل شهر قال فما صناعتك فذكر صنعا كثيرة فقال عمر ليس هذا بكثير لما مك من الصنع ثم قال له ألم أخبر أنك تقول لو شئت لعملت رحى تطحن بالريح قال نعم قال فاعملها لى قال لاعملن لك رحى يسمع بها أهل المشرق والمغرب وهو يعنى قتله فانصرف عمر وهو يقول لقد أوعدنى العلج آنفاً فلما كان بعد أيام كمن له وقت صلاة الصبح فلما خرج للصلاة ضربه بخنجر كان له رأسان ونصابه في وسطه ضربه به ست ضربات إحداهن على سرته وهى التى قتلته وكان سنه يوم قتل ثلاثاً وستين عاماً ـ وضرب فى المسجد

ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة أقبل رجل من بني تميم يقال له حطان فألقى عليه كساه ثم احتضنه ـ فلما علم العلج انه مأخوذ نحر نفسه *

(ومارعت لابي اليقظان صحبته * ولم تزوده الا الضيح في العمر)

أبو اليقظان هو عمار بن ياسر العبسى وعبس من مذحج وهو عبس ابن مالك بن أدد بن مالك وهو مذحج وقتل بصفين وهو من أصحاب على رضى الله عنهما وكانت الراية يومئذ بيده وكان قد عطش ودعا بشربة ماء فأتى بضيحة فشربها * ثم قال أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اللبن آخر شربة أشربها فى الدنيا فقتل يومئذ رحمة الله عليه ووجد قتيلا على باب سرادق معاوية فأتى يومئذ رجلان الى معاوية برأس عمار هذا ممسك بشعر رأسه وهذا ممسك بلحيته كل يدعى انه قتله وهما أبو العاليـة العاملى ومبر ابن ماتع السكسكى فقال لهما عمرو بن العاص انما تخاصمان فى النار سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول تقتل عماراً الفئة الباغيـة فقال له معاوية قبحك الله من شيخ أو لا تزال تزلق فى كلامك أنحن قتلناه انما قتله من جاء به ثم التفت الي أهل الشام قائلا لهم نحن الفئة التى تبغى دم عثمان وفى قتل عمار يقول الحجاج ابن عرفة الاسارى *

قال النبي له تقتلك شرذمة * سيطت لحومهم بالبغى فجار

فاليوم يعلم أهل الشام أنهم * اصحاب ذاك وفيهم شبت النار

وكان اهل الشام يسمون قتل عمار فتح الفتوح - وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سمع رجلا من المهاجرين اغلظ له القول (عمار جلده بين عيني وانفي فمن بلغ منه شيئاً فقد بلغه مني) وكان مقتل عمار سنة ست وثلاثين من الهجرة *

(وأجزرتْ سيفُ أشقاها أبا حسن
وأمكنت من حسين راحتي شمر) (١)

أشقاها الذي ذكره هو عبدالرحمن بن ملجم التجيبي (وتجيب من مراد) وهو قاتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وكان قتله سنة أربعين من الهجرة وسماه باشقاها لقول الرسول صلى الله عليه وسلم يا علي أشقاها الذي يخضب هذه من هذه وأشار الى لحية عليٍ ورأسه * ويروى أنه عليه الصلاة والسلام قال يا علي ألا أخبرك باشد الناس عذابا يوم القيامة قال أخبرني يارسول الله قال أشد الناس عذابا يوم القيامة عاقر ناقة صالح وخاضب لحيتك بدم رأسك * ويروى أن أشقى الاولين قدار بن سالف وهو الذي يقال له قدار بن قديرة وقديرة أمه وسالف أبوه وهو عاقر ناقة صالح

---

(١) اجزرت اعطت يقال اجزرت القوم اذا اعطيتهم ماينحرونه اي ان الليالي اعطت سيف اشقى الخلائق * ابا حسن علي بن أبي طالب فاجزرته اياه وامكنت يد شمر من الحسين بن علي فانه تقدم في الجيش لقتله *

وأشقى الآخرين عبد الرحمن بن ملجم وكان على رضي الله عنه متى رأى عبد الرحمن ينشد بيت عمرو بن معدى كرب في قيس بن مكشوح المرادى *

أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مراد

وكان يقال لعلى كأنك قد عرفت ما يريد أفلا تقتله فيقول كيف أقتل قاتلى وقد كان سمع ابن ملجم يقول (وعلى رضى الله عنه يخطب) والله لاريحن منك فلما انصرف على الى بيته أتى بعبد الرحمن بن ملجم ملبباً فقال لهم ما تريدون منه فخبروه بما سمعوا منه فقال لهم ما قتلنى بعد خلوا عنه فتركوه وكان سبب قتله على ما يذكر أن الخوارج قالت إن علياً ومعاوية قد أفسدا أمر هذه الامة فلو قتلناهما لعاد الامر الى حقه فقال رجل من أشجع والله ما عمرو بدونهما وأنه لاصل هذا الفساد فقال عبد الرحمن (ابن ملجم) أنا أقتل علياً قالوا كيف لك قال أغتاله وقال الحجاج بن عبد الله الصريمى ويعرف (بالبرك) أنا أقتل معاوية وقال (زادويه) مولى بنى العنبر بن عمرو أنا أقتل عمراً فاجمعوا رأيهم على أن يكون قتلهم اياهم فى ليلة واحدة فجعلوا تلك الليلة ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان وخرج كل واحد منهم الى ناحية صاحبه فأتى ابن ملجم الكوفة وأخفى نفسه وتزوج امرأة من الخوارج يقال لها قطام بنت علقمة من تيم الرباب وكانت ترى رأى الخوارج

ويقال إنه لما تزوج قطام شرطت عليه فى صداقها ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة وأن يقتل علياً وفى ذلك يقول ابن ملجم *

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب علىٍ بالحسام المصمم
فلا مهر أعلى من علىٍّ وان غلا * ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

فلما كانت ليلة احدى وعشرين من رمضان خرج عبد الرحمن وخرج معه شبيب الاشجعى وقد كان واطأه على قتله فوقفا على الباب الذى يدخل منه الى المسجد وكان على كرم الله وجهه يخرج مغلساً فيوقظ الناس للصلاة فلما خرج على عادته وأراد الدخول الى المسجد ضربه شبيب فاخطأه وأصاب الباب وضربه ابن ملجم على وسط رأسه فقال علىٌّ فزت ورب الكعبة شانكم بالرجل فاجتمع الناس فحمل عليهم ابن ملجم فأفرجوا له وتلقاه المغيرة ابن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب فرمى عليه قطيفة كانت عنده وحمله وضرب به الارض وقعد على صدره * وأما شبيب فانتزع السيف من يده رجل من حضرموت وصرعه وقعد على صدره فجعل الناس يصيحون عليكم بصاحب السيف فخاف الحضرمي على نفسه ورمي بالسيف وانسل شبيب من بين الناس وأخذ ابن ملجم ودخل به على علىّ عليه السلام فقال علىّ عليه السلام إن أعش فالامر لى وان أصبت فالامر لكم وأقام على يومين فسمع ابن ملجم الرنة من الدار فقال له من حضر اى عدوّ الله انه لا بأس على امير

المؤمنين فقال فعلى من تبكى أم كلثوم أعليا تبكى أما والله لقد اشتريت سيفى بألف وجعلت أعرضه فما يعيبه أحد بعيب الا أصلحت ذلك العيب ولقد سقيته السم حتى لفظه ولقد ضربته ضربة لو قُسمت على من بالمشرق لأتت عليهم ثم مات على عليه السلام فى اليوم الثالث فدعا عبد الرحمن بن ملجم الحسن بن على فقال ان لك عندى سراً فقال الحسن أتدرون ما يريد يريد أن يقرب من وجهى فيعض أذنى فيقطعها فقال ابن ملجم أما والله لو أمكنني منها لاقتلعتها من أصلها فقتلته وقد اختلف فى قتله فقيل كُحل بميلين بعد أن أحميا وقيل بل قطعت يداه ورجلاه ولسانه ثم قتل وكان موت على لأربعين من الهجرة وتنوزع فى موضع قبره فنهم من قال إنه دفن بمسجد الكوفة ومنهم من قال انه حمل الى المدينة ودفن عند قبر فاطمة عليها السلام ومنهم من قال حمل على جمل فى تابوت وان الجمل تاه فوقع الى بلاد طى وذكر ان علياً لم ينم الليلة التى قتل صبيحتها وأنه لم يزل يمشى بين باب المسجد والحجرة ويقول والله ماكذبت ولا كذبت وانها الليلة التى وعدت ـ ولما خرج من داره صرخ بط من الدار كان للصبيان فصاح به بعض من فى الدار فقال على عليه السلام ويحك دعهن فانهن نوائح * وحكى أبو بكر بن الاصبع قال قدم علينا شيخ شديد البياض يشبه بياضه بياض البرص يقال له ابن

الماء وكان غريباً فذكر انه كان نصرانياً سنين وأنه كان يتعبد في صومعته فبينا هو ذات يوم في صومعته اذ جاء طائر كالنسر او كالكركي فوقف عند الصومعة فتقيأ بضع لحم ثم نقرها فالتأمت رجلا ثم نقرها فعاد بضعاً ثم ابتلعها وطار ثم جاء في اليوم الثاني ففعل مثل ذلك ثم في اليوم الثالث فلما التأمت رجلا قلت له سألتك بالله من أنت فقال أنا عبد الرحمن بن ملجم قاتل على ابن أبي طالب وكل الله بي هذا الطائر يفعل بي ما تراه الى يوم القيامة هذا *

وأما الحسين فهو ابن على ابن أبي طالب ويكنى بابي عبدالله وقتل بكربلا من ارض الفرات على شاطىء الفرات * واما شمر فهو شمر بن الجوشن وكان من خبر الحسين وشمر انه لما مات معاوية بن ابى سفيان واتى الوليد بن ابى عتبة الى المدينة ليأخذ البيعة ليزيد خرج منها الحسين رضى الله عنه يريد مكة حتى أتى الى عبدالله بن مطيع فقال للحسين ياابا عبدالله الى اين تريد قال العراق قال لم قال مات معاوية وجاءنى اكثر من حمل من الصحف يدعوننى الى البيعة قال لا تفعل ياابا عبدالله والله ما حفظوا اباك وكان خيرا منك والله لئن قتلت مابقيت حرمة الا انتهكت وقد كان بعث الحسين الى الكوفة بمسلم بن عقيل بن ابى طالب وكان على الكوفة حينئذ النعمان بن بشير الانصارى فقال ياأهل الكوفة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

أحب الىَّ من ابن بنت مجدل فبلغ يزيد بن معاوية فبعث اليها عبيد بن زياد فقدمها قبل ان يقدمها الحسين عليه السلام وقد كان بايع بها لمسلم اكثر من ثلاثين ألفا - فلما خرج بهم الى عبيد بن زياد جعلوا كلما انتهوا الى زقاق انسل منهم أناس حتى بقي في شرذمة فلما رأى ذلك مسلم بن عقيل دخل دار هانيء بن عروة المرادى وكان له شرف ورأى فقال له هانيء ان لى من ابن زياد مكاناً وسأتمارض فاذا جاء يعودنى فاضرب عنقه فلما جاءه ابن زياد يعوده وقد كان هانيء شرب المغرة وجعل يتقيأ كأنه يتقيأ الدم وكان هانيء قال لمسلم ابن عقيل اذا قلت اسقونى فاخرج اليه فلما جاء ابن زياد عنده قال هانيء اسقونى فلم يخرج مسلم فقال اسقونى ولو كانت فيه نفسى قال فخرج بن زياد ولم يصنع مسلم شيئاً وكان من أشجع الناس ولكنه أخذ بقلبه وأتى ابن زياد الخبر فأمر بقتل هانيء وأمر لمسلم من يسوقه اليه فخرج عليهم بسيفه فقاتلا حتى أثخن بالجراحة وسيق اليه فلما قدمه للقتل قال دعنى حتى اوصى قال فافعل فنظر فى وجوه القوم فقال لعمرو بن سعد بن ابى وقاص ما ارى هنا قرشيا غيرك ادن منى فدنا منه فقال هل لك ان تكون سيد قريش ما دامت قريش ان حسينا ومن معه وهم تسعون انسانا بين رجل وأمرأة فى الطريق فارددهم واكتب اليهم بما اصابنى ثم ضربت عنقه فقال عمرو لعبيد الله أتدرى أيها الامير بم سارّنى فقال أكتم على

ابن عمك قال الامر أكبر من ذلك قال اكتم على ابن عمك قال الامر أكبر من هذا فأخبره بما قال له فقال عبيد الله أما اذا دللت عليه فوالله لايقاتله سواك فاخرج اليه ـ ثم جاء الخبر الى الحسين فهمّ بالرجوع وكان معه من بني عقيل خمسة فقالوا نرجع وقد قتل أخونا وجاءك من الكتب ماتثق به فقال لباقي أصحابه ما على هؤلاء من صبر فلقيهم الجيش وهم بكربلا فقال الحسين أيّ أرض هذه فقالوا كربلا فقال كربٌ وبلاء ـ ولما أحاطت بهم الخيل قال الحسين لعمرو اختر مني خصلة من ثلاث خصال إما أن تتركني أرجع كما جئت وإما أن تسيرني الى يزيد فأضع يدي في يده وإما ان تسيرني الى الترك فأقاتلهم حتى اموت فأرسل عمرو الى ابن زياد بذلك فهمّ ان يسيره الى يزيد بن معاوية فقال شمر امكنك الله من عدوك فتتركه ـ لا إلا ان ينزل على حكمك فأرسل اليه بذلك فقال انا أنزل على حكم ابن مرجانة لا والله لا أفعل ذلك أبدا وأبطأ عمرو عن قتاله فأرسل اليه ابن زياد بشمر وقال إن تقدم عمرو فقاتل والا فاضرب عنقه وكن مكانه وكان مع عمرو ثلاثون رجلا من أهل الكوفة فقالوا له يعرض عليك ابن بنت رسول الله خصلة من ثلاث خصال فلا تقبل منها شيئاً فتحولوا مع الحسين عليه السلام وقتل يوم عاشوراء سنة احدى وستين من الهجرة (بالطف) من شاطىء الفرات من أرض كربلا وتولى قتله

سنان بن أبي سنان النخعي وأجهز عليه خولى بن يزيد الاصبحى وجزَّ رأسه وأتى به عبيد الله بن زياد وهو يقول *

أوقر ركابى فضة وذهبا * انى قتلت الملك المحجبا
خير عباد الله أما وأبا

فقال له عبيد الله فان كان خير عباد الله أما وأبا فلم قتلته فأمر به فضربت عنقه ثم أمر بحمل رأس الحسين الى يزيد وحمل معه نساءه وأبناءه الاصاغر — فحكى القوم الذين حملوه انهم نزلوا منزلا فى مسيرهم ووضع الرأس قريباً منهم فرأوا يدا من حديد خرجت من الهواء فكتبت على جبين الحسين سطرا من دم هذا البيت *

أترجو أمةٌ قتلت حسينا * شفاعة جدّه يوم المعاد

وروى أن هذا البيت وجد مكتوبا فى كنيسة من كنائس الروم وعليه تاريخه مذ كتب فوجد أنه قبل الاسلام بثلثمائة سنة ـ وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم نصف النهار وهو اشعث أغبر باكيا وبيده قارورة يجمع فيها دما فقال ما هذا يا رسول الله قال هذا دم الحسين لم أزل التقطه منذ اليوم فوجد الحسين فى ساعة الرؤيا مقتولا ـ ولما وضع الرأس بين يدى يزيد تمثل بقول الحصين المرى حيث يقول *

نفلق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقال له على بن الحسين وهو فى السبي كتاب الله أولى بك ﴿ ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ فغضب يزيد وجعل يعبث بلحيته – ثم قال ما ترون يا أهل الشام فقال كل منهم على قدر دينه فقال نعمان بن بشير الانصارى أنظر ماكان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رآهم فى هذه الحالة فاصنعه بهم قال صدقت خلوا عنهم واضربوا عليهم القباب وأمال عليهم المطبخ وكساهم وأخرج لهم جوائز كثيرة وقال لو كان بين ابن مرجانة وبينهم نسب ما قتلهم ثم ردهم *ومن حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان عندى النبي صلى الله عليه وسلم ومعى الحسين فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم فأخرته فبكى فتركته فدنا منه فأخرته فبكى فتركته فقال له جبريل أتحبه يامحمد قال نعم أما ان أمتك ستقتله وإن شئت أريتك من تربة الارض التى يقتل عليها فبسط جناحه فأراه منها فبكى النبي صلى الله عليه وسلم *وحكى عبد الوهاب عن يسار بن أبي الحكم قال لما انتهب عسكر الحسين وجد فيه طيب ما تطيبت به امرأة الا برصت * ويروى عن يحي بن اسماعيل عن سالم عن الشعبي

قال قيل لابن عمر وان الحسين قد توجه الى العراق فخرج وراءه حتى لحقه على ثلاث مراحل من المدينة وكان غائباً عند خروجه فقال أين تريد قال العراق وأخرج اليه كتب القوم ثم قال هذه بيعتهم وكتبهم فناشده الله أن يرجع فأبى فقال أما انا سأحدثك بحديث ما حدثت به أحدا قبلك ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة وانكم بضعة منه فوالله لا وليها أحد من أهل بيتك ابدا وما صرفها الله عنكم الا لما هو خير لكم فارجع فأنت أعلم بغدر أهل العراق وما كان يلقى أبوك منهم فأبى فاعتنقه وقال استودعك الله من قتيل — وحكى الفرزدق قال خرجت أريد مكة فاذا بقباب مضروبة وفساطيط فقلت لمن هذه فقيل للحسين بن على عليهما السلام فعدلت اليه وسلمت عليه فقال من أين أقبلت قلت من العراق قال كيف تركت الناس قلت له القلوب معك والسيف عليك والنصرة فى السماء — ولما قتل رحمه الله لم يقم لبنى حرب بعدها قائمة حتى سلبهم الله ملكهم وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف الثقفى وهو يقول في كتابه جنبنى دماء أهل هذا البيت فانى رأيت بنى حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين * وروى على بن عبد العزيز عن ابراهيم بن عبد الله عن أبى معشر عن محمد بن عبد الله بن سعيد ابن العاص عن الزهرى قال الليلة التي قتل فيها الحسين بن على بن

أبي طالب فى صبيحتها لم يرفع ببيت المقدس حجر الا ووجد تحته دم عبيط والله أعلم * ثم قال الناظم *

(وليتها اذ فدت عمراً بخارجة * فدت عليا بمن شاءت من البشر)

عمرو هذا الذى ذكره هو عمرو بن العاص بن وائل بن هشام ابن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب وفى كعب يجتمع مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى عمود النسب : وخارجة رجل من سهم بن عمرو بن هصيص رهط عمرو بن العاص وكان من خبره أنه لما اجتمعت الخوارج على قتل على ومعاوية وعمرو كما قدمنا ذكره مشى زادويه مولى بنى العنبر الى عمرو مع صاحبيه فى تلك الليلة فأرصد لعمرو فاشتكى عمرو تلك الليلة من بطنه ولم يخرج للصلاة فخرج خارجة ليصلى بالناس عوض عمرو فظنه زادويه عمرا فضربه فقتله وأخذ ودخل به على عمرو فسمعهم يخاطبونه بالامرة فقال أو ما قتلت عمراً قال لا انما قتلت خارجة فقال أردت عمرا وأراد الله خارجة فذلك قوله (اذ فدت عمرا بخارجة) والتاء عائدة على الليالى - ويحكى عنه انه من حسن فطنته وتنبهه للامور الغوامض بذكائه أنه لما نزل على غزة لحاصرها بعث اليه علجها أن أبعث الىَّ رجلا من أصحابك اكلمه ففكر عمرو فقال ما لهذا أحد غيرى قال فخرج حتى دخل على العلج فكلمه فسمع كلاما لم

يسمع مثله قط فقال العلج هل فى أصحابك أحد مثلك قال لا تسأل عن هوانى عليهم اذ بعثونى اليك وعرضونى لما عرضوني ولا يدرون ما تصنع بى قال فأمر له بجوائز كثيرة وكسوة وبعث الى البواب (اذا مرّ بك فاضرب عنقه وخذ ما عنده) فخرج من عنده فمر برجل من نصارى غسان فعرفه فقال يا عمرو أحسنت الدخول فأحسن الخروج ففطن لها عمرو فرجع فقال له الملك ما ردك الينا قال نظرت فيما أعطيتنى فلم أجد ذلك يسع بنى عمي فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم مثل هذه العطية فيكون معروفك عند عشرة منا خيرا من أن يكون عند واحد فطمع فيهم العلج فقال صدقت عجل بهم و بعث الى البواب أن خل سبيله فخرج عمرو وهو يلتفت حتى أمن فقال لا عدت لمثلها أبدا فلما صالحه عمرو ودخل عليه العلج فقال له أو أنت هو قال نعم على ما كان من غدرك والله أعلم *

(وفي ابن هند وفى ابن المصطفى حسن * أتت بمعضلة الالباب والفكر)
(فبعضنا قائل ما اغتاله أحـد * وبعضنا ساكت لم يؤت من حصر)

ابن هند هذا هو معاوية ابن أبي سفيان وكان يسمى بالناصر لحق الله على رواية من يرى أن بنى أمية كانت ذات القاب سلطانية كبنى العباس ـ وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وذكر أنها أنذرت به قبل مولده بمدة وقيل لها انك تلدين ملكا

اسمه معاوية وكان من خبر هذه القصة أنها كانت تحت الفاكه ابن المغيرة المخزومي قبل أبي سفيان وكان له بيت للاضياف يغشاه الناس فيه بغير اذنه فقعد يوما في ذلك البيت ومعه هند ثم خرج عنها وتركها نائمة فجاء بعض من يغشى البيت فدخل عليها فلما رآها نائمة خرج فاستقبله الفاكه ثم جاء الفاكه فنبهها وقال من هذا الذى خرج من عندك فقالت له ما انتبهت حتى نبهتنى فقال لها الحقى بأهلك فخاض الناس فى أمرها حتى قال لها أبوها أنبئيني شأنك فان كان صادقاً دسست اليه من يقتله وان كان كاذباً حاكمته الى بعض كهان اليمن قالت والله يا أبت انه لكاذب فخرج عتبة الى الفاكه فقال له انك رميت ابنتى بأمر كبير فاما أن تثبت وإما أن تحاكمنى الى بعض كهان اليمن فقال له الفاكه لك ذلك فخرجا الى الكاهن ومع كل واحد منهما جماعة من قومه رجال ونساء فلما شارفوا بلاد الكاهن تغير وجه هند فقال لها أبوها ألا كان هذا قبل أن يشتهر خروجنا فى الناس قالت والله ماذاك لمكروه ولكنا نأتى بشراً يخطئ ويصيب ولعله يسمني بميسم يبقى على ألسنة الناس قال لها صدقت وسأختبره وصفر لفرسه فأدلى فعمد الى حبة بر فأدخلها في إحليل الفرس ثم أوكى عليها فلما نزلوا على الكاهن قال له عتبة إنا أتيناك فى أمر وقد خبأت لك خبيئاً أختبرك به فما هو قال له الكاهن ثمرة فى كمرة قال أبين من هذا

قال حبة بر فى إحليل مهر قال صدقت فانظر فى أمر هؤلاء النسوة فجعل الكاهن يمسح على رأس كل امرأة منهن ويقول قومى لشأنك حتى بلغ هنداً فمسح على رأسها وقال لها قومى غير وشحاء ولا زانية وستلدين ملكا اسمه معاوية فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها فأزالت يدها من يده وقالت والله لاحرصن أن يكون هذا الولد من غيرك فتزوجها أبو سفيان فولدت له معاوية * وذكر أن هنداً قالت لابيها انك زوجتنى ولم تؤامرنى فى نفسي فعرض ماترى فلا تزوجنى رجلا حتى تعرض علىّ خصاله فخطبها بعد ذلك سهيل ابن عمرو وأبو سفيان بن حرب فدخل عليها أبوها وهو يقول *

أتاك سهيل وابن حرب وفيهما * رضى لك ياهند الهنود ومقنع

فما منهما الا كريم مرزأ * وما منهما إلا أغر سميدع

فدونك فاختارى فأنت بصيرة * ولا تخدعى ان المخادع يخدع

فقالت هند فسر لى خصالهما فبدأها بذكر سهيل فقال أما أحدهما ففى ثروة وبسطة من العشيرة إن تابعتيه تابعك وإن ملت عنه حط اليك تحكمين عليه فى ماله وأهله وأما الآخر فموسع عليه منظور اليه فى الحسب الحسيب والرأى الاريب مدرة أرومته وغرة عشيرته شديد الغيرة كثير الطيرة لاينام عن ضيفه ولا يرفع عصاه عن أهله قالت أما الاول فسيد مضياع للحرة فما عسيت أن تلين بعد إبائها تابعها بعلها فاسوأت وخافها أهلها فأمنت

فساءت عند ذلك حالها وقبح هنالك دلالها فان جاءت بولد من
هذا أحمقت وان أنجبت فعن خطأ ما أنجبت فاطو ذكر ذلك عني
وأما الآخر فبعل الفتاة الحرة الخريدة العفيفة وانى التي لاتريب
له عشيرة فتغيره ولا تصبه بذعر فتضيره فزوجنيه فزوجها من
أبي سفيان ويقال إنه أهدى الى الكعبة جزائر من أحد ملوك
الهند وقال لاينحرها إلا أعز من بمكة فقالت له هند وهو في سابعه
معها أخرج لئلا يسبقك أحد الى هذه المكرمة فقال لها دعيني
وشأني والله لا نحرها أحد إلا نحرته فربطت الجزائر بفناء الكعبة
حتى خرج من سابعها فنحرها فولدت له هند معاوية وهو
الذي لايجاريه أحد في سعة حلمه - ويقال إنه لما أفضى اليه الامر
أسر رجل من قريش فحمل الى صاحب القسطنطينية فكلمه ملك
الروم فجاوبه بجواب لم يوافقه فقام اليه رجل من أقباط صاحب
القسطنطينية وبطارقته فوكزه فقال القرشي وامعاوياه لقد
أغفلت أمورنا واضيعتاه فوصل الخبر الى معاوية فطوى عليه
حتى احتال في فداء الرجل القرشي - فلما وصل اليه سأله عن
أمره مع صاحب القسطنطينية وعن اسم البطريق الذي وكزه في
مجلس صاحب القسطنطينية - فلما عرفه أرسل الى رجل من قواد
صور الذين كانوا قواد البحر وكان معروفاً بالنجدة وغزو
الروم في البحر وقال له أنشيء مركباً يكون له مجاديف في جوفه

واستعمل السفر الى بلاد الروم وأظهر انك انما تسافر الى بلادهم على وجه السر والاستتار منا وتوصل الى صاحب القسطنطينية ومكنه من المال واحمل الهدايا الى جميع وزراء صاحب القسطنطينية ولا تتعرض لفلان يعني الذي لطم الرجل القرشي واعمل كأنك لا تعرفه فاذا كلمك وقال لك لأى معنى تهادى أصحابى وتتركنى فاعتذر اليه وقل له أنا رجل أدخل الى هذه المواضع مستترا ولا أعرف الا من عرفت به ولو علمت أنك من وزراء الملك لهاديتك كما هاديت أصحابك ولكنى اذا انصرفت اليكم مرة أخرى فسأعرف حقك — فلما انصرف اليهم ثانية هاداه وألطف به وأربى فى هديته على أصحابه وجعل يؤمله حتى اطمأن اليه العلج — فلما كان فى إحدى المرات قال له ذلك البطريق كنت أحب أن تجلب الىّ من بلاد المسلمين وطاء ديباج يكون على ألوان الزهر قال له نعم * فلما انصرف وصل الى معاوية فأخبره بما طلب فأمر أن يشترى له بساط على ما وصف وقال له معاوية اذا دخلت وادى القسطنطينية أخرج الوطاء وابسطه على ظهر المركب وتربص فى الوادى حتى يصل الخبر الى ذلك العلج وابعث أعلمه فى السر وتحين خروجه الى ضيعته التى له على ضفة وادى القسطنطينية (وقد كان علم معاوية أن لذلك العلج ضيعة على ضفة وادى القسطنطينية) فاذا وصلت الى حذاء ضيعة العلج فأبديها لعله يحمله الشره على الدخول عندك

فاذا صار عندك يثب رجالك بالذى يكون بينك و بينهم من الاشارة ليخرجوا المجاذف التى في جوف مركبك للجذف وطر به من ذلك الموضع راجعاً الى بلاد الاسلام ففعل ماامر به ـ فلما بسط ذلك البساط على ظهر مركبه ووصل الى عرض ضيعة العلج بعث اليه يعلمه فخرج اليه العلج ومن كان معه من أتباعه ـ فلما أشرف على المركب ورأى ذلك البساط حمله الحرص والنشاط على أن دخل الى المركب فلما صار فى المركب أظهر الامارة التي كانت بينه وبين رجاله بعد ربط العلج ومن دخل معه المركب من أتباعه وكرَّ به راجعاً الى بلاد المسلمين حتى أوصله الى معاوية فأحضر معاوية ذلك الرجل القرشي وقال له هذا صاحبك قال نعم قال له قم فاصنع به مثل ماصنع بك ولا تزد فقام القرشى اليه فوكزه كما كان فعل به العلج ثم قال معاوية للعلج ارجع الى ملكك وقل له تركت ملك الاسلام يقتص من اصحاب بساطك وخواصك وقال للذى ساقه انصرف به الي أول أرض الروم واخرجه فيها واترك له البساط وكل ماسألك أن تحمله اليه من هدية فانصرف به الى فم وادى القسطنطينية فوجد ملك القسطنطينية قد صنع سلسلة على قدر فم الوادى ووكل بها الرجال فلا يدخل أحد الوادى إلا باذنه فأخرج هناك العلج وكل من كان معه ـ فلما وصل الي ملكه وصف له ماصنع به قال هذا ملك كثير الحيلة فعظم معاوية فى

اعينهم وفى نفوسهم فوق ما كان * ومن حيلته فى قصة أرينب بنت اسحق زوج عبدالله بن سلام القرشي وكان عبد الله والياً لمعاوية على بلاد العراق وكانت (ارينب) هذه من اجمل نساء وقتها واحسنهن ادبا واكثرهن مالا – وكان يزيد بن معاوية قدسمع بجمالها وماهي عليه من الادب وحسن الخلق والخلق ففتن بها – فلما عيل صبره استراح في ذلك مع بعض خصيان معاوية وكان ذلك الخصي خاصاً بمعاوية واسمه (رفيف) فذكر ذلك رفيف لمعاوية وذكر له شغفه بها وانه ضاق ذرعه بأمرها فبعث معاوية الى يزيد فاستفسره عن أمره فبث له شأنه فقال معاوية مهلا يايزيد فقال له علام تأمرني بالمهل وقد انقطع منها الامل قال له معاوية فأين حجاك ومروتك فقال له يزيد قد عيل الصبر والحجى ولو كان أحد ينتفع به من الهوى لكان أولى الناس بالصبر عليه داود حين ابتلى به قال يابنى أكتم أمرك فان البوح به غير نافعك والله بالغ أمره فيك ولا بد مما هو كائن – وكانت أرينب بنت اسحق مثلا لاهل زمانها فى جمالها وتمام كمالها وشرفها وكثرة مالها فأخذ معاوية فى الحيلة حتي يبلغ يزيد رضاه فيها – وكتب معاوية الى عبد الله بن سلام وكان استعمله على العراق أن أقبل حين تنظر فى كتابى لامر فيه حظك ان شاء الله تعالى ولا تتأخر عنه واغذ السير وكان عند معاوية يومئذ بالشام أبو هريرة وأبو الدرداء صاحبا رسول الله

صلى الله عليه وسلم فلما قدم عليه عبد الله بن سلام بالشام أمر معاوية أن ينزل منزلا قد هيأه وأعد فيه نزله * ثم قال لابى هريرة وأبى الدرداء ان الله قد قسم بين عباده نعماً أوجب عليهم شكرها وحتم عليهم حفظها فحبانى عز وجل بأتم الشرف وأفضل الذكر وأوسع على فى رزقه وجعلنى راعي خلقه وأمينه على بلاده والحاكم فى أمر عباده ليبلونى أأشكر أم أكفر وأولى ماينبغى للمرء أن يتفقده وينظر فيه من استرعاه الله أمره ومن لاغنى به عنه وقد بلغت لى إبنة أريد نكاحها والنظر فى تخير من يباعلها لعل من يكون بعدى يقتدى فيه بهديى ويتبع فيه أثرى فانه قد يلى هذا الملك بعدى من يغلب عليه زهو الشيطان فيزين لهم تعطيل بناتهم اذ لا يرون لهن كفؤاً ولا نظيراً وقد رضيت لها عبد الله بن سلام القرشي لدينه وشرفه وفضله ومروءته وأدبه فقال له أبو هريرة وأبو الدرداء ان أولى الناس برعاية نعم الله وشكرها وطلب مرضاته فيما خصه به منها لأنت فانك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتبه وصهره فقال معاوية فاذكرا له ذلك عنى وقد كنت جعلت لها فى نفسها شورى غير أنى أرجو أن لاتخرج عن رأيى ان شاء الله فخرجا من عنده متوجهين الى عبد الله بن سلام القرشي بالذى قال لهما معاوية ثم دخل معاوية على ابنته فقال لها اذا دخل عليك أبو الدرداء وأبو هريرة فعرضا

عليك أمر عبد الله بن سلام وانكاحي إياك منه وحضك على المسارعة الى هواى فقولى لهما عبد الله بن سلام كفؤ كريم وقريب حميم غير أنه تحته (أرينب) بنت اسحق وانى خائفة أن يعرض لى من الغيرة ما يعرض للنساء فأتناول منه ما يسخط الله فيه فيعذبنى عليه ولست بفاعلة حتى يفارقها - فلما ذكر ذلك أبو الدرداء وأبو هريرة لعبد الله بن سلام وأعلماه بالذى قال لهما معاوية فردهما عبد الله الى معاوية خاطبين منه فقال لهما معاوية قد تعلمان رضاى به وحرصي عليه وكنت قد أعلمتكما بالذى جعلت لها فى نفسها من الشورى فادخلا عليها واعرضا عليها الذى رأيت لها فدخلا عليها وأعلماها بذلك فقالت لهما كما قال لها أبوها فأعلما عبد الله ابن سلام بذلك فلما ظن انه لا يمنعه منها إلا فراق ارينب اشهدهما على طلاقها وبعث بهما اليها خاطبين فأعلما معاوية بالذى كان من فراق عبد الله بن سلام امرأته طالباً لما يرضيها فأظهر معاوية كراهية فعله وطلاق زوجته وقال ما أستحسن له طلاق امرأته ولا احبه فانصرفا فى عافية ثم تعودان الينا فيها ونأخذ ان شاء الله رضاها وكتب معاويه الى يزيد ابنه يعلمه بما كان من طلاق عبد الله بن سلام لارينب بنت اسحاق فلما عاد ابو هريرة وابو الدرداء الى معاوية امرهما بالدخول على ابنته وسؤالها عن رضاها تبريا من الامر ونظرا فى العدل ويقول لم يكن لى اذا كرهها وقد

جعلت لها الشورى فى نفسها فدخلا عليها واعلماها بطلاق عبد الله امرأته ليبشراها وذكرا من فضله وكمال مروءته وكريم محتده فقالت لهما جف القلم بما هو كائن وانه فى قريش لرفيع القدر وقد تعرفان أن التزويج جده جد وهزله جد كذلك والاناة فى الامور أوفق لما يخاف فيها من المحذور فان الامور اذا جاءت خلاف الهوى بعد التأنى فيها كان المرء بحسن العزاء خليقاً وبالصبر عليها حقيقاً وانى سائلة عنه حتى أعرف دخيلة خبره ويصح لى بالذى أريد علمه من أمره وان كنت أعلم ان لاختيار لاحد فيما هو كائن ومعلمتكما بالذى يرينيه الله فى أمره ولاحول ولا قوة إلا بالله – فقالا لها وفقك الله وخار لك ثم انصرفا عنها فلما أعلماه بقولها أنشأ يقول *

فان يك صدر هذا اليوم ولى * فان غداً لناظره قريب

وتحدث الناس بالذى كان من طلاق عبد الله بن سلام امرأته وخطبته ابنة معاوية وقالوا لِمَ طلق حتى يفرغ من طلبته ويوجب له الذى كان من بغيته واستحث عبد الله أبا هريرة وأبا الدرداء فأتياها فقالا لها اصنعى ما أنت صانعة واستخيرى الله فانه يهدى من استهداه قالت أرجو والحمد لله أن يكون الله قد خار فانه لا يكل الى غيره من توكل عليه وقد استبريت أمره وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسى مع اختلاف من

استشرته فيه فمنهم الناهي عنه والآمر به واختلافهم أقل ما كرهت فلما بلغاه كلامها علم أنه مخدوع وقال متعزيا ليس لامر الله راد ولا لما لابد منه صادّ فان المرء وان كمل له حلمه واجتمع له عقله واشتد رأيه ليس بدافع عن نفسه قدراً برأى ولا بكيد ولعل ماسؤلوا له واستخذلوا به لايدوم لهم سروره ولا يصرف عنهم محذوره *

ثم ذاع أمره وفشا فى الناس وقالوا خدعه معاوية حين طلق امرأته وانما أرادها لابنه لبئس ما صنع — فلما بلغ ذلك معاوية قال لعمرى ما خدعته فلما انقضت اقراؤها وجه معاوية أبا الدرداء الي العراق خاطبا لها على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسين بن على بن أبى طالب فقال أبو الدرداء اذ قدم العراق ما ينبغي لذى النهى أن يبدأ بشيء ويؤثره على مهم اموره قبل زيارة الحسين سيد شباب أهل الجنة اذا دخل موضعا هو فيه فاذا أديت حقه والتسليم عليه انقلبت الي ما جئت له فقصد الحسين فلما رآه الحسين قام اليه وصافحه إجلالا لصحبته من جده صلى الله عليه وسلم ولموضعه من الاسلام وقال له ما أتى بك يا أبا الدرداء قال وجهني معاوية خاطبا على ابنه يزيد أرينب بنت اسحق فرأيت على حقا ألا أبدأ بشيء قبل السلام عليك فشكر له الحسين ذلك وأثنى عليه وقال لقد كنت ذكرت نكاحها وأردت الارسال اليها اذا انقضت اقراؤها ولم يمنعنى ذلك الا تخير مثلك

فقد اتى الله بك فاخطب رحمك الله علىّ وعلى يزيد ولتتخير من اختاره الله لها وهى امانة فى عنقك حتى تؤديها اليها وأعطها من المهر مثل مابذل لها معاوية على ابنه يزيد فقال أفعل ان شاءالله فلما دخل عليها قال أيتها المرأة ان الله خلق الامور بقدرته وكونها بعزته فجعل لكل أمر قدرا ولكل قدر سببا وليس لأحد عن قدر الله مستخلص ولا للخروج عن علمه مستأنص فكان ما سبق لك وقدر عليك الذى كان من فراق عبدالله بن سلام إياك ولعل ذلك لا يضرك ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وقد خطبك أمير هذه الامة وابن مليكها وولى عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية والحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أول من أقر به من أمته وسيد شباب أهل الجنة وقد بلغك سنامهما وفضلهما وجئتك خاطبا عليهما فاختاري ايهما شئت لنفسك فسكتت طويلا ـ ثم قالت يا أبا الدرداء لوأن هذا الامر جاءنى وأنت غائب لأشخصت فيه الرسل اليك واتبعت فيه رأيك ولم أقتطعه دونك فاما اذا كنت المرسل فيه فقد فوضت امرى بعد الله عليك وجعلته فى يديك فاختر لى أرضاهما اليك والله شاهد عليك فاقض فى حقى بالتحرى ولا يصدنك عن ذلك اتباع الهوى فليس امرهما عليك خفيا ولا أنت عما طوقتك غبيا ـ قال أبو الدرداء أيتها المرأة انما علىّ اعلامك وعليك الاختيار

لنفسك قالت عفا الله عنك انما انا ابنة اخيك ومن لاغنى به عنك
فلا يمنعك رهبة احد من قول الحق فيما طوقتك وقد وجب عليك
اداء الامانة فيما حملتك والله خير من روعي وخيف انه بنا خبير
لطيف ـ فلما لم يجد بدآ من القول والاشارة قال (اى بنية) ابن بنت
رسول الله احب الىَّ لك وأرضى عندى والله اعلم بخيرهما لك وقد
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا شفتيه على شفتى الحسين
فضعى شفتيك حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم شفتيه قالت
قد اخترته ورضيته فتزوجها الحسين بن على عليهما السلام وساق لها
مهرا عظيما وبلغ معاوية الذى كان من فعل أبى الدرداء فى ذلك ونكاح
الحسين اياها فتعاظمه جدا ولامه شديدا وقال من يرسل ذا بله وعمى
يركب خلاف ما يهوى ـ وكان عبدالله بن سلام قد استودعها قبل
فراقه إياها بدرات مملوة درا وكان ذلك اعظم ماله به واحبه اليه
وقد كان معاوية اطرحه وقطع عنه جميع روافده لسوء قوله فيه
وتهمته له بانه خدعه فلم يزل يجفوه حتى عيل صبره وقل ما فى يديه
ولام نفسه على المقام لديه فرجع الى العراق وهو يذكر ماله الذى
استودعها اياه ولايدرى كيف يصنع وأنّى يصل اليه وهو يتوقع
جحودها لسوء فعله بها وطلاقه اياها على غير شيء أنكره عليها
فلما قدم العراق لقى حسيناً فسلم عليه ثم قال له قد عرفت ما كان
من خبرى وخبر أرينب وكنت قبل فراقى اياها قد استودعتها

مالا عظيما وكان الذى كان ولم أقبضه ووالله ما أ نكرت منها فى طول صحبتها فتيلا ولا أظن بها الاجميلا فذاكرها أمرى واحضضها على رد مالي علىَّ فان الله يحسن عليـه ذكرك ويجزل به أجرك فسكت عنه فلما انصرف الحسين الى أهله قال لها قد قدم عبدالله ابن سلام وهو يحسن الثناء عليك ويحمل البشر عنـك فى حسن صحبتك وما آنسه قديما من أمانتك فسرنى بذلك وأعجبنى وذكر انه كان استودعك مالا فأدى اليه أمانته ورُدى عليه ماله فانه لم يقل الا صدقا ولم يطلب الا حقاً قالت صدق استودعنى مالا لا أدرى ماهو وانه لمطبوع عليه بخاتمه ماحُول منه شئ الى يومه وها هو ذا فادفعه اليه بطابعه فأثنى عليها الحسين خيراً وقال ألا أدخله عليك حتى تبرئى اليه منه كما دفعه اليك ثم لقى عبدالله ابن سلام فقال له الحسين ما أنكرت مالك وزعمت أنه كما دفعته اليها بطابعك فادخل عليها وتوف مالك منها قال عبد الله بن سلام أو ماتأمر من يدفعه اليَّ قال لا حتى تقبضه منها كما دفعته اليها وتبريها منه اذا هى أدته اليك ـ فلما دخل عليها قال لها الحسين هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطلب وديعته فأدى اليه أمانته فأخرجت اليه تلك البدر فوضعتها بين يديه وقالت هـذا مالك فشكر وأثنى وخرج الحسين عنهما وفض عبد الله خواتم بدره وحثا لها من ذلك وقال خذى فهذا قليل منى فاستعبرا جميعاً

حتى علت أصواتهما بالبكاء أسفاً على ما ابتليا به فدخل الحسين عليهما وقد رق لهما للذى سمع منهما فقال أشهد الله أنها طالق ثلاثاً اللهم انك تعلم أنى لم أستنكحها رغبة فى مالها ولا فى جمالها ولكنى أردت إحلالها لبعلها فطلقها ولم يأخذ شيئاً مما ساق لها فى مهرها فسألها عبد الله أن تصرف الى الحسين ما كان ساقه اليها فأجابته الى ذلك شكراً لما صنعه بهما فلم يقبله الحسين وقال الذى يُرجى عليه من الثواب خير لى فلما انقضت اقراؤها تزوجها عبد الله ابن سلام وبقيا زوجين متصافيين الى أن فرق الموت بينهما وحرم الله يزيد بن معاوية منها *

ويذكر أن سهيلا تزوج امرأة فولدت له غلاماً فبينماهو سائر معه نظر الى رجل يركب ناقة ويقود شاة فقال يا أبت هذه ابنة هذه فقال يرحم الله هنداً يعنى ما كان من فراستها وابن المصطفى حسن هو حسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ويكنى بأبى محمد وكان موته من سم سم به يقال ان زوجته (جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندى) سقته إياه سنة تسع واربعين من الهجرة - وقيل سنة ست واربعين ويذكرو والله أعلم بحقيقة امورهم - ان معاوية دس اليها بذلك على ان يوجه اليها مائة الف ويزوجها من ابنه - فلما مات الحسن رضى الله عنه وفالها معاوية بالمال وقال لها حب حياة يزيد منعنى تزويجه منك فعلى هذا حمحم الناظم ابو محمد رحمه الله فى كلامه فبعضنا

قائل ما اغتاله احد و بعضنا سا كت لم يؤت من حصر - وذكروا ان الحسن قال عند موته لقد حاقت شربته و بلغت امنيته والله لا وفى لها بما وعد ولا صدق فيما قال وفى سمه يقول رجل من الشيعة بعد قتل الحسين *

تعزّ فكم لك من أسوة * تفرّج عنك غليل الحزن

بموت النبي وقتل الوصي * وقتل الحسين وسم الحسن

(وعممت بالردى فودى أبى أنس * ولم تردّ الردى عنه قنا زفر) (١)

ابو أنس هو الضحاك بن قيس الفهرى صاحب مرج راهط (٢) وهو الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب بن ثعلبة بن وائل بن محارب بن فهر وكان الضحاك يدعو لعبد الله بن الزبير وكان زفر ابن الحارث معه وكان من فرسان وقته وكان سبب مرج راهط وقتل الضحاك به أن الضحاك وزفر بن الحارث كانا يدعوان لابن الزبير وكان مروان بن الحكم يدعو لنفسه فجمع كل واحد منهما أصحابه والتقيا بالمرج (مرج راهط) وكان أصحاب الضحاك ستين الفاً أكثرهم فرسان وأصحاب مروان ثلاثة عشر الفاً أكثرهم رجالة فتقاتلا بمرج راهط عشرين يوماً وكان مع مروان عبيد الله بن

---

(١) فودا الرأس جانباه يقال بدا الشيب بفوديه والردى الهلاك والقنا الرماح يقول ان الليالي أهلكت الضحاك ولم ترد الردى عنه رماح زفر وكان زفر من فرسان زمانه فلم ترد رماحه الردى عن الضحاك *

(٢) مرج راهط موضع بالشام والمرج الموضع ترعى فيه الدواب *

زياد فقال له إن الضحاك اكثر منا عدة وعدداً ومعه فرسان قيس ولست تناول منـه ما تريد الا بخديعة الحرب وانما الحرب خدعة فادعهم الى الموادعة فاذا آمنوا كررنا عليهم فارسل مروان الى الضحاك يدعوه الى الموادعة حتى ينظر فى أمره فأصبح الضحاك والقيسية قد طمعوا أن يبايع مروان لابن الزبير - فلما علم مروان أنهم قد اطمأنوا هجم عليهم ففزع الناس الى راياتهم على غير أهبة فنادى الناس يا أنيس أعجزاً بعد كيس فقتل الضحاك (قتله دحية بن عبـد الله الـكلبي) وكان مقتله سنة أربع وستين من الهجرة وفر عنه زفر بن الحارث الـكلابى وفى ذلك يقول زفر وقـد كان فرّ معه يومئذ رجلان كانا جاريه فادركا وقتلا ونجا هو على فرس كان تحته فقال

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط * لمروان صدعا بينا متنائيا
فلم تر منى ذلة قبل هـذه * فرارى وتركى صاحبيّ ورائيا
أيذهب يوم واحد ان أسأته * بصالح أيامي وحسن بلائيا
أيترك كلب لم تنله رماحنا * وتذهب قتلى راهط هى ماهيا

فذلك قوله (ولم ترد الردى عنه قناز فر) اذ كان زفر من فرسان زمانه ومن أهل البلاء المشهورين فى الحرب *

(وأردَتْ ابنَ زياد بالحسين فلم
يبؤ بشسع له قد طاح أو ظفر) (١)

---

(١) باء رجع والشسع السير الذى يشد الى زمام النعال وقد أخذه الناظم من قول مهلهل حين قتل بجير بن الحارث (بؤ بشسع نعل كليب)

ابن زياد هو عبيد الله بن زياد داعى بنى أمية وهو الذى وجه بعمر بن سعد لقتال الحسين رضى الله عنه وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم وقتله ابراهيم بن الاشتر النخعى سنة ست وستين وكان ابراهيم على جيش المختار بن عبيد الثقفى وكان عبيد الله بن زياد على جيش لعبد الملك بن مروان فالتقيا (بالحازر علي الزان) ويذكر أن عسكر عبيد الله كان اكثر من عسكر ابراهيم بعـدد كثير وكان على ربع من أرباع عسكر (عبيد الله عمير بن الحباب) الذى يضرب به المثل في النجدة والشجاعة وكان يقال ما صاح عمير فى جنبات عسكر فوقف أحد على أحد من خوفه - فلما كان فى الليلة التى التقيا فى صبيحتها مشى عمير بن الحباب حتى دخل عسكر ابرهيم وهو لا يشعر به وكان له صاحباً قبل ذلك فالفاه منفصلا فى غلاله يمشى فى عسكره يأمر وينهى وليس معه أحد فاحتضنه عمير من خلفه فقال له من أنت ومارد رأسه اليـه قال عمير فقال ابرهيم ابا المغلس كن بمكانك حتى آتيك ثم مشى فلما انصرف قال ما جاء بك يا ابا المغلس قال ان جمك لا يقوم بجمع عبيد الله ولا تنجو منه فانظر لنفسك فقال له اذا كان صبيحة غد حاكمنا كم الى أطراف الرماح والسيوف فقال له أما وقد عزمت فسأنخزل عنك بثلث الناس قال ان شئت فافعل فلما كان عنـد الصباح ناشبوا القتال فانخزل عمير برايته وانخزل معه كثير من الناس وتقاتل من

بقى مع عبيد الله مع أصحاب ابرهيم ودام القتال بينهم الى الليل ثم انهزم أصحاب عبيد الله وأخذهم السيف فلما أصبح قال ابرهيم انى قتلت البارحة رجلا جاءتنى منه رائحة المسك وقد قسمته نصفين فرميت بذراعيه نحو المشرق وبرجليه نحو المغرب وما أراه الا ابن مرجانه فالتمسوه فى القتلى فالفوه كما ذكر لهم (وابن مرجانه) هو عبيدالله بن زياد ولما قتل ابن زياد بعث ابرهيم برأسه الي المختار وكان المختار يظهر أنه يطالب بدم الحسين ولذلك كان ابراهيم معه فان أصحاب ابراهيم هم الحسينية من الشيعة فلما وصل رأس عبيد الله الى المختار بعث به الى على بن الحسين بالمدينة قال الرسول فقدمت عليه به انتصاف النهار واذا هو يتغدى فلما رآه قال سبحان الله لقد أدخل رأس أبي عبد الله يعنى الحسين على ابن زياد وهو يتغدى ثم أن المختار كتب كتابا الي ابن الزبير وقال لصاحب الكتاب اذا جئت مكة ودفعت الكتاب اليه فأت المهدى محمد بن الحنفية فاقرأ عليه السلام وقل له يقول لك أبو اسحاق انى أحبك وأحب أهل بيتك فلما فعل قال له محمد كذب أبو اسحاق لو كان كذلك ما جلس عمرو بن سعد على وسائده وهو الذي قتل الحسين فلما بلغه الرسول ما قال له أمر بقتل عمرو بن سعد ثم قال لولده حفص بن عمرو أتحب أن تلحق به فقال لا خير فى العيش بعده فقتله ثم لم يزل يتتبع قتلة الحسين حتى أفنى اكثرهم فهذا

قوله (وأردت ابن زياد) وقوله (ولم تبؤ بشسع له) أخذه من قول مهلهل حين قتل بجير بن الحارث فقال له (بؤ بشسع نعل كليب) وان كان الحسين رضي الله عنه فوق أن يقاس اليه بن زياد بشسع نعله ولو امتلأت الارض بمثل بن زياد لم يزنوا شسع نعل الحسين رضى الله عنه *

(وأنزلت مُصعباً من رأس شاهقة
كانت بها مُهجة المختار فى وزر) (١)

مصعب الذى ذكره هو ابن الزبير والشاهقة التى ذكرها هى الكوفة لكثرة رجالها فجعلها شاهقة لمنعتها وكثرة رجالها وكان قتله سنة احدى وسبعين من الهجرة وذلك انه لما التقى مع عبد الملك بن مروان وقد كان عبد الملك كاتب أصحاب مصعب ووعدهم الأمانى ان غدروا بمصعب ورجعوا اليه وكان من جملتهم ابراهيم بن الاشتر النخعى وكان ناصحا له فجاء بالكتاب بطابعه فأقرأه اياه فاذا فيه (من عبد الملك بن مروان الي فلان) وهو يعده فيه بولاية العراق إن غدر بمصعب فقال ابراهيم ما كتب لى عبد الملك حتى كتب الى جميع أصحابك وما كان في أحد منهم أقل طمعا مما كان فىَّ فهل أطلعك أحد منهم على ذلك قال لا قال فأرسل اليهم

---

(١) الزور والصعر ميل فى الخدين من الكبر هكذا فى الشرح الاثيرى ولكن النسخة التى كتب عليها الشارح (فى وزر) أى فى ملجأ ومتحصن *

فاضرب أعناقهم فانهم ما كتموا عنك خبر كتبه الا وقد عزموا على غدرك فقال له مصعب لا أفعل هذا من غير أن يصح عندي قال فأرسل اليهم وتفقهم قال إذن لا تتناصحنا عشائرهم ياأبا النعمان يرحم الله أبابحر (يعني الاحنف) انه كان يحذرني غدر أهل العراق ثم ان عبد الملك رجف نحوأرض مصعب فالتقيا (بالجاثليق) فقتل ابراهيم فقال مصعب لقطن بن عبدالله بن الحارث احمل عليهم أبا عبد الله في خيلك فقال ما أرى ذلك قال ولم قال لاني أكره أن يقتل مذحج في غير شيء فقال الحجاز بن بحر العجلى أبا أسد قدم رايتك قال التقدم الى هؤلاء لؤم قال ما تتأخر اليه والله أكثر لؤما ثم قال لمحمد بن عبد الرحمن تقدم قال ما أرى أحدا يفعل ذلك فأفعله فقال مصعب يا ابراهيم ولا ابراهيم لي اليوم يعني ابراهيم بن الاشتر النخعي لما كان قد أشار عليه بما أشار ولم يسمع منه وعلم أنه كان له ناصحا من بينهم ثم قال لابنه عيسى بن مصعب الحق بعمك في مكة فاخبره ما صنع بي أهل العراق ودعني فاني مقتول فقال والله لا تتحدث قريش اني اسلمتك للقتل أبدا قال فتقدم يا بني بين يدي احتسبك فاني كنت أعرف فيك الكرم وأنت في مهدك فتقدم فقاتل حتى قتل فحول أهل العراق وجوههم وصاروا مع عبد الملك وبقي مصعب في شرذمة قليلة وجاءه عبيد الله بن ظبيان وكان من

أصحابه فقال أين الناس أيها الامير قال غدركم يا أهل العراق فرفع عبيد الله يده ليضربه فبدره مصعب فضربه على البيضة فنشب السيف فى البيضة فجاء غلام لعبيد الله فضرب مصعب فقتله ثم جاء عبيد الله برأسه لعبد الملك بن مروان وهو يقول

نطيع ملوك الارض ما أقسطوا لنا * وليس علينا قتلهم بمحرَّم

فلما نظر عبد الملك لرأس مصعب خرَّ ساجدا فقال عبيدالله ابن ظبيان ما ندمت على شيء ندمي على عبدالملك حين خر ساجدا ان لم أضرب عنقه فأكون قد قتلت ملكى العرب فى يوم واحد وفى ذلك يقول عبيدالله *

هممت ولم افعل وكدت وليتنى * فعلت فادمنت البكا لاقاربه

فاوردتها فى النار بكر بن وائل * وألحقت من قد خرَّ شكرا بصاحبه

قال الصولى قال عبد الملك بن عمير كنت مع عبد الملك بن مروان بظهر الكوفة أو بقصر الكوفة حين جيء له برأس مصعب فوضع بين يديه فرآنى قد ارتعت فقال لى مالك فقلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين كنت بهذا القصر بهذا الموضع مع عبيد الله بن زياد فرأيت رأس الحسين بن على بين يديه فى هذا المكان ثم كنت فيه مع المختار فرأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يديه ثم كنت مع مصعب فرأيت رأس المختار فيه بين يديه ثم انى رأيت رأس مصعب بين يديك فأعيذك بالله يا أمير المؤمنين

قال فقام عبدالملك من موضعه ذلك وأمر بهدم ذلك الطاق الذى كنا فيه وقال عبد الملك حين نظر الي رأس مصعب متي تغدو قريش مثل مصعب ـ ثم قال هذا سيد شباب قريش * وقيل لعبد الملك أ كان مصعب يشرب الطلا قال لو علم مصعب أن الماء يفسد مروته ماشربه حتى يموت عطشا وكان مصعب من أجمل الناس وأسخاهم وأشجعهم * ومما ذكر عن حسنه ما قاله الزبير بن بكار قال قال جميل بن معمر ما رأيت مصعب يختال بالبلاط الاغرت على بثينة بالحباب وبين الموضعين ثلاثة أميال — وأما المختار فهو المختار بن عبيـد بن مسعود بن عمرو الثقفى ويكنى بأبى اسحاق وكان يدعوا مرة لابن الحنفية وأخرى لابن الزبير وهو فى ذلك كله يسرحسوا فى ارتغاء وينهش لحم الاسلام بمنسراشقى حتى تنبأ وادعى أنه يأتيه الوحى من السماء ـ وحكى أبو حاتم قال حـدثنا أبو عبيدة قال أخذ سراقة بن مرداس البارقي يوم جبانة السبيع أسيرا فقدم فى الاسارى الى المختار فقال له *

امنن علىّ اليوم ياخير معد * وخير من صام وصلى وسجد

فعفا عنه المختار وخلى سبيله ثم خرج مع ابن الاشعث فأتى به المختار أسـيراً فقال له ألم أعف عنك وأمنن عليك أما والله لأقتلنك قال له والله لا تفعل ان شاء الله تعالى قال ولم قال لان أبى حدثنى انك تفتح الشام حتى تهدم مدينـة دمشق حجراً

حجراً وأنا معك ثم أنشأ يقول *

ألا أبلغ أبا اسحاق أنا * حملنا حملة كانت علينا
خرجنا لانرى الضعفاء شيئاً * وكان خروجنا بطرا وحينا
تراهم فى مصافهم قليلا * وهم مثل الدبا لما التقينا
فأسجح اذ قدرت فلو قدرنا * لجرنا فى الحكومة واعتدينا
تقبل توبة منى فانى * سأشكر اذ جعلت النقد دينا

قال فخلى سبيله ثم خرج ابن الاشعث أيضاً ومعه سراقة فأخذ أسيرا وأتى به الى المختار فقال الحمد لله الذى الذى أمكننى منك ياعدو الله هذه ثالثة فقال سراقة أما والله ماهؤلاء الذين أخذونى فأين هم لا أراهم وانا لما التقينا رأينا قوماً عليهم ثياب بيض وتحتهم خيول بلق وهى تطير بين السماء والارض فقال المختار خلوا سبيله ليخبر الناس ثم عاد الى قتاله وقال *

ألا من يبلغ المختار عني * بأن البلق دهم مضمرات
أرى عينيّ مالم تنظراه * كلانا عالم بالترهات
كفرت بوحيكم وجعلت نذرا * عليّ قتالكم حتى الممات

وفى المختار قال صلى الله عليه وسلم يخرج من ثقيف كذاب ولما ظهر لاهل الكوفة سوء معتقده خرجوا نحو مصعب وطلبوا منه النصرة عليه فخرج معهم نحو الكوفة وجعل على مقدمته عباد بن الحصين وعلى ميمنته عمر بن عبيد الله بن معمر وعلى

ميسرته المهلب بن أبي صفرة وعلى خميس بكر بن مالك بن مسمع الذي كان يقال فيه أنه كان اذا غضب غضب له مائة ألف سيف لايسلونه فيم غضب وعلى خميس عبد القيس مالك بن المنذر وعلى خميس بن تميم الاحنف بن قيس فلما وصل خبرهم الى المختار آخرج لهم قائده ابن سميط فهزمه مصعب واتبعه حتى بلغ الكوفة فخرج المختار فنزل (حرورا) وحال بينهم وبين الكوفة فتقاتلوا طويلا حتى انهزم أصحاب مصعب فلما انتهوا الى مصعب جثى على ركبتيه وكان لايفر فوقف الناس عنده فحمل المهلب بن أبي صفرة في أصحابه على اصحاب المختار فقصفهم قصفاً شديدا فترجل المختار وجماعة من أصحابه وتفرق الناس عنه ثم رجع الى قصر الكوفة فأحدق به مصعب وقطع عنه الماء والمادة فلما اشتد الحصار على المختار قال لاصحابه انزلوا بنا نقاتل حتى نموت أو يفتح الله لنا فضعفوا عن ذلك وعجزوا فقال لهم المختار أما أنا فلست أعطي بيدي ولا أحكمهم في نفسي فلما سمع ذلك أصحابه نزلوا من القصر هاربين فلم يبق مع المختار الا قليل فلما راى ذلك أرسل الى امرأته أن ابعثي لي طيباً فبعثت له طيباً كثيرا فاغتسل وتحنط وأمر ذلك الطيب على لحيته ورأسه وخرج في تسعة عشر رجلا وضارب حتى مات وكان الذي قتل المختار صواب بن يزيد الحنفي فذلك قوله (كانت بها مهجة المختار في وزر) اذ كانت

الكوفة من أكثر البلاد خيلا ورجالا ولكنهم غدروا به كما فعلوا بمصعب فكان كل واحد منهما فيها كما لو كان فى رأس شاهقة لولا غدرهم بهما *

(ولم تراقب مكان ابن الزبير ولا * رعت عياذته بالبيت والحجر)

يريد بابن الزبير هنا عبد الله وكان يسمى العائذ لانه كان يقول أنا العائذ بالبيت ـ ويقال ان أول عائذ عاذ بالبيت الحيتان الصغار من الكبار فى الطوفان ـ وقتله الحجاج بن يوسف الثقفى سنة اثنتين وسبعين ـ وقيل سنة ثلاث وذلك انه لما قتل مصعب أخوه وبايع الناس عبد الملك ودخل الكوفة قال له الحجاج يا أمير المؤمنين انى رأيت فى المنام كأنى أسلخ ابن الزبير من رأسه الى قدمه قال له عبد الملك أنت صاحبه فاخرج مع الجيوش فسار بها حتى نزل الى مكة ونصب المجانيق على أبى قبيس وعلى قيقعان ومازال يحاصره ويضيق عليه ـ فلما كان فى الليلة التى قتل فى صبيحتها جمع القرشيين فقال لهم ماترون فقال رجل من بنى مخزوم والله لقد قاتلنا معك حتى لم نجد مقتلا ووالله لئن صبرنا معك ما نزيد على أن نموت وانما هى احدى خصلتين إما أن نأخذ الأمان لانفسنا ولك وإما أن تأذن لنا فنخرج وقال له رجل اكتب لعبد الملك ابن مروان قال كيف أكتب قال أكتب من عبد الله أمير المؤمنين الى عبد الملك بن مروان فوالله لن يقبل هذا أبدا أو

أكتب من عبد الله بن الزبير الى عبد الملك ابن مروان أمير المؤمنين فقال عبد الله والله لأن تقع الخضراء على الغبراء أهون عليّ من ذلك فقال له عروة بن الزبير وهو جالس معه على السرير ياأمير المؤمنين قد جعل الله لك أسوة قال ومن هو قال الحسن ابن على خلع نفسه وبايع معاوية فرفع عبد الله رجله وركضه فى صدره ركضة رماه عن السرير بها وقال له ياعروة قلبي إذن مثل قلبك والله لئن قلتها ماعشت الا قليلا وقد أخذتنى الدنية وان أضرب بسيف فى عز خير من ألطم فى ذل — فلما أصبح دخل على امرأته أم هاشم بنت منظور بن ريان وهى التى يقول فيها الفرزدق إذ نافرته زوجته النوار الى عبدالله بن الزبير فنزل الفرزدق على حمزة بن عبدالله بن الزبير ونزلت النوار على بنت منظور بن ريان فكان كلما أصلح حمزة من شأن الفرزدق عند أبيه نهارا أفسدته زوجته أم هاشم بنت منظور ليلا حتى غلبت النوار على الفرزدق ففى ذلك يقول الفرزدق *

أما البنون فلم تقبل شفاعتهم * وشفعت بنت منظور بن ريانا
ليس الشفيع الذى قد جاء متزرا * مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

فلما دخل عبد الله على أم هاشم قال لها اصنعي طعاما فلما صنعت له ذلك أخذ منه لقمة فلاكها ثم لفظها وقال اسقونى لبنا فأسقوه ثم اغتسل وتحنط وتطيب ثم أتى أمه أسماء ذات النطاقين

فقال مارين يا أماه فقد خذلني الناس فقالت له لا يلعب بك صبيان بني أمية عش كريماً ومت كريماً فقال لها أخشى أن يمثل بي بعد الموت فقالت له إن الشاة لا تألم بالسلخ بعد الذبح فقبل بين عينيها وودعها وخرج وأسند ظهره للكعبة وجعل يقاتل فلا يؤم جمعاً الاهدّه فقال رجل من أهل الشام (اسمه خليوب) أما يمكنكم أخذه اذا ولى فقيل له خذه أنت اذا ولى قال نعم فأقبل وهو يريد أن يحتضنه من خلفه فعطف عليه فقط ذراعيه فصاح فقال اصبر خليوب ثم جعل يقول « لو كان قرني واحداً لكفيته » وحمل عليهم فقصفهم قصفاً شديداً وهو يقول *

قد جدّ أصحابنا ضرب الاعناق * وقامت الحرب بينهم على ساق

فبينا هو يقاتل اذ جاءه حجر من حجارة المنجنيق فضربه ضربة فصرعه وكان أهل الشام اذا رموا الكعبة بالمنجنيق يرتجزون بهذا *

خطارة مثل الفنيق المزبد * يرمى بها عواذ أهل المسجد

ولما صرعه حجر المنجنيق اقتحم عليه أهل الشام فحز رأسه وذهبوا به الى الحجاج فدعا بالنطع وحز رأسه بيده وبعث به الى عبد الملك بن مروان وكان عبد الله يكنى بأبي بكر وبأبي خبيب ويقال له ولاخيه وفيهما يقول الشاعر *

قدني من نصر الخبيبين قدي * ليس الامام بالشحيح الملحد

وكان يقال له الملحد لاحلاله القتال فى الحرم وفى ذلك يقول رجل من الشعراء يتغزل في رملة أخته *

أيا من لقلب معنّى عزل * بذكر المحلة أخت المحل

ولما قتل الحجاج عبد الله أتى أمه ليعزيها فيه فقالت له يا حجاج أقتلت عبد الله قال لها يا ابنة أبي بكر انى قاتل الملحدين قالت له بل أنت قاتل الموحدين! قال لها كيف رأيت ما صنعت بابنك قالت رأيتك قد أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك ولا ضير ان الله أكرمه على يديك وقد أهدى رأس يحيى ابن زكريا الى بغي من بغايا بنى اسرائيل * وروى هشام بن عروة عن أبيه قال كان عثمان بن عفان قد استخلف عبد الله بن الزبير على الدار يوم الدار فلذلك ادعى الخلافة ولما صلب بن الزبير كان عبد الله بن عمر يقول لقائده جنبنى خشبة ابن الزبير فلم يشعر ليلة حتي عثر فيها فقال ماهذا فقيل له خشبة ابن الزبير فوقف ودعا له وقال لئن علتك رجلاك « وكان منكسا » لطالما وقفت عليهما في صلاتك ثم قال لاصحابه أنا والله ماعرفته الا صواماً قواما ولكن ما زلت أخاف عليه مذ رأيته اعجبته بغلات معاوية الشهب قال كان معاوية قد حج فدخل المدينة وخلفه خمس وعشرون بغلة شهباء عليها رحائل الارجوان فيها الجوارى عليهن الحلى والمعصفرات ففتنت الناس*

(ولم تدع لأبى الذبان قاضبة * ليس اللطيم لها عمرو بمنتصر)

أبو الذبان هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاصى ابن أمية بن عبد الشمس ويسمى بالموفق بأمر الله (على ماذكر بعض من زعم أن بنى أمية كانت لهم القاب كبنى العباس) ويلقب برشح الحجر لبخله وهو أول من سمي بعبد الملك فى الاسلام وفي أيامه حولت الدواوين الى العربية من الرومية والفارسية حولها عن الرومية (سليمان بن سعد مولى حسين) وحولها عن الفارسية (صالح بن عبد الرحمن مولى عتبة) وقيل انها حولت فى زمن الوليد بن عبد الملك وكان يدعى بأبى الذبان لبخره وقيل انه كانت تدمى لثته فيقع عليها الذباب وهو أبو الاملاك من بنى أمية فانه ولى الخلافة أربعة من ولده الوليد وسليمان ويزيد وهشام وقوله (قاضبة) اشارة الى أنه كان مظفراً على أعدائه فانه غلب فى أيامه على عدة رجال أكابر كانوا فى زمانه أفضل منه فى السلطان مثل عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب وعمرو بن سعيد الاشدق وعبد الرحمن بن الاشعث فكل واحد منهم ما قامت له معه قائمة وكلهم قتلوا وحكم فيهم قاضبته أى سيفه ومع هذا فلم ينفعه ولا أغنى عنه شيئاً حين تمت أيامه وأتاه حمامه ويؤيد هذا خبر الرجل الذى ورد على معاوية وكان من أهل الكتاب والعلم بالحدثان فقال له معاوية أتجدنى فى شىء من كتاب الله قال إى

والله حتى لو كنت في أمة من الامم لوضعت يدي عليك من بينهم قال فكيف تجدني قال أول من يحول الخلافة ملكا والخشونة لينا ثم ان ربك من بعدها لغفور رحيم * قال له معاوية ثم يكون ماذا قال ثم يكون منك رجل شرّاب للخمر سفاك للدماء يصطنع الرجال ويحتجر الاموال ويحب الخيول ويبيح حرمة الرسول - قال ثم ماذا قال ثم تكون فتنة تتشعب بقوم حتى يفضى الامر الى رجل أعرفه بعينه يبيع الآخرة الدائمة بحظ من الدنيا منحوس فيجتمع عليه من آلك وليس منك لايزال لعدوه قاهراً وعلى من ناوأه ظاهراً ويكون له قرين طعين لعين قال أفتعرفه ان رأيته قال لشدّ ما أعرفه فأراه من كان من بنى أمية بالشام فقال ما أراه ههنا فوجهه نحو المدينة مع ثقات من رسله فبيناهو يمشى فى أزقة المدينة اذ رأى عبد الملك يلعب بطائر على يده فقال لهم هاهو ذا ثم صاح به أبو من أنت قال أبو الوليد قال يا أبا الوليد ان بشرتك ببشارة تسرك مايكون لى عندك قال وما مقدارها حتى أرى مايكون مقدارها من الجعل قال أن تملك الارض قال مالي من مال ولكن أرأيت ان تكلفت لك جعلا أنال ذلك قبل وقته قال لا قال فان حرمتك أيؤخر ذلك عن وقته قال لا قال فحسبك * فذكروا ان معاوية كان يكرم عبد الملك ليجعلها يداً عنده يجازيه بها في خلافته وكان عبد الملك من أكثر الناس علماً وأوسعهم حلماً وأبرعهم أدباً

وأحسنهم ديانة فى شبيبته وكان يواظب المساجد حتى سمى حمامة المسجد * ويحكي عن عبد الملك انه لما أراد الخروج الى مصعب تعلقت به عاتكة بنت يزيد بن معاوية وجعلت تبكى حتى بكى لبكائها حشمها فقال عبد الملك قاتل الله (كثيراً) كأنه يرى يومنا هذا حيث يقول فى شعره *

اذا ماأراد الغزولم يثن همه * حصان عليها نظم درّ يزينها
نهتنى فلما لم تر النهي عاقنى * بكت فبكى مماشجاها قطينها

ثم خرج يزيد مصعباً وكثير فى موكبه فقال له عبد الملك ياأبا جمعة ذكرتك الساعة ببيتين من شعرك فان أصبتهما فلك حكمك قال نعم أردت الخروج فبكت عاتكة بنت يزيد وبكى حشمها فذكرت قولى وأنشده البيتين قال نعم فأعطاه ماطلب * ثم نظراليه يسير فى عرض الناس مفكرا فقال علىّ بابن أبى جمعه فجىء به فقال له ان عرفتك بفكرتك فيم هي لى حكمى قال نعم قال قلت فى نفسك انا فى شر حال خرجت مع رجل من أهل النار لبّس علىَّ نحلتى وربما أصابنى سهم غرب فأتلف لغير معنى فقال والله ياأمير المؤمنين ماأخطأت مافى نفسي فاحتكم قال حكمى أن آمرلك بعشرة آلاف درهم وأردك الى منزلك ففعل به ذلك * ويحكى أنه لماقتل عمرو ابن سعيد وتسمى بالخلافة سلم بها عليه أول تسليمة والمصحف في حجره فأطبقه وقال هذا فراق بينى وبينك وكان له

فى عنفوان نسكه صديق من أهل الكتاب يقال له يوسف وكان قد أسلم فقال له عبدالملك يوماً وقد مضت جيوش يزيد بن معاوية مع مسلم بن عقبة المرى تريد المدينة ألا ترى جيش عدو الله كيف تقصد حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يوسف جيشك والله الى حرم الله أكبر من جيشه الى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الملك عياذا بالله فقال له يوسف والله ماقلت شاكاً ولا مرتاباً وانى لاجدك بجميع أوصافك فقال له عبد الملك فيكون ماذا اذاً قال يتداولها رهطك الى أن تخرج الرايات السود من خراسان (وأما اللطيم) فهو عمرو بن سعيد الاشدق وسمى بهذا الاسم لميل كان فى فمه وكان يقال له من أجل ذلك لطيم الشيطان وقيل سمى بذلك لتشادقه فى الكلام وكان من فصحاء قريش وأهل الخطابة منهم وجده سعيد بن العاصى هو ذو العصابة وقيل له ذلك لانه كان من شرفه اذا اعتم بمكة بعمامة أى لون كانت لا يعتم بلونها أحد اجلالا له ويكنى بأبى أحيحة وفى ذلك يقول الشاعر *

أبو أحيحة من يعتمّ عمته * يضرب ولو كان ذا مال وذا حسب

ولما مات سعيد بن العاصى والد عمرو هذا دخل عمرو على معاوية فاستنطقه فقال إن أول مركب صعب وان مع اليوم غدا فقال له معاوية الى من أوصى بك أبوك فقال انه أوصانى ولم

يوص بي أحدا قال فبأى شيء أوصاك فقال ألاّ يفقد أصحابه منه غير شخصه قال معاوية ان عمرا هذا لأشدق فسموه بذلك وكان سبب قتل عبد الملك بن مروان لعمرو هذا من أجل ان عمرا هذا كان لما قام مروان يطلب الامر عضده عمرو واتفق معه على أن يكون له الامر بعده فلما كبر أمر مروان صير الامر بعده لابنه عبد الملك على أن يصيره عبد الملك لعمرو بعده فلما كاتب أهل العراق عبد الملك بن مروان خرج نحوهم وكان فى العراق مصعب فقال له عمرو ان الامر كان لى بعد مروان ثم صيره لك ولكن أكتب لى به أنت بعدك فسكت عنه عبد الملك وخرج لوجهه نحو مصعب فلما كان من دمشق على ثلاث مراحل كرّ عمرو في الليل حتى رجع الى دمشق وغلق أبوابها فى وجه عبد الملك وتسمى بالخلافة فلما علم عبد الملك بذلك رجع حتى نزل على دمشق وحاصرها حتى صالحه عمرو على أن يكون له الامر بعده وان له مع كل عامل عاملا ففتح دمشق وكان بيت المال بيد عمرو فأرسل اليه عبد الملك أخرج أرزاق الحرس قال عمرو ان كان له حرس فان لنا حرساً قال وأخرج لحرسك أيضاً فلما كان ذات يوم أرسل عبد الملك الى عمرو يقول أبا أمية جئنى حتى أدبر معك أمرا فقالت له امرأته لا تذهب اليه فانى أخافه عليك قال أبو ذبان والله لو كنت نائماً ما أيقظنى قالت والله ما آمنه عليك وانى لأجد ريح

دم فمازالت به حتى ضربها بقائم سيفه فشجها فقام فلبس درعاً تحت ثوبه فلما أراد الخروج عثر بالبساط ثم مشى وكان معه أربعة آلاف من أنجاد أهل الشام شاكي السلاح يمشون معه حيث مشى وكان عمرو عظيم الكبر لا يلتفت وراءه ولو انطبقت الارض خلفه اعجاباً وزهواً فلما وصل القصر الذى فيه عبد الملك دخل وغلقت الابواب خلفه ولم يدخل معه الاغلام له وهو لا يدرى بذلك فلما حصل مع عبد الملك وتمكن منه ورأى انه لم يدخل معه الا غلام واحد وعبد الملك فى حشمه قال للغلام اذهب للناس وقل لهم ما به من بأس فقال له عبد الملك تريد أن تخدعنى خذوه فلما أخذوه قال له عبد الملك أبا أمية انى قد أقسمت ان أمكننى الله منك أن أجعل فى عنقك جامعة وهذه جامعة من فضة أريد أن أبرّ بها قسمي فطرح في عنقه الجامعة مع يديه ثم جذبه الى الارض بيده فضرب فمه فى جانب السرير فانكسرت ثنيته فجعل عبد الملك ينظر اليها فقال له عمرو لا عليك يا أمير المؤمنين عظم انكسر * ثم قال له سألتك بالله يا أمير المؤمنين أن لا تخرجنى الى الناس فى هذه الحالة أمكراً أبا أمية وأنت فى الحديد فبينما هو كذلك اذ جاء المؤذن فقال لعبد الملك الصلاة يا أمير المؤمنين فقال عبد الملك لاخيه عبد العزيز اقتله حتى أرجع اليك من الصلاة فقال عمرو لعبد العزيز سألتك بالله والرحم يا عبد العزيز لا تكن أنت من بينهم

قاتلى ولكن هو أبعد رحماً منك فتركه عبدالعزيز ـ فلما رجع عبد الملك فرآه جالساً قال لعبد العزيز لعن الله أماً ولدتك ولم يكن أخاه من أمه ثم أخذ الحربة بيده وقال قرّبوه لى فقال عمرو وفعلتها يابن الزرقاء فقال له عبد الملك لو علمت انك تبقى ويسلم لى ملكى لفديتك بدم النواظر ولكن قلما اجتمع فحلان فى ذود الاعدا أحدهما على الآخر * ثم دفع عبد الملك يده بالحربة وضرب بها فى صدره فلم تغن الحربة شيئاً فضرب عبد الملك بيده على عاتق عمرو فأصاب الدرع تحت ثيابه وقد كفر عليه بثوب فقال له لو كنت معداً أبا أمية إضربوا به فصرع له ووقف على صدره فذبحه ـ فلما قيل لاصحابه إن عبد الملك خرج للصلاة ولم يخرج عمر وقاتلوا البوابين وكان فيمن كان على الباب الوليد بن عبد الملك فضربه أحد أصحاب عمر فشجه ـ فلما رأى ذلك قبيصة بن أبي دويب وكان من أصحاب عبد الملك قال يا أمير المؤمنين إرم بالرأس اليهم وانثر الدنانير عليهم فانهم يشتغلون ويتفرقون ففعل فافترق أصحاب عمرو عن الباب وذهب دم عمرو هدراً لم يطلب أحد بثاره فذلك قوله (ليس اللطيم لها عمر بمنتصر) وكان ملك عبد الملك بعد قتل الاشدق أربع عشرة سنة ومات سنة ست وثمانين ـ ويقال انه لما حضرته الوفاة قال لابنه الوليد اذا أنا مت فضعنى فى قبرى ولا تعصر عينيك عصر الامة ولكن شمر وأتزر والبس للناس جلد نمر

فمن قال برأسه كذا فقل بسيفك هكذا وكان من أهل الحزم حتى كان يقال فى بنى أمية معاوية أحلمهم وعبد الملك أحزمهم ومع حزمه وما كان عليه من الظفر على أعدائه أخذته الليالى كما فعلت بغيره ممن كان قبله فهذا قوله (ولم تدع لأبى الذبان قاضبة) اشارة الى أنها غدرت به على أى حالة كان من الحزم كسائر ملوكها *

(وأظفرت بالوليد بن اليزيد ولم * تبق الخلافة بين الكاس والوتر)

الوليد هذا هو ابن اليزيد بن عبد الملك وله يقال الجبار العنيد ويحكى عنه أنه فتح المصحف وجعل ورقه غرضاً ورماه بالسهام وهو يقول *

أتوعد كلَّ جبار عنيد * فها أنا ذاك جبار عنيد

اذا ماجئت ربك يوم حشر * فقل يارب مزقني الوليد

وكان كثير الاستهتار مخلوع العذار فى الشراب والسماع لا يرعوى لعذل عاذل ولا يسمع النصح من قول قائل حتى أفقدته المدامة ملكه ونثرت سلكه ـ ومن استهتاره في المدامة وقلة رجوعه عما يفعل بها من القبيح الى ندامة انه لما سمع بابن شراعة الكوفى وكان من أهل البطالة المشهورين فيها المجرين أرسانهم اليها بعث اليه من دمشق فحمل اليه فلما دخل عليه قال له قبل أن يسأله عن شيء يا ابن شراعة انى ما أرسلت اليك لأسألك عن كتاب الله ولا سنة نبيه قال لو سألتنى عنهما لوجدتنى فيهما حماراً قال وانما أرسلت

اليك لأسألك عن القهوة قال أنا دهقانها الخبير ولقمانها الحكيم وطبيبها الماهر قال فأخبرني عن الشراب قال سل عما بدالك قال ماتقول في الماء قال لابد منه والحمار شريكي فيه قال فاللبن قال ماراأيته قط الا استحييت من طول ماأرضعتني أمي به قال فالسويق قال شراب الحزن والمستعجل والمريض قال فشراب التمر قال سريع الامتلا سريع الانتفاش قال فنبيذ الزبيب قال حاموا به على الشراب قال فالخمرة قال أواه تلك صديقة روحي قال وأنت والله صديق روحي قال فأي المجالس أحسن قال ما شرب فيه على وجه السماء ثم لم يزل عاكفاً على الشراب والقيان والملاهي ومعاشقة النساء فعشق سعدى ابنة سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فتزوجها ثم طلقها فرجعت الى المدينة فتزوجها ابن عمه بشر بن الوليد وكانت من أجمل النساء فندم على طلاقها وكلف بحبها فدخل عليه أشعب يوماً فقال له هل لك أن تبلغ عني سعدى رسالة ولك عشرون الف درهم أعجلها لك قال هاتها فدفعها اليه فقال مارسالتك قال اذا قدمت المدينة فأستأذن على سعدى وقل لها يقول لك الوليد *

أسعدى مالنا اليك سبيل * ولا حتى القيامة من تلاق

بلى ولعل دهراً أن يوآتي * بموت من خليلك أو فراق

فلما بلغها الرسالة قالت لجواريها خذن هذا الخبيث وقالت له ما

جزاءك على هذه الرسالة قال عشرون الف درهم معجلة قالت والله لأجلدنك أو لتبلغنه عنى كما بلغتنى عنه قال بجعل قالت لك بساطى هذا قال فقومي عنه فقامت فطواه وضمه وقال هاتى رسالتك قالت قل له *

أتبكى على سعدى وأنت تركتها
فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فبلغه الرسالة فاغتاظ فقال يا أشعب اختر منى احدى ثلاث لابد لك من واحدة منها إما أن أقتلك وإما أن القيك من أعلى هذا القصر أو أطرحك للسباع قال ياسيدى ما كنت لتعذب عينين نظرت بهما الى سعدى فضحك وخلى سبيله * وحكى خالد بن زكوان قال بت ليلة عنده فجلسنا نتحدث فقال لجواريه اسقيننا فجئن باناء مغطى وصفت بينى وبينه ثلاث جوارى حتى شرب وجعل يجلس ساعة ويستدعى ذلك فما طلع الفجر حتى أحصيت له سبعين قدحا وجلس يوماً يشرب وجارية تغنى فأنشدت (قينة فى يمينها أبريق) ثم قال للجارية لو أتممت الشعر غنيت به قالت لست أرويه وبعث فى المقام الى حماد الراوية فلما دخل عليه قال له قينة فى يمينها ابريق فأنشده حماد *

ثم نادوا ألا اصبحوا فقامت * قينة فى يمينها ابريق
قدمته على عقار كعين الديـ * ـك صفى سلافه الراووق

مرة قبل مزجها فاذا ما * مزجت لذ طعمها من يذوق

وكان ينشد كثيرا *

عللاني واسقياني * من شراب اصبهانى
من شراب الشاه كسرى * أو شراب الهرمزان
ان بالكاس لمسكا * أو بكفى من سقانى
انما الكاس ربيع * يتعاطى بالبنان

وكان ينشد *

ليت حظى اليوم من كـ * ـل معاش لى وزادى
قهوة أبذل فيهـا * طارفى بعد تلادى
فيظل القلب منهـا * هائما فى كل وادى
ان فى ذاك فسادى * وصلاحى ورشادى

وقال يمدح الكاس *

إمدح الكاس ومن أعملها * واهج قوماً قتلونا بالعطش
انما الكاس ربيع باكر * فاذا لم تذقه لم تعش

ولما أفرط فى شربه وضيع أمور ملكه تغير الناس له وطعنوا عليه دخل عليه معاوية بن عمرو بن عتبة فقال يا أمير المؤمنين انه ينطقنى الامن بك وتسكتنى الهيبة لك وأراك تأمن أشياء أخافها عليك أفأسكت مطمعاً أم أقول مشفعا قال قل مقبول منك ولله فينا علم الغيب فيما نحن صائرون اليه * ثم قال لما اكثر

الناس القول فيه *

خذوا ملككم لا ثبت الله ملككم * ألا رب ملك قد أزيل فزالا
دعو الى سلمى مع شراب وقينة * وكأس ألا حسبي بذاك مالا

وسلمى هذه فتن بها بعد سعدى وهى أختها فتزوجها بعد سعدى وله فيها أشعار كثيرة قبل زواجها فمن شعره فيها *

حدثونى ان سلمى * خرجت نحو المصلى
فاذا طير مليح * فوق غصن يتفلى
قلت ياطير ادن منى * فدنا ثم تدلى
قلت هل تعرف سلمى * قال لا ثم تولى
فنكى فى القلب كلما * باطنا ثم تجلى

فلما ظهر تخلفه وانهماكه فى الملاهى أجمعوا على قتله وأن يقلدوا الخلافة يزيد بن الوليد فجمع يزيد بن الوليد ودخل دمشق وكسر باب المقصورة وأخذ الاموال وحملها على العجل نحو باب المضمار ونادى مناديه من انتدب الى قتال الوليد فله الفان فانتدب معه الفا رجل وبلغ الوليد بن اليزيد وكان (بالبلقاء) فتوجه الى (حمص) فلما أحاطت به الخيل تفرق من كان حول الوليد بن اليزيد وهجم عليه الناس فكان أول من هجم عليه السرى بن زياد بن أبي ريشة السكسكى وعبد السلام اللخمى فقتلاه ثم أخذ رأسه فوضع على رمح ثم طيف به بدمشق ويحكي عنه من خذلانه

واستهتاره انه جاءه المؤذن يؤذنه بالصلاة فأمر جارية من جواريه
وكان قد نكحها وهما جنبان أن تتلثم وتخرج فتصلى بالناس على
ماذكر اسحاق بن محمد الازرق على ماحدثته به الجارية بعد قتله*
وحكى عنه خليفة ابن الخياط غير هذا ـ قال لما أحيط به أخذ
المصحف وفى حجره وضمه وقال أقتل كما قتل ابن عمي عثمان
وكان قتله سنة ست وعشرين ومائة *

(ولم تعد قُضبَ السفاح نابيــة
عن رأس مروان أو أشياعه الفُجُر) (١)

السفاح هــذا هو عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن
عباس وهو أول من أقام دولة بنى العباس وأمه ريطة بنت
عبيد الله بن عبد الله بن المدان الحارثى وكانت ولايته سنة
اثنتين وثلاثين ومائة وكان قد منع أباه من زواج ريطة الوليد
ابن عبدالله ثم سليمان بعده لأنهم كانوا يرون أن ملـكهم بزول
على يدى رجل من بنى العباس يقال له ابن الحارثية فلما وُلى عمر
ابن عبد العزيز الخلافة شكا اليه محمد بن على الوليد وسليمان
ومنعهما إياه أن يتزوج ريطة وسأله أن لا يمنعه زواجها وكانت
بنت خاله فقال عمر تزوج من شئت فتزوجها فولدت له أبا العباس

---

(١) «القضب السيوف ونابية غير عاملة يقال نبا السيف اذا لم يعمل فى الضربة والاشياع الاتباع والفجر جمع فاجر *

السفاح فكان خراب ملك بنى أمية على يديه كما كانوا يرون ذلك فى الآثار وفى ذلك يقول أبو العباس *

تناولت ثارى من أمية عنوة * وحزب تراثى اليوم عن شام قيصرا
وألقيت ذلا عن مفارق هاشم * وألبستها عزا عظيما ومفخرا

وتوفى أبو العباس سنة ست وثلاثين ومائة وكان من حديث ابن الحارثية ماحكى الهيثم بن عدى قال حدثنى غير واحد ممن أدركته من المشايخ أن على بن أبى طالب أصار الامر الى الحسن فأصاره الحسن الى معاوية وكره ذلك الحسين ومحمد بن الحنفية فلما قتل الحسين صار أمر الشيعة الى محمد بن الحنفية وقال بعضهم الى على بن الحسين ثم الى جعفر بن محمد والذى عليه الاكثر أن محمد ابن الحنفية أوصى الى أبى هاشم ابنه فلم يزل قائما بأمر الشيعة فلما كان فى أيام سليمان بن عبد الملك أتاه أبو هاشم وافدا فأكرمه سليمان وقال ما كلمت قرشيا قط بشبه هذا وقضى حوائجه ثم شخص يريد فلسطين فلما كان ببلاد لخم وجذام ضربت له أبنية فى الطريق ومعهم اللبن المسموم فكلما مر بقوم قالوا هل لك فى الشراب قال جزيتم خيرا ثم مر بآخرين فعرضوا عليه وهو يظنهم من لخم أو جذام فقال هاتوا فما استقر فى بطنه حتى قال لاصحابه انى ميت انظروا من القوم فنظروا فاذا بهم قد قوضوا أبنيتهم وذهبوا فقال ميلوا بى الى ابن عمى وأسرعوا فانى أخشى أن لا

الحقه وكان محمد بن على والد ابى العباس السفاح بالحميمة من ارض الشربة فلما وصل اليه قال يا ابن عمى انى ميت وأنت صاحب هذا الأمر وولدك ابن الحارثية القائم به ثم أخوه من بعده ووالله لا يتم هذا الأمر حتى تخرج الرايات السود من خراسان ثم لتغلبن على ما بين حضرموت وأقصى افريقيه وما بين الهند وأقصى فرغانة فعليك بهؤلاء الشيعة فهم دعاتك وأنصارك وليكن دعوتك بخراسان ولا تعدوها ولا سيما مرو واستبطن هذا الحىّ من اليمن فان كل ملك لا يقوم بهم فمآله الى انتقاض وانظر هذا الحى من قيس وتميم فأقصهم الا من عصم الله منهم وهم قليل ثم مرهم فليجعلوا اثنى عشر نقيباً وبعدهم سبعين نقيباً فان الله لم يصلح بني اسرائيل الا بهم وقد فعل ذلك النبي عليه الصلاة والسلام فاذا مضت سنة الحمار فوجه رسلك نحو خراسان منهم من يقتل ومنهم من ينجو حتى يظهر الله دعوتكم فقال محمد بن على يا أباهاشم وما سنة الحمار قال انه لم تمض قط مئة سنة من نبوة الا انتقض امرها لقول الله تعالى (أو كالذى مرّ على قرية) الى قوله (وانظر الى حمارك) واعلم أن صاحب هذا الأمر من بعدك ولدك عبد الله بن الحارثية ثم أخوه عبد الله ولم يكن لمحمد بن على فى ذلك الوقت ولد يقال له ابن الحارثية ثم مات أبو هاشم وبقيت الشيعة تختلف الى محمد بن على فلما ولد أبا العباس السفاح أخرجه الى الشيعة فى خرقة وقال لهم

هذا صاحبكم فجعلوا يلحسون أطرافه ولما مات محمد بن علي أوصى الى ابنه ابراهيم وهو الذي يدعى بالامام فأخذه مروان بن محمد فسجنه فمرج أمر الشيعة فقال لهم (يقطين بن موسى) وكان من دهاتهم أنا أعرفكم من يلي أمرنا من بعده فشخص الى الشام ووقف لمروان بن محمد يوماً وهو خارج الى صلاة الجمعة فقال له يا أمير المؤمنين انى رجل تاجر قدمت بما يقدم به التجار فأدخلت الى رجل له هيبة وشارة فابتاع منى متاعاً كثيراً ولم يزل يسوفنى بثمنه الى أن جاءت رسلك فأمرت بحبسه فان رأيت أن تجمع بينى وبينه وتأخذ لى بحقى فافعل فقال مروان لبعض خدمه ياغلام اذا نحن صلينا فسر معه الى ابراهيم بن محمد وقل أخرج لهذا من حقه فلما قضى مروان الصلاة مضى الخادم بيقطين فأدخله على ابراهيم فقال له يقطين ياعدو الله الى من تكلنى قال الى ابن الحارثية فعاد الى الشيعة فأعلمهم أن أبا العباس السفاح هو الامام بعده فلما كانت سنة احدى وثلاثين ومئة هزم (قحطبة بن شبيب) وكان من قواد الشيعة عسكر يزيد بن ميسرة ثم فقد قحطبة وولى أخوه حميد مكانه فمشى نحو الكوفة ودخلها وقدمها أبو العباس وأخوه معه وعمه عبدالله بن علي — ويحكي أنه لقيتهم امرأة في الطريق فنظرتهم ملياً ثم قالت سبحان الله فالتفت اليها أبو جعفر فقال لها ما شأنك ياأمة الله قالت ما رأيت أعجب من هذا . خليفة وخليفته وخارجي

فقال لها ماهذا الكلام قالت ليلين هذا وأشارت الى أبى العباس ولتخلفنه أنت وأشارت الى أبى جعفر وليخرجن عليك هذا وأشارت الى عبد الله بن على ولتقتلنه أنت وأشارت الى أبى جعفر وكان كذلك وسأذكر سبب خروجه عليه عند ذكر أبى جعفر المنصور وقد ذكر هذا الخبر على وجه آخر يقرب من هذا وذلك محتمل * حدث أبو العباس المنصورى عن ابن البطاح عن ابراهيم بن السدى عن أبيه عن عبد الصمد بن على قال لما أخذ مروان بن محمد ابراهيم الامام خرجت مع أبى العباس السفاح وأبى جعفر المنصور وعبد الله بن على فانتهينا الى ماء من مياه تميم فاذا نحن بامرأتين مقبلتين فوقفتا علينا فقالتا مارأينا وجوهاً أكرم ولا أنضر ولا أصبح من خليفتين وأمير فانتهرهما عبدالله ابن على وكان فيه غرب وقال كفا عنا فقالت إحداهما أتغضب أيضاً إى وأبيك ان هذا الخليفة وأشارت الى أبى العباس وان هذا لخليفته وأشارت الى ابى جعفر وان هذا لأمير واشارت الى وليظفرن بك هذا تعنى المنصور فانتهرناهما جميعاً ـ قال السدى فقلت لعبد الصمد فلم خرجت مع عبدالله بن على وأنت قد سمعت هذا وعرفته قال نسيته * ومن اخبار ابى العباس انه تزوج ام سلمة بنت يعقوب ابن سلمة بن عبيد الله وكانت قبله عند الوليد بن عبد الملك ثم عند هشام ابن عبد الملك وكان لها مال عظيم وجوهر وحشم ولما دخل عليها اول ليلة

وجدها قد كللت كل عضو من اعضائها بالجوهر وكان زواجه إياها
قبل الخلافة فحظيت عنده وحلف لها ان لا يتزوج عليها ولا يتسرّى
فغلبت عليه غلبة شديدة حتى ما كان يقطع امرا الا بمشورتها فجلس
عنده يوماً خالد بن صفوان وكان خالياً وخالد من اهل الفصاحة
واللسن فقال يا امير المؤمنين انى فكرت فى امرك وسعة ملكك
وانت قد ملكت نفسك امرأة واقتصرت عليها فان مرضت
مرضت وحرمت نفسك التلذذ باستظراف الجوارى ومعرفة
اختلاف حالاتهن والنفع بما تشتهى منهن اذ منهن الطويلة الغيداء
والبضة البيضاء والعتيقة الادماء والدقيقة السمراء والمولدة العجزاء
من مولدات المدينة تفتن بمحاورتها وتلذ بخلوتها وأين أمير المؤمنين
من بنات الاحرار والنظر الى ماعندهن من التخفر والتعطر وحسن
الخدمة وجعل خالد يطنب الوصف بفصاحته وعذوبة لسانه *
فلما فرغ من كلامه استعاده أبو العباس فحسن موقعه منه وتشوق
الى ماسمع * ثم قال له انصرف وبقى ابو العباس مفكرا فيما سمع
فدخلت عليه ام سلمة فأنكرت مارأت من فكره وقلة بشره
وقد كان وفّى لها بما كان قد شرط فقالت له يا أمير المؤمنين هل حدث
شىء تكرهه أو أتاك خبر ارتعت له قال لا والحمد لله فلم تزل به
حتى أخبرها بمقالة خالد قالت فما قلت لابن الزانية قال سبحان الله
أينصحنى وأزدجره فأرسلت اليه أم سلمة مواليها من البخارية

وقالت اضربوه بالمقارع حتى يموت قال خالد وخرجت مسرورا بما رأيت من أمير المؤمنين ولم أشك فى الجائزة فبينما أنا ماش فى بعض الطريق اذا بالعبيد تسأل عنى فحققت الصلة فقلت ها أنا ذا فأهوى الىّ أحدهم بخشبة فأيقنت بالشر فحثثت برذونى فضرب أحدهم كفله وتمادى الباقون خلفى فقتهم ركضاً وما كدت أنجو وأتيت منزلى فاختفيت فيه فلم أشعر بعد أيام الا وقوم قد هجموا علىّ قائلين أجب أمير المؤمنين فركبت الى أمير المؤمنين وأنا آيس من الحياة فدخلت عليه فى بيت وستور مرخاة فى ناحية من البيت قال يا خالد أين كنت قلت مالى قال انك وصفت لى من أمر النساء صفة فى آخر مدة رأيتك فأعدها علىّ وسمعت حركة من خلف الستر فعلمت أنه أمر مصنوع فقلت نعم يا أمير المؤمنين حدثتك أن العرب أخذت اسم الضرة من الضر قال لم يكن هذا حديثك فقلت وحدثتك ان الثلاث للرجل كالثلاث الأثافى للقدر يغلى عليها قلبه وأخبرتك أن الاربع شر مجموع لمن كن عنده يقهرنه ويهرمنه قال ماسمعت هذا منك قلت بلى بهذا حدثتك قال أفتكذبنى قلت أفتقتلنى وأخبرتك أن أبكار النساء رجال إلا أنه لاخصى لهن قال فسمعت ضحكا من خلف الستر قلت نعم وأخبرتك ان بنى مخزوم ريحانة قريش وإن عندك ريحانة من الرياحين وأنت تطمح بعينك الى حرائر النساء وغيرهن من الاماء

فسكت أبو العباس متعجباً وقيل لي من وراء الستر صدقت ياعماه وبررت بهذا حدثته ولكنه غير حديثك ونطق على لسانك قال فانسللت وخرجت فبعثت الي أم سلمة بعشرة آلاف درهم وتخت ثياب وبرذون فكان أبو العباس اذا رآني تبسم وكان أمر دعاة بني العباس وشيعتهم يرجع الى أبي مسلم ولم يزل أبو مسلم صاحب الدعوة لبني العباس وكان لقيطاً قد رباه محمد بن علي بن العباس فانه بينما كان ماراً في بعض الطريق إذ وجد صبياً منبوذاً فأمر به فأخذ وربّي حتى ترعرع وأدخله في السراجين فلما بلغ احدى وعشرين سنة قدمه على الشيعة ولم يزل يقود الجيوش ويدوخ الارض ويقتل أتباع مروان بن محمد بكل موضع وأبو العباس مخفي في تلك المدة وكان قيام أبي مسلم وأبي العباس من عامين فبقي يقاتل عنهم عشرين سنة ويقال انه أحصى كل من قتله أبو مسلم صاحب الدعوة في حروبه مع بني أمية وقوادهم فوجدوا ذلك ألف ألف وستمائة ألف وقتله أبو جعفر المنصور في أيامه اذ أفضت الخلافة اليه لأمر أحقده عليه فقد ذكر ان أبا مسلم كبر في نفسه حتى يقال انه خطب احدى بنات عم أبي جعفر ليتزوجها وماشي أبا جعفر في بعض الاوقات في أيام أبي العباس فكان لا يقدم أبا جعفر ويتقدمه في المشي ولا يلتفت الى مايأمره به أبو جعفر * فلما أفضت الخلافة اليه استدعاه فامتنع عليه فدس عليه أبو جعفر

من اختدعه حتى وصله اليه ـ فلما جاء للدخول عليه أخذ منه سلاحه فأحس بالشر وقد كان أبو جعفر أمر رجاله أن يكونوا بحيث يسمعون كلامه فاذا ضرب بكف على كف خرجوا عليه وقتلوه فلما جلس بين يديه جعل أبو جعفر يعد عليه ذنوبه ويقول ياعبدالرحمن (وكان اسمه) أنت الذى فعلت كذا وكذا لأمر كان قصر فيه بحق أبى جعفر وأنت الذى خطبت فلانة لتتزوجها فجعل يقول له يا أمير المؤمنين أبقنى لتبعثنى على أعدائك فقال له يا ابن الفاعلة ويلى عليك وضرب بكف على كف فخرج عليه القوم بأسيافهم فضربوه حتى برد فقال هذا جزاء من تعدى طوره أو كلاماً هذا معناه * ويقال إن أبا مسلم حج فقيل له ان بالحيرة نصرانياً قد أتت عليه مأتا سنة وعنده علم من العلم الأول فوجه اليه وأتى به فلما نظر الشيخ الى أبى مسلم قال قدمت بالكفاية ولم تألف بالعناية وقد بلغت النهاية أحرقت نفسك لمن سيسلبك حسك وكأني بك وقد عاينت رمسك فبكى أبو مسلم فقال لاتبك لم يؤت أحد من حزم ولين ولا من رأى ولب ولا من تدبير نافع ولا من سيف قاطع ولكن ما اجتمع لأحد أمله الا أسرع فى تقريبه أجله قال فما تراه يكون قال اذا تواطأ الخليفتان على أمر كان والتقدير فى يدى من يبطل معه التدبير ولو رجعت الى خراسان سلمت وهيهات فأراد الرجوع فكتب اليه المنصور بالمضي ووجه

اليه من يستحثه فلولا ان البصر يغشى اذا نزل القدر لكانت هذه الأدلة تقع موقع العيان وتبعث على التيقظ فى الحذر والاحتيال فى الهرب لكن لكل نفس غاية ولكل أمر نهاية * ويحكى أنه لما نزل مدينة سمرقند أتاه أسقفها فقال له ايها الملك بالقندهار حجر مدفون فيه ثلاثة أسطر وجدت فى الكتاب أن سليمان بن داود بعث به فدفن فى هذا الموضع ووجدت أنك أنت الذى تستخرجه وتعمل بما فيه فأمر به فأخرج فاذا أول سطر فيه (الحزم انتهاز الفرصة وترك الوفاء فيما يخاف عليه الفوت) وفى السطر الثانى (الرياسة لاتتم الا بحسن السياسة) وفى السطر الثالث (لم يقتل الآباء من ترك الأبناء ولم يصب من لم يجب) فكان أبو مسلم يقول علم جليل تتم به هذه الدولة ان لم ينزل القدر بما يحول بيننا وبين الحذر ـ ولم يزل يستعمل هذا الكلام الى أن قدم العراق فأعماه القدر عن الاستعانة بالحذر * وأما مروان الذى ذكره فهو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ويسمى على ما فى بعض الروايات (بالقائم بحق الله) وكان مروان من اهل العزم والحزم ومن اهل المعرفة بالحدثان ولذلك ولى ابنه عبيد الله قبل محمد ومحمد اكبر من عبيد الله وذلك انه كان يرى ان الأمر صائر بعده الى عبد الله فرأى أن عبيد الله أقرب الى عبد الله من محمد ولم

يزل مروان فى اختلاف من أمره وانتشار حتى قتل (ببوصير) من أعمال مصر * ويحكى أنه لما التقى مع عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس ورأى الاعلام السود التفت مروان الى أبى جعدة المخزومى وكان من أصحابه فقال له ما تلك النجب المجللة قال له هى أعلام القوم قال له ومن تحتها قال له عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس قال وأىّ عبد الله هو قال أبو جعدة الفتى المعروف الطويل الخفيف العارضين الذى رأيته فى وليمة كذا يأكل ويجيد فسألتنى عنه فنسبته لك فقلت ان الفتى لهلقامة فقال لقد عرفته ووالله لقد وددت أن على بن أبى طالب مكانه ثم أرسل يقول يا ابن عمى الامر صائر اليك لا محالة فالله الله في بنات عمك فكتب اليه عبد الله بن على ألحق لنا فى دمك والحق علينا فى حرمك وكان يرى أنه يقتله رجل من بنى العباس اسمه عين بن عين بن عين — ولذلك يحكى عنه انه لما التقي معه انتقى مروان من عسكره مائة الف فارس على مائة الف فرس ذكر فلما نهض نحوه عبد الله قال ما تغنى العدة اذا انقضت المدة ثم ولى منهزما * ويروى عن علماء بنى أمية بأمر الحدثان كمروان ومسلمة وغيرهم انهم كانوا يرون أن عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس يقتل أكثر رجالهم فمن ذلك ما ذكره أبو العباس المنصور عن رجاله قال دخل عبد الله بن على على هشام بن عبد الملك فأدنى مجلسه حتى أقعده معه وأكرم

القاه وأظهر بره فبينما هو كذلك اذ خرج بنيّ لهشام بن عبد الملك صغير ومعه قوس ونشاب وهو يلعب كما يلعب الصبيان فجعل الصبي يأخذ السهم ويرمي به عبد الله بن على فعل ذلك ثلاث مرات وعبد الله بن على ينظر اليه ثم قام عبد الله وخرج وذلك بعين مسلمة بن عبد الملك فقال مسلمة يا أمير المؤمنين أرأيت ما صنع الصبي والله لايكون قتله وقتل رجال من أهل هذا البيت الا على يده فقال هشام لا تقل هذا وانك لاتزال تأتينا بشيء لا نعرفه فقال هو والله كذلك قال والله ما مضت الليالي والايام حتي ورد عبد الله والياً على الشام من قبل أبي العباس فقتل ثلاثة وثمانين رجلا من بني أمية وأتى بالصبي فيمن أتي فقال له عبد الله وأنت صاحب القوس فأمر به فقدم فضربت عنقه *وذكر لعبد الله بن على أن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز يقول أنا قاتل مروان فاني قرأت في بعض الكتب أنه يقتل مروان عين بن عين بن عين فقال عبد الله بن على هيهات أنا والله ذلك ولى عليه فضل ثلاثة أعين أنا عبد الله بن على بن عباس ابن عبد المطلب بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف — ولما هرب مروان من عبد الله بن على اتبعه عبد الله بن على حتى بلغ فلسطين فكتب اليه السفاح أن أقم بموضعك وابعث في اتباع مروان أخاك صالح بن على فأقام عبد الله بفلسطين وبعث صالحا

فلحقه بقرية من قرى الفيوم من أرض مصر يقال لها (بوصير) فقتله بها وكان الذي قتله بيده عامر بن اسماعيل الحرسى من أهل خراسان وقد قيل تولى قتله رجل يقال له المغوار من أهل البصرة وهو لا يعرفه فصاح رجل من أصحابه قتل أمير المؤمنين فابتدره أصحاب صالح فسبق اليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان بالكوفة فاحتز رأسه فبعث به الى عبد الله فبعث به عبد الله بن على الى السفاح — فلما وضع بين يديه خر لله ساجداً وقال الحمد لله الذى أظهرنى عليك ولم يبق ثارى قبلك وقبل رهطك أعدائى — ثم تمثل بشعر أبى الاصبغ العدوانى حيث يقول *

لو يشربون دمى لم يرو شاربهم * ولا دماؤهم للغيظ ترويني

ويحكى أنه لما سيق اليه الراس وضع بين يدى عبد الله بن على قبل أن يبعثه الى أبى العباس السفاح وكان لسانه قد خلع من فمه فجاءت هرة فاقتلعت اللسان وجعلت تمضغه فقال عبد الله ابن على لو لم ترن الايام من عجائبها الا لسان مروان فى فم الهرة لكفانا * ولما قتل مروان صفا الامر لابى العباس واضمحل أمر بنى أمية وعادوا كأن لم يكونوا فسبحان من لا يحول ملكه ولا يبيد سلطانه *

(وأسبلت دمعة الروح الامين على
دم بفخ لآل المصطفى هدر)

هذا بيت غلط فيه أبو محمد رحمه الله فى خبره وخلطه مع غيره إلا أن يكون صدر هذا البيت على غير هذا النظم مثل أن يكون *

وأسبلت عبرات للعيون على * دم بفخ لآل المصطفى هدر

فان المقتولين بفخ هم الحسين بن على بن حسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب والحسن بن محمد بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب وعبد الله بن اسحق بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب قتلوا جميعا بفخ — أو يكون وقع فى البيت تصحيف فى قوله بفخ وهو (بطف) فيكون الخبر صحيحا والله أعلم على ما ذكر فى نظم البيت إلا أن الناسخ جعل فى موضع طف فخا فوقع اللبس فى هذا البيت بهذا التصحيف فان الذى جرت عليه دمعة الروح الامين على ما قال هو الحسين بن على بن أبى طالب وقد تقدم الخبر وكيفية جريان دمعة الروح الامين عليه وذكرنا فى أى موضع قتل * وأما المقتول بفخ فهو الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب كان أقام فى المدينة فى أيام المهدى وخرج معه الحسن بن محمد بن الحسن ابن الحسن بن على بن أبى طالب نحو مكة حتى اذا كانوا على فرسخ من مكة بموضع يقال له فخ قتل به قتله سليمان بن أبى جعفر وموسى بن عيسى والعباس بن محمد وفى هذا الموضع يقول محمد بن عبد الله

ابن نمير الثقفي يتشبب بزينب أخت الحجاج بن يوسف الثقفي حيث يقول *

مررن بفخ ثم رحن عشية * يلبين للرحمن مؤتجرات

فى جملة أبيات ويصف فيها زينب وفى قتله يقول الهادى *

سلا همومى وأطفأ نار موجدتى * عون الاله على الاعداء بالظفر

فى كل يوم لنا من أهلها حسد * لان ملكنا وصرنا سادة البشر

لن يدفعوا بصغير الارث أكبره * وهل يقاس ضياء الشمس بالقمر

وقد كان توفى سنة تسع وستين ومائة فى أيام الهادى من بنى العباس — وفيه يقول بعض شعراء ذلك العصر *

فلأ بكين على الحسين * بعولة وعلى الحسن

وعلى ابن عاتكة الذى * واروه ليس له كفن

تركوا بفخ غدوة * فى غير منزلة الوطن

فى أبيات — والحسن الذى ذكره فى هذه الابيات هو الحسن ابن محمد بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب وكان أسر فى ذلك اليوم وضربت عنقه صبرا * وابن عاتكة الذى ذكره هو عبد الله بن اسحق بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب — وقد ذكر نسب هذا المقتول بفخ غريباً فى كتاب مختصر المبدى للطبرى * وذكره الصولى فى مختصر الازرق وابن قتيبة فى المعارف والخوازرمى فى تاريخه كل ذكر أنه

الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب *
(وأشرقت جعفرا والفضل ينظره
والشيخ يحى بريق الصارم الذكر) (١)

فى هذا البيت تقديم وتأخير والاصل وأشرقت جعفرا بريق الصارم الذكر والفضل ينظره والشيخ يحيي * والمعنى أن كل واحد منهما (أخاه وأباه) كان ينظرانه لا تأتيه منيته كسرعة ما أتته فانه شرق بها وهو فى عزه الاعز وأخذته فى وقت كان لا ينتظرها فيه اذ كان في عنفوان عمره وبهجة أيامه وعلو رفعته فى دهره والايام تخدمه فما كان إلا لا ولا حتى محت اثره وأبقته عبرة للمعتبرين خبره * وجعفر هذا هو جعفر بن يحيي بن خالد ابن برمك من الفرس والبرمك هو الذى يعمر بيت النور بها وهو بيت النار — وكان برمك من مجوس بلخ وكان عظيم القدر فيهم — فأسلم وساد ابنه خالد وقد توزر خالد لابى العباس السفاح بعد أبى سلمة الخلال * وقتل هرون الرشيد جعفرا سنة سبع وثمانين ومائة وكان جعفر قد بلغ من الرشيد ما لم يبلغه وزير من خليفة قبله حتى كان يجلس معه في حلة واحدة قد اتخذ لها جيبان على ما ذكره بعض المؤرخين وبلغ عنده الى أن كان يحكم

---

(١) يعنى ان الليالي اشرقت جعفرا اي اغصته بريق السيف القاطع والحال ان اخاه واباه ينظرانه والقصد ان منيته أتته وهو فى عزه الاعز *

عليه فيما شاء من أمر ماله وولده — فمن ذلك ما حكاه ابراهيم بن المهدى عم الرشيد وهو المعروف بابن شكلة وكانت شكلة أمة سوداء — وقد ذكر أن ابراهيم كان اسود شديد السواد وكان من أهل الطبقة العالية فى صنعة العود قال قال لى جعفر يوما يا ابراهيم اذا كان غدا بكر الىّ فلما كان غد مشيت اليه باكرا فجلسنا نتحدث فلما أن ارتفع النهار أحضر حجاما حجمنا ثم قدم لنا الطعام فطعمنا ثم خلع علينا ثياب المنادمة وقال جعفر لحاجبه لا تدخل علينا الا عبد الملك القهرمان فنسى الحاجب ما قال له فجاء عبد الملك بن صالح الهاشمى وكان رجلا من بنى هاشم من أظرفهم ملاحة وفصاحة وحلما وعلما وجلالة قدر وفخامة ذكر وديانة وصيانة فدخل فى نفس الحاجب أنه الذى أمره بادخاله فأدخله علينا فلما رآه جعفر تغير لونه فقال عبد الملك لما رآهم على تلك الحالة وظهر له أنهم احتشموه وأراد أن يرفع خجله وخجلهم بمشاركته لهم فى فعلهم (اصنعوا بنا ما صنعتموه بانفسكم) فجاء الخادم فطرح عليه ثياب المنادمة ثم جلس يشرب فلما بلغ ثلاثا قال ليخفف عنى فانه شىء ما شربته قط فتهلل وجه جعفر فقال هل من حاجة تبلغها مقدرتي وتحيط بها نعمتى فأقضيها لك مكافأة لما صنعت قال بلى إن أمير المؤمنين علىّ غاضب فاسأله الرضى عنى قال قد رضى عنك أمير المؤمنين قال وعلىّ أربعة

آلاف دينار قال هي حاضرة من مال أمير المؤمنين قال وابنى ابراهيم أريد أن أشد ظهره بصهر من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين ابنته عائشة قال وأحب أن تخفق الالوية على رأسه قال نعم قد ولاه أمير المؤمنين مصر * قال ابراهيم بن المهدى فانصرف عبد الملك وأنا أعجب من قدام جعفر على قضاء الحوائج من غير استئذان أمير المؤمنين فلما كان من الغدو قفنا على باب الرشيد ودخل جعفر فلم يلبث أن دعى بأبي يوسف القاضي ومحمد بن واسع وابراهيم بن عبد الملك فعقد له النكاح وحملت البدر الى منزل عبد الملك وكتب سجل ابراهيم على مصر وخرج جعفر وأشار الى — فلما صار الى منزله نزل فنزلت بنزوله فالتفت الىّ وقال قلبك معلق بأمر عبد الملك فأحببت معرفة خبره وذلك انى لما دخلت على أمير المؤمنين تمثلت بين يديه وابتدأت القصة من أولها الى آخرها كما كانت فجعل يقول أحسن والله أحسن * ثم قال ماصنعت فأخبرته بما سأل وما أجبته فجعل يقول فى ذلك كله أحسنت أحسنت واحتضر له أربعة آلاف دينار وقضى بها دينه وخرج ابراهيم والياً على مصر وكان الرشيد يحبه حباً شديدا حتى كان لا يفارقه وكانت العباسة أخت الرشيد عند الرشيد من أحب النساء اليه وكان أيضاً لا يريد أن يفارقها فكان متى غاب عنه جعفر لا يتم سروره واذا غابت العباسة لا يتم سروره أيضاً فقال ياجعفر انه لم يتم لى

سرور الابك وبالعباسة ولكنى أزوجهامنك ليحل لكما الاجتماع معاً وإياكما أن تجتمعا وأنا دونكما فزوجها له على هذا الشرط وبقيا على تلك الحالة ماشاء الله أن يبقيا حتى عشقت العباسة جعفرا فراودته فأبي وخاف على نفسه — فلما أعيتها الحيلة في امره وعرفت ان النساء اقرب الى الخديعة بعثت الى عتابة وهي ام جعفر وكانت ترسل الى ابنها فى كل يوم جمعة بكرا عذراء وكان جعفر لايطأ تلك الجارية حتى يأخذ شيئاً من النبيذ فقالت العباسة لام جعفر ارسليني كأنى جارية من جواريك التى ترسليهن اليه فأبت عليها أم جعفر فقالت لها العباسة ان لم تفعلى قلت للرشيد ان أم جعفر كلمتنى فى كيت وكيت وان أنت فعلت ذلك واشتملت منه على ولد زاد شرف ابنك وما عسى أن يفعل أخى لو علم أنى قد اشتملت على ولد من ولدك فطمعت المرأة في ذلك فجعلت تعد ولدها بأنها سترسل اليه جارية عندها من هيئتها وصفتها كذا وجعلت تمطله بذلك وجعفر يطالبها بعدتها المرة بعد المرة فلما علمت أن نفسه قد اشتاقت لتلك الجارية التى ذكرتها له قالت للعباسة تهيئى فى هذه الليلة ففعلت العباسة وأدخلت على جعفر وكان لايثبت صورتها فانه انما كان يجلس معها والرشيد حاضر فكان لايرفع طرفه اليها مخافة الرشيد فلما دخلت عليه وقضى وطره منها قالت له كيف رأيت خديعة بنات الملوك قال لها وأى

بنت ملك أنت قالت أنا مولاتك العباسة فطار السكر من رأسه
وذهب الى أمه فدخـل عليها وقال يا أماه بعتيني والله رخيصاً
فاشتملت العباسة من تلك الليلة على ولد فلما ولدته وكلت به غلاماً
اسمه رياش وحاضنة يقالها برّة فلما خافت ظهور الأمر بعثت
بهـم الى مكة وكان يحيى ابن خالد ينظر على قصر الرشـيد وعلى
حرمه وخدمه وكان يغلق أبواب القصر بالليل وينصرف بالمفاتيح
معه وصار يفعل ذلك حتى ضيق على حرم الرشيد فشكت اليه
زبيدة أم الأمين امرأة الرشيد فقال له الرشيد يا أبه وكان يدعوه
يا أباه مابال زبيدة تشكوك قال ياأمير المؤمنين أمتهم أنا في حرمك
وخدمك قال لاقال فلا تقبل قولها فازداد لها يحيي منعاً وعليها
غلظة فدخلت زبيدة على الرشيد فقالت مايحمل يحيى على مايفعل
بي من منعة خدمي ووضعي في غير موضعي فقال لها الرشـيد
يحيى عندي غير متهم في حرمي قالت لو كان كذلك لحفظ ابنه مما
ارتكبه قال لها وما ذاك فأخبرته بخبر العباسـة فقال لها وهل
على هذا من دليل قالت وأي دليل أدل من الولد قال وأين هو
قالت كان هنا فلما خافت ظهوره وجهت به الى مكة قال أو يعلم
بهذا أحـد سواك قالت مافي القصر جارية الا وقـد عرفت ما
أخبرتك به قال فسكت عنها وأظهر انه يريد الحج فخرج وخرج
معه جعفر بن يحيي فـكتبت العباسة الى الداية والخادم أن يخرجا

بالصبي نحو اليمن فلما وصل الرشيد مكة وكل من يثق به بالبحث عن أمر الصبي والداية والخادم فوجد الأمر صحيحاً فأضمر للبرامكة من أجل ذلك ازالة نعمتهم ثم دعا السندى بن شاهد وهو أحد قواده فأمره بالمضي الى مدينة السلام والتوكل بالبرامكة ودور كتابهم وقراباتهم وأن يجعل ذلك سراً من حيث لا يعلم به أحد حتى يصل الى بغداد ويفضى بذلك الى من يستثقه من أهله وأعوانه ففعل السندى ذلك وكان الرشيد بالانبار بموضع يقال له العمر وكان معه فيه جعفر وكان جعفر قد مضى الى موضعه ودعا بأبى ركاز الأعمى الصنبورى ومدت الستارة وجلس وجواريه خلفها يضربن ويغنين وأبو ركاز يغنيه*

ما ريد الناس منا * ما ينام الناس عنا * انما همهم أن * يظهروا ما قد دفنا

ودعا الرشيد من ساعته بياسر غلام من غلمانه ويدعى برجله فقال له يا ياسر انى دعوتك لأمر لم أر له محمداً ولا عبد الله ولا القاسم أهلا ورأيتك ناهضاً به فحقق ظنى واحذر أن تخالفني فيكون سبب سقوط منزلتك عندى قال يا أمير المؤمنين لو أمرتنى أن أقتل نفسي لفعلت قال اذهب الى جعفر بن يحيى وجئنى برأسه الساعة على أى حال تجده فوقف ياسر حائرا لا يحير جوابا قال يا ياسر ألم أتقدم اليك بأنك ان خالفت أمرى تسقط منزلتك عندى قال بلى ولكن الأمر عظيم ولوددت انى مت قبل هذا قال امض

لما أمرتك فمضى حتى دخل على جعفر وأبو ركاز يغنيه *

فلا تبعد فكل فتى سيأتى * عليه الموت يطرق أو يغادى
ولو أفديت من حدث الليالى * فديتك بالطريف وبالتلاد
وكل ذخيرة لا بد يوماً * وان بقيت تصير الى نفاد

فقال جعفر يا ياسر سررتنى باقبالك وسؤتنى بدخولك بغير اذن فقال الأمر أكبر من ذلك ان أمير المؤمنين أمرني فيك بكذا وكذا فأقبل جعفر يقبل قدمى ياسر ويقول دعنى أدخل أوصي قال لا سبيل الى ذلك ولكن أوص بما شئت قال ان لى عندك حقاً ولن تجد مكافأتى الا فى هذه الساعة قال تجدنى سريعاً الا فيما أخالف أمير المؤمنين قال فارجع اليه فأعلمه أنك نفذت ما أمرك به فان أصبح نادماً كانت حياتى على يديك وكانت لك عندى نعمة وان أصبح على مثل مذهبه نفذت ما أمرك به قال ولا هذا لست أفعله قال فأسير معك الى مضرب أمير المؤمنين بحيث أسمع كلامه ومراجعتك اياه فاذا أبليت عذراً ولم يقنع الا بمسيرك برأسي فعلت قال أما هذا فنعم فسارا جميعاً الى مضرب الرشيد فلما سمع حسه قال ياياسر قال نعم قال ماوراءك فعرفه ماقال جعفر فقال له ياعاض بظر امه والله لئن راجعتنى لأقدمنك عليه فرجع وقتله وجاء برأسه فلما وضع بين يديه أقبل عليه مليا ثم قال ياياسر جئنى بفلان وفلان فلما أتاه بهما قال لهما اضربا

عنق ياسر فانى لاأقدر أن أرى قاتل جعفر وقيل أن سبب قتل الرشيد للبرامكة انه لما وجه الرشيد يقطين بن موسى الى افريقية لاصلاحها وكان يقطين من كبار الشيعة وممن كان مع ابراهيم الامام قال ياأمير المؤمنين اكشف لى عن جسدك أقبله لأكون قد قبلت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أمير المؤمنين حدثنى مولاى ابراهيم الامام أن الخامس من خلفاء بنى العباس يغدر به كتابه فان لم يقتلهم قتلوه فقال والله أحدثك الامام بهذا قال نعم فأمر أن تكتب له الحكاية ومات يقطين لست وثمانين ومائة وأوقع الرشيد بالبرامكة سنة سبع * ويحكى أنه أصيب على باب قصر على بن عيسى بن ماهان بخراسان صبيحة الليلة التى قتل فيها جعفر كتاب بقلم جليل هو *

ان المساكين بنى برمك * صبت عليهم غير الدهر
ان لنا فى أمرهم عبرة * فليعتبر ساكنوا ذا القصر

وحكى أنه لما فهم جعفر بن يحيي التغير من الرشيد عند حجه معه ووصل الى الحيرة ركب جعفر الى كنيسة بها لبعض النصارى فوجد حجرا عليه كتابة لا تفهم فأحضر تراجمة الخط وقال فى نفسه قد جعلت مافيه فألا لما أخافه من الرشيد وأرجوه فقرئ فاذا فيه

ان بنى المنذر عام انقضوا * بحيث شاد البيعة الراهب
أضحوا ولا يرجوهم راغب * يوما ولا يرهبهم راهب

تنفح بالمسك دفاتيرهم * والعنبر الورد له قاطب
فأصبحوا أكلا لدود الثرى * وانقطع المطلوب والطالب

فحزن جعفر لذلك حزناً شديدا وكان يجرى على لسانه مع الاحيان ويقول ذهب والله ملكنا وأمرنا * وحدث المغيرة بن محمد المهلبي قال حدثنا الاصمعى قال وجه اليَّ الرشيد بعد قتله جعفرا فجئت فقال أبيات أردت أن تسمعها قلت اذا شاء أمير المؤمنين قال فأنشدنى *

لو أن جعفر آخاف أسباب الردى * لنجابه منها طمرٌ ملجم
ولكان من حذر المنية حيث لا * يرجو اللحاق به العقاب القشعم
لكنه لما أتاه يومـــه * لم يدفع الحدثان عنه منجم

فعلمت أنها له فقلت هذه أحسن أبيات فى معناها فقال الحق الآن بأهلك يا ابن قريب * ويقال ان علية بنت المهدى قالت للرشيد بعد ايقاعه بالبرامكة ما رأيت لك يا سيدي يوم سرور تام منذ قتلت جعفرا فلأى شيء قتلته قال لها يا حياتى لو علمت أن قيصى يعلم السبب لحرقته وكان جعفر بخيلا ولولا ذلك ما كان أحد يجاريه من أهل زمانه. فمما يحكى من بخله أنه أراد أبوه يحيى أن يحفظ (كتاب كليلة ودمنة) فصعب عليه ذلك فقال له عبد الحميد بن عبد الرحمن اللاحق أنا أنظمه لك شعراً ليخف عليك حفظه قال أفعل فنقله الى قصيدة مزدوجة عدد أبياتها

أربعة عشر الف بيت وعملها في ثلاثة أشهر فأعطاه يحيى على ذلك عشرة آلاف دينار وأعطاه ابنه الفضل خمسة آلاف دينار وقال جعفر أكون راويتك لها ولا أعطيك شيئاً وأول القصيدة *

هذا كتاب أدب ومحنة * وهو الذي يدعى كليلة ودمنة

ويحكى عن جعفر انه أراد الركوب الى دار الرشيد وذلك فى آخر أيامهم فدعا بالاسطرلاب ليختار وقتاً وهو في داره على دجلة فمرّ رجل فى سفينة وهو لا يراه ولايدرى مايصنع والرجل ينشد *

يدبر بالنجوم وليس يدرى * ورب النجم يفعل مايريد

فضرب بالاسطرلاب الارض فكسره وركب * ومن مستحسن أخباره أنه أخبر أن يهوديا زعم أن الرشيد يموت في تلك السنة وأن الرشيد مغموم بذلك واليهودى فى يده فركب جعفر الى الرشيد فرآه شديد الغم فقال لليهودى أنت تزعم أن أمير المؤمنين يموت الى كذا وكذا يوماً قال نعم قال وأنت كم عمرك قال كذا وكذا وذكر أمرا طويلا فقال للرشيد أقتله حتى تعلم أنه قد كذب في أمدك كما كذب فى أمده فقتله وذهب ما كان بالرشيد من الغم وشكره على ذلك وأمر بصلب اليهودى فقال أشجع السلمى فى ذلك *

سل الراكب الموفى على الجذع هل * رأى لراكبه نجما بدا غير أعور

ولو كان نجم مخبر عن منية * لا خبره عن رأسه المتخير
يعرّفنا موت الامام كأنه * يعرفه أبناء كسرى وقيصر
أتخبر عن نحس لغيرك شؤمه * وتجهل بادى النحس يا شرّ مخبر

حدث محمد عن غسان صاحب صلاة الكوفة وقاضيها قال دخلت الى أمى في يوم أضحى فرأيت عندها عجوزاً فى اطمار رثة واذا لها بيان ولسان فقلت لامي من هذه قالت هذه خالتك عتابة أم جعفر بن يحيي فسلم عليها فسلمت وقلت أصارك الدهر الى ما أرى قالت نعم يابنى انما كنا فى عوار ارتجعها الدهر منا فقلت حدثيني ببعض شأنك قالت خذه جملة لقد مضى علىَّ أضحى مثل هذا منذ ثلاث سنين وعلى رأسي أربعمائة وصيفة وأنا أزعم أن ابنى عاق وقد جئتكم اليوم أطلب جلدي شاة أجعل أحدهما شعاراً والآخر دثارا قال فغمني ذلك وأبكانى فوهبت لها دنانير كانت عندى وكان جعفر من أهل الفصاحة البارعة والفطنه التى لا تحد ذكر عنه أنه كان يرى الكاتب يكتب على البعد منه فيقرأ بتحريك القلم ما يكتب الكاتب ويقال ان كتاب وقته كانوا يوجهون بغلمانهم فيقفون ببابه اذا جلس للمظالم فكلما خرج غلام بنسخة توقيع دفع اليه دينارا وأخذ التوقيع منه ليرى كيف هو فيحذو على مثاله وكان أبوه يحيي الذى قال فيه الناظم (والشيخ يحيي) من أهل العقل البارع

والسخاء الكامل وكان يقول ما رأيت أحدا قط الاهبته حتى يتكلم فان تكلم كان بين اثنتين اما أن تزيد هيبته واما ان تضمحل وأمر كاتبين من كتابه أن يكتبا فى موضع واحد فأطال أحدهما واختصر الآخر — فلما نظر فى كتابيهما قال للمختصر ما أجد موضع زيادة وقال للمطيل ما أجد موضع نقصان فأرضاهما معاً بكلامه وتوفى يحيي فى سجن الرشيد (بالرقة) وهو ابن سبعين سنة وكان موته فجأة أكل ونام فنبهوه لصلاة العصر فوجدوه ميتاً بعد مرض طويل كان قد صح منه فلما بلغ الرشيد موته استرجع وقال اليوم مات أعقل الناس ولو بقى لرددته الى حاله *

وحكى عنه من حسن عقله أنه أراد الرشيد بعد نكبة البرامكة أن يهدم الايوان الذى بناه سابور بن هرمز لانه كان قد ذكر له أن تحته مالا عظيما فشاور أهل دولته فى هدمه فأشار كل بهدمه فأرسل الى يحيي بن خالد وهو فى السجن يستشيره فى ذلك فقال لا تفعل فان هدمه ليس برأى فترك كلامه وعول على هدمه فعجز عنه فاشار عليه القوم الذين أشاروا عليه أول مرة بهدمه أن يتركه فارسل الى يحيي يستشيره فى ذلك ويخبره أنه عجز عن هدمه فامره أن يتمادى على هدمه فقال للرسول قل له اهذا أمرتنى أولا أن لا أهدمه فلما عجزت عنه أمرتنى أن أهدمه

فقال قل لأمير المؤمنين انما علىّ النصيحة لما شاورنى علمت أنه سيعجز عن هدمه فلما شرع فيه أمرته أن يتمادى على هدمه وأن لا يترك منه أثراً لأنى أخاف أن يقول العجم إن ملك الاسلام عجز عن هدم ما بناه ملك من ملوكنا والهدم أسهل من البناء فأرى ان يتمادى على هدمه ولا يتركه *وقد حكيت هذه الحكاية عن خالد والد يحيى وأنها جرت له مع المنصور حين أراد هدم قصور كسرى* وكتب يحيى من السجن الى الرشيد — لأمير المؤمنين وامام المسلمين وخلف المهديين وخليفة رب العالمين*

من عبد أسلمته ذنوبه وأوثقته عيوبه وخذله شقيقه ورفضه صديقه وزل به الزمان وأناخ عليه الحدثان فصار الى الضيقة بعد السعة وعالج البؤس بعد الدعة وافترش السخط بعد الرضى واكتحل السهر وابتعد الهجوع فساعته شهر ولياته دهر. قد عاين الموت وشارف الفوت جزعا يا أمير المؤمنين اذ حجب الله عنى فقدك لما أصبت به من بعدك لا لمصيبتى بالحال والمال فان ذلك كان بك ولك وكانا عارية فى يدى منك ولا بأس ان تسترد العوارى أما المحنة فى جعفر فبجرمه أخذته وبجريرته عاقبته وما أخاف عليه زلة فى أمره ولا مجاوزة به فوق ما أستحقه فاذكر يا أمير المؤمنين خدمتى وارحم ضعفى وشيبتى ووهن قوتى وهب لى رضى عنى فمن مثلى الزلل ومنك الاقالة ولست أعتذر ولكنى

أقر وقد رجوت أن يظهر عند الرضى من وضوح عذري وصدق نيتي وظاهر طاعتي وفلج حجتي ما يكتفي به أمير المؤمنين ويرى الجلية فيه ويبلغ المراد منه ان شاء الله تعالى *

وكتب له شعراً يقول فيه *

قل للخليفة ذي الصنا * ئع والعطايا الفاشيه
وابن الخلائف من قريـ * ـش والملوك الهاديه
رأس الأمور وخير من * ساس الامور الماضيه
إن البرامكة الذيـ * ـن رموا لديك بداهيه
عمتهموا لك سخطة * لم تبق منهم باقيه
فكأنهم مما بهم * أعجاز نخل خاويه
صفر الوجوه عليهم * خلع المذلة باديه
مستضعفون مطردو * ن بكل أرض قاصيه
من دون ما يلقون من * عتب يشيب الناصيه
أضحوا وجل مناهموا * منك الرضى والعافيه
بعد الوزارة والأما * رة والأمور العاليه
أنظر إلى الشيخ الكبيـ * ـر فنفسه لك راجيه
أو ما سمعت مقالتي * ياذا الفروع الزاكيه
ما زلت أرجو راحة * فاليوم خاب رجائيه
واليوم قد سلب الزما * ن كرامتي وبهائيه

ألقى الزمان جرانه * مستشفياً بفنائيه
ورمى سواء مقاتلى * فأصاب حين رمانيه
يا من يود لى الردى * يكفيك ويحك مابيه
يكفيك أنى مستبا * ح معاشرى ونسائيه
يكفيك ماأبصرت من * ذلى وذل مكانيه
وذهاب مالى كله * وفدى الخليفة ماليه
ان كان ما يكفيك إلا * أن أذوق حماميه
فلقد رأيت الموت من * قبل الممات علانيه
وفجعت أعظم فجعة * وفنيت قبل فنائيه
وهويت فى قعر السجو * ن على رفيع بنائيه
أنظر بعينك هل ترى * الا قصوراً خاليه
وذخائراً موروثة * قسمن قبل مماتيه
ومصارعاً وفجائعاً * ومصائبا متواليه
ونوادبا يندبنى * تحت الدجى بكنائيه
آبا علىّ البرمكى * ىّ فما أجيب الداعيه
وبداوهن وقد سمه * ت يقلقل أحشائيه
أخليفة الله الرضىّ * لا تشمتن أعدائيه
واذكر مقاساة الأمو * ر وخدمتى وعنائيه
رحم جعلت لك الفدا * كربى وشدة حاليه

وارحم أخاك الفضل والـ * باقين من أولاديه
أخليفة الرحمن انـ * ـك لو رأيت بناتيه
وبكاء فاطمة الكبيـ * ـرة والمدامع جاريه
ومقالها بتوجع * يا شقوتي وشقائيه
من لي وقد غضب الاما * م على جميع رجاليه
من لي وقد قصم الزما * ن كما تراه قناتيه
يا لهف نفسي لهفها * ماللزمان وماليه
وعدمت طيب معيشتي * وتغيرت حالاتيه
يا نعمة الملك الرضى * عودى علينا ثانيه

ويروى أن الرشيد لما قرأ هذه الابيات وقع تحتها *

أجرى القضاء عليكمُ * ما جئتموه علانيه
من ترك نصح امامكم * عند الامور الباديه
يا آل برمك انما * كنتم ملوكا عاديه
فكفرتموا وعصيتموا * وجحدتموا نعمائيه
هذى عقوبة من عصى * ربَّ السما وعصانيه

وتحت ذلك مكتوب (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) ﴿ أمير المؤمنين ﴾

وحكى أنه كتب قبل موته فى رقعة أبياتا يخاطب بها الرشيد وهى هذه *

ستعلم فى الحساب اذا التقينا * غدا عند الاله من الظلوم
سينقطع التلذذ عن أناس * اذا ماتوا وتنقطع الهموم
ألا يا بائعا دينا بدنيا * غرور لا يدوم له نعيم
تخلّ من الذنوب فأنت منها * على أن لست ذا سقم سقيم
تنام ولم تنم عنك المنايا * تنبه للمنية يا نؤوم
تروم الخلد فى دار التفانى * وكم قد رام مثلك ما تروم
الى ديان يوم الدين نمضى * وعند الله تجتمع الخصوم

وحكى سهل بن هارون صاحب دواوين الرشيد بعد يحيى البرمكى وهو صاحب كتاب (ثعلة وعفرة) وهو كتاب مشى فيه على نحو (كليلة ودمنة) قال كنت مع يحيى بن خالد البرمكى فى الرقة وهو داخل سرادقه وأنا بين يديه أحصل أرزاق العامة وهو يعقدها جملا بكفه اذ غشيته سآمة وأخذته سنة فغلبته عيناه فقال لي يا سهل طرق النوم شفرى وأكل خاطرى فما زاك قلت ضيف كريم وملك لا يغالب فنام أقل من فواق بكية أو نزع ركية ثم انتبه مذعورا فقال يا سهل لأمر ما كان قد والله ذهب ملكنا وذل عزنا وانقضت أيام دولتنا قلت وما ذاك أصلح الله الوزير قال رأيت كان منشدا أنشدنى *

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فأجبته من غير روية ولا إجالة فكر *

بل نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالى والجدود العواثر

قال سهل — فلما كان فى اليوم الثالث من ذلك اليوم وأنا بين يديه أكتب توقيعاً إذ وجبت رجلا ساع اليه حتى أكب عليه فقال ويحك سأكتم خيرا ولا أكتم شراً قال قتل أمير المؤمنين جعفراً قال وقد فعل قال نعم فما زاد على أن رمى القلم من يده وقال هكذا تقوم الساعة ثم قبض على يحيي وعلى الفضل فسجنا حتى ماتا فى الحبس فكان موت يحيي سنة تسعين ومائة بعد قتل جعفر بثلاث سنين وكان الفضل معه مسجونا وبقى بعده فى السجن سنتين ثم مات فيه وكان حين مات ابن ست وأربعين سنة ومات يحيي أبوه وهو ابن سبعين سنة وكان الفضل من كرماء بنى برمك على كرمهم — ولما بلغ الرشيد خبرُ موته قال أمرى قريب من أمره — وحدث اسحاق قال كان خاتم الوزارة للفضل قبل جعفر فلما أراد الرشيد أن يصرف الوزارة الى جعفر قال ليحيى يا أبت وكان يدعوه يا أبه أردت أن أجعل الخاتم الذى لاخى الفضل لجعفر « وكان يدعو الفضل يا أخى فان أم الفضل كانت أرضعت الرشيد وهى زبيدة بنت سيرين من مولدات المدينة » وقد احتشمت من الكتاب اليه فى ذلك فاكفنيه فكتب اليه يحيي قد أمر أمير

المؤمنين أعلى الله أمره بتحويل الخاتم من يمينك الى شمالك فكتب اليه الفضل قد سمعت الى ماقاله أمير المؤمنين فى أخى واطعت وما انتقلت عنى نعمة صارت اليه ولا غربت عنى رتبة طلعت عليه فقال جعفر لله أخي ما أنفس نفسه وأبين دلائل الفضل عليه وأقوى مُنة العقل فيه وأوسع فى البلاغة ذرعه وأرحب بها جنابه يوجب على نفسه مايجب له ويحمل الكرامة على طاقته * ويحكى عنه أنه كان يقول والله ماسرور الموعود بالفائدة كسرورى بالانجاز — وأمر الرشيد بضرب الفضل بن يحيي وهو في السجن فضرب بالسياط ضرب التلف وكان الفضل من أهل الكرم المشهور والافضال — يحكى عنه أنه أتاه حاجبه يوماً فقال له إن بالباب رجلا زعم أن له أيادى يمنُّ بها اليك قال أدخله الىّ فدخل رجل حسن الوجه رث الهيئة فسلم فأومى اليه بالجلوس فلما استقر به مجلسه قال له بعد ساعة ما حاجتك قال قد اعلمتك بها رثاثة ملبسى قال اجل فما الذي تمت به قال ولادة تقرب من ولادتك وجوار يدنو من جوارك واسم مشتق من اسمك قال الفضل أما الجوار فيمكن وقد يوافق الاسم الاسم ولكن ماعلمك بالولادة قال اخبرتنى امي انها لما ولدتنى قيل لها ولد فى هذه الليلة ليحيي ابن خالد غلام وسمى الفضل فسمتنى امى فضيلا اكبارا لاسمك أن تلحقنى به وصغرته لقصور قدرى عن قدرك فتبسم الفضل

ثم قال له كم أتى عليك من السنين قال خمس وثلاثون قال صدقت هذا المقدار الذى اعددت قال فما فعلت امك قال ماتت قال فما معك من اللحاق بنا متقدما قال لم ارض نفسى للقائك لانها كانت فى عامية معها حداثة تقعد بى عن لقاء الملوك وعلق هذا بقلبى منذ اعوام فشغلت نفسى بطلب مايصلح للقائك حتى رضيت نفسى قال فما تصلح له قال للكبير من الامر والصغير قال ياغلام اعطه لكل عام مضى من سنيه الف درهم واعطه عشرة آلاف درهم يجمل بها نفسه الى وقت استعماله وخلع عليه وحمله على مركب سنى ويقال انه صار الى الرشيد من اموال البرامكة واثاثهم وضياعهم قيمة خمسة عشر الف الف دينار فقال الفضل ابن الربيع عجل امير المؤمنين فذهبت الاموال فقال الى نار الله واشتفى غيظى — وذكران السبب الموجب لغضب امير المؤمنين على البرامكة ان الرشيد كان اخذ يحيي بن عبدالله بن حسن العلوى ودفعه الى جعفر ليحبسه عنده وكان يخافه على الخلافة وقد كان دفعه الى اقوام قبله ثم لم تطب نفسه الا على ان يكون عند جعفر فبقى عنده ماشاء الله وكان جعفر يرى سرور الرشيد بموت من يموت فى حبسه من هؤلاء الاصناف فشرب يوما فسر فقال ياامير المؤمنين ان يحيي بن عبد الله قد مات فسر بذلك وقال الحمد لله الذى كفانى امره ولم يؤثمنى فيه وانصرف جعفر فأعلم أباه يحيي

بما كان فقال (انا لله وانا اليه راجعون) ان تركناه تلفنا وان قتلناه فالنار لنا ثم انفتح ليحيي باب فى امره على ماخيل له فكتب الى علىّ بن عيسى بن ماهان وكان فى خراسان واليا وكان على بيت يحيي فعرفه ماجرى وفزع اليه فى ان يكون عنده يحيي ابن عبدالله موسعا عليه الى ان يقضى الله فيه قضاءه وكان الكتاب الذى سيره الى على بن عيسى بن ماهان بخط يد يحيي ولم يكن يحيي يعلم بما بين على بن عيسى وبين ابنيه جعفر والفضل من العداوة فلما وصل الكتاب الى على بن عيسى ووصل اليه يحيي بن عبد الله قال هذا من حيل الفضل وجعفر علىّ فاجاب يحيي بانه يفعل ماارادوا انفذ كتاب يحيي الى الرشيد واعلمه ان يحيي بن عبد الله عنده فكتب اليه الرشيد بحسن موقع مافعله عنده ويعلمه فساد امر البرامكة لديه وامره ببعث يحيي بن عبد الله بن حسن اليه من غير ان يعلم احد ماتكاتبابه فلما وصل يحيي الى الرشيد أوقع بالبرامكة بعد مدة من ذلك الوقت والله أعلم *

(وأخفرت فى الامين العهد وأنتدبت
لجعفر بابنه والاعبد الغدر) (١)

ألامين هو محمد بن هرون الرشيد ويكنى بأبى موسى وامه

---

(١) اخفره اذا نقض عهده وغدربه ـ وانتدب له دعاه فاجاب قوله (واخفرت فى الامين العهد) أراد به العهد الذى أخذه الرشيد للامين على المأمون وللمأمون على الامين أن لا يغدر أحدهما بصاحبه *

زبيدة بنت جعفر بن ابى جعفر المنصور سميت بذلك لسمنها فى صغرها ولم يل الخلافة هاشمى بن هاشمية بعد على بن ابى طالب والحسن بن على رضى الله عنهما غير الامين وفيه يقول ابو الهول الحميرى *

مَلكٌ ابوه وامه من بيعة * منها سراج الامة الوهاج
شربوا بمكة فى ذرى بطحائها * أما النبوة ليس فيه مزاج

وبويع له بعد موت ابيه الرشيد يوم الخميس لأحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ومائة وقتل ليلة الاحد لست بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وقتل وهو ابن ثمان وعشرين سنة وهو اول من تَسمى بالامين ثم تسمى به صالح حاجب المعتضد* وحكى عن امه انها رأت الليلة التى علقت فيها بمحمد الامين كأن ثلاث نسوة دخلن عليها وهي فى مجلس فقعد اثنتان عن يمينها والثالثة عن يسارها فدنت احداهن فوضعت يدها على بطنها ثم قالت (ملك ضخم عظيم البذل ثقيل الحمل نكد الامر) ثم قامت الثانية ففعلت مثل فعل الاولى وقالت (ملك ناقص الحد معلول الحد ممذوق الود تجود احكامه وتخونه ايامه) وقالت الثالثة (ملك مضياف عظيم الاتلاف يسير الخلاف قليل الانصاف) قالت أم جعفر فانتبهت وانا فزعة فلما كان فى الليلة التى وضعت فيها محمداً دخلن عليّ فى الصورة التى وردن عليّ فيها آنفاً فقعدن

عند رأسي وأطلعن في وجهي ثم قالت أحداهن (شجرة ناضرة وريحانة عبقة وروضة زاهرة) وقالت (الثانية عين غدقة قليل لبنها سريع فناؤها عجل ذهابها) وقالت الثالثة (عدو لنفسه ضعيف بطشه سريع غشه هزال عرشه) قالت فاستيقظت من نومي وأنا فزعة فاخبرت بذلك بعض قهارمتي فقالت بعض ما يطرق النائم وعبث من عبث التوابع فلما تم فصاله أخذت اقامة مرقدي فدخلن عليَّ تلك النسوة ومحمد أمامي في مهده فوقفن على رأسي وأقبلن على محمد فقالت احداهن (ملك جبار متلاف مهدار بعيد الآثار سريع العثار) قالت الثانية (ملك ناطق مخصوم ومحارب مهزوم وراغب محروم وشقي مهموم) وقالت الثالثة (أحفروا قبره ثم شقوا لحده وقربوا أكفانه وأعدوا جهازه فان موته خير من حياته) وكان الامين مضعفَ العقل * ذكر إبراهيم المهدي قال إستأذنت على الامين. وقد اشتدت الحصار عليه من كل جهة فأبوا أن يأذنوا لي بالدخول الي أن كابرت ودخلت فاذا هو قد قطع دجلة بالشباك وكان في وسط القصر بركة عظيمة لها مخترق الى الماء في دجلة وفي المخترق شباك حديد فسلمت عليه وهو مقبل على الماء *والخدم والغلمان قد انتشروا في تفتيش الماء في البركة وهو كالواله فقال لي وقد ثنيت بالسلام عليه لا تؤذيني ياعم قد ذهبت مقرّطتي في الماء من البركة الى دجلة والمقرّطة سمكة كانت قد اصطيدت له

وهى صغيرة فقرّطها بحلقتى ذهب فيهما حبتا دّر فخرجت وأنا آيس من فلاحه وقلت لو ارتدع فى وقت لكان هذا الوقت وكان أصغر سناً من المأمون ولكنه قدم على المأمون فى ولاية العهد لأجل جلالة خاله عيسي بن جعفر وتعصب بنى هاشم له لانه كان ابن أختهم وكان الرشيد أعرف بمن هو أولى منهما بالتقدم ولكنه غلب عليه وكان الرشيد يقول والله انى لأعرف فى عبد الله يريد (المأمون) حزم المنصور ونسك المهدى وعز نفس الهادى ولو شئت أن أنسبه الى الرابع لفعلت يعني نفسه ولكنى أقدم محمداً عليه لاجل زبيدة وميل بنى هاشم لذلك وفي ذلك يقول الرشيد *

لقد بان وجه الرأي لى غير اننى * غلبت على الامر الذى كان احزما
وكيف يرد الدر فى الضرع بعدما * توزع حتى صار نهبا مقسما
أخاف التواء الامر بعد استوائه * وان ينقض الحبل الذى كان أبرما

وفيه يقول الرشيد وبلغه مايتهدد به محمد الامين *

محمد لا تظلم أخاك فانه * عليك يعود البغى ان كنت باغياً
ولا تعجلن الدهر فيه فانه * اذا مال بالاقوام لم يبق باقيا

وقوله (وأخفرت فى الامين العهد) يريد العهد الذى كان أخذه الرشيد للامين على المأمون وللمأمون على الامين حين عقد العهد بينهما فى ذلك وعلقه على الكعبة وكانا كتابين عهد الامين على المأمون وعهد المأمون على الامين بان لايغدر أحدهما بصاحبه

وأخذ عليهما أغلظ الايمان والعهود والمواثيق واستوثق منهما على ماظن وكان أخذه عليهما المواثيق والعهود فى هذا سنة ست وثمانين ومائة * وحكى ابراهيم بن المهدى قال لما أشتد حصار طاهر على الامين خرج من قصر الذهب ليلة وأنا معه حتى صار قرب الصراة فقال لى أما ترى طيب هذه الليلة وحسن القمر وضوءه فى الماء فقلت ان الموضع لحسن فنزل ونزلت معه وأمر بالشراب فوضع بين ايدينا فشرب رطلا وسقانى مثله فغنيت فقال لي تريد من يضرب عليك قلت مااستغنى عن ذلك فدعا بجارية اسمها (ضعف) فتطيرت من اسمها فلما جاءت قال لها غنينا فغنت بشعر النابغة الجعدى *

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأكثر دنيا منك ضرّج بالدم

فاشتد ذلك عليه وعلىَّ وقال لها غنينا غير هذا فغنت *

أبكى فراقهمُ عينى وارّقها * إن التفرق للاحباب بكاء

مازال يعدو عليهم صرف دهرهم * حتى تفانوا وصرف الدهر عدّاء

فقال فعل الله بك وصنع أما تعرفين من الغناء غير هذا قالت ماغنيت الا بما كنت تقترحه أبداً علىّ ثم غنت *

أما وربّ السكون والحرك * ان المنايا كثيرة الشرك

ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء فى الفلك

الا لنقل السلطان من ملك * قد انقضى ملكه الى ملك

وملك ذى العرش دائما أبدا * ليس بفان ولا بمشترك

فتطير من قولها وقال لها أسكتى فعل الله بك وصنع ثم عاد لها فقال ارجعى الى غنائك فغنت *

هم قتلوه كي يكونوا مكانه * كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

فاسكتها وتركها ساعة وأمرها بالغناء فغنت *

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالى والجدود العواثر

فقال لها قومى فعل الله بك وصنع فقامت فعثرت بقدح بلور حسن الصنعة كان بين يديه فكسرته فقال له أما ترى أظن امرى قد قرب فدعوت له بالبقاء فسمعنا قائلا يقول (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) فقال يا ابراهيم أسمعت هذا قلت ماسمعت شيئا فقام وقت فسمعت قائلا يقول *

لا تعجبن من العجب * قد جاء ماينفى العجب

قد جاء أمر فادح * فيه لدى عجب عجب

قال فما قعدت معه بعد ذلك اليوم الى ان قتل وقال كوثر الخادم أمر الامين يوما ان يفرش له بساط على دكان القصر الذى سموه بالخلد فبسط وطرحت عليه النمارق وجلس بين يديه عشر مغنيات فابتدأت واحدة وغنت *

﴿هم قتلوه كى يكونوا مكانه﴾ فلعنها واسكتها

وقال لأخرى غنى فغنت *

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار
نجد النساء حواسرا يندبنه * قد قمن قبل تبلج الاسحار

فزاد ضجره ولعنهما ثم قال للثالثة غنى فغنت (كليب لعمرى كان) البيت فقام من مجلسه وامر بهدم الدكان تطير ما جرى - وكان الامين من اهل الشدة والبطش - يحكى عنه انه اصطبح ذات يوم فادخل عليه اسد فى قفص فقال اشيلوا باب القفص فخرج الاسد وكان الاسد اسود ذا شعر عظيم مثل الثور فزأر وضرب بذنبه الارض فتهارب الناس وغلقت فى وجهه الابواب وبقى الامين وحده جالسا فى موضعه غير مكترث بالاسد فقصده الأسد حتى دنا منه فمد الأمين يده الى مرفقة أرمينية كانت بقربه فامتنع بها منه فمد الأسد يده اليه فجذبه الامين وقبض على أصول أذنيه وهزه ثم رجع به الى خلف فوقع الأسد على قفاه ميتاً وتبادر الناس الى الامين فاذا مفاصل يديه قد زالت من موضعها فأتى بمجبر فردها وجلس كأنه ما صنع شيئاً فشق عن جوف الاسد فوجدوا مرارته قد انشقت فى جوفه * ويحكى عنه أنه لما أراد أن يخلع أخاه المأمون من ولاية العهد ويجعلها لابنه موسى جعل يعتل عليه بأنواع العلل ويظهر للناس أنه يخالف فيما لا ينبغى له خلافه وتشاجرا لأمر بينهما فتكلم الامين مع قواده فى أن

يرسل الجيوش الى أخيه فكلهم أبوا أن يقودوا إليه عسكراً
وقالوا له نتعاهد وقد أخذ علينا البيعة له بعدك فكيف ننكث
بيعته الى أن جاء على بن عيسى بن ماهان من خراسان فوسع له
فى صدر المجلس وأمر أن يبسط له ببساط مجلسه على عوائد
الملوك مع من كانوا يريدون أن يظهروا ترفعه وإظهار النعمة عليه
حتى يمتاز بها عن غيره ممن لا ينتهى الى تلك الدرجة وقال له أنت
كبير القواد وشيخهم وقد أردتك لأمر لم أجد أحداً يستقل
به سواك ولا ينهض به أحد غيرك فقال أنا عند ظن أمير المؤمنين
ومستنفذ من مرضاته جهد طاقتي وغايتى فقال ان أخى قد
خالفنى فى أمور ضاق بها صدرى وقد أقسمت لابد أن يساق الىَّ
فى قيود وقد صنعت قيدا من فضة أجمله فيه لأبرَّ قسمى فتسير
اليه بالجيوش حتى تأتينى به قال نعم يا أمير المؤمنين فتوجه على
ابن عيسى بن ماهان فى مائتى ألف فارس الى الموضع الذى كان
أخوه به وبعث معه قيداً من فضة وقال قيده به وكان المأمون
قد ولاه أبوه على الرى وقال للامين لا سبيل لك الى أخيك ولا
الى هذا الموضع الذى هو فيه بل يكون والياً عليه طول حياته
ولا تنزله عنه فبعث اليه أن تنحى عن الرى حتى أولى عليها من
شئت فأبى عليه المأمون فبعث اليه على بن عيسى بن ماهان
وكتب اليه كتاباً يقول فيه لايحصي عدد جنودى الا من

يحصي عدد هذا الجراب وبعث اليه بجراب قد ملأه سمسما فيقال أن طاهر بن الحسين قال للمأمون أكتب له أن عندى ديكا أعور يلتقطه كله وكان طاهر أعور وقيل انه بعث اليه قفيزا من (جاورس) وكتب اليه من يحصى عدد هذا يحصي عدد جنودى فلما قرأه المأمون على اصحابه قال له الحسين أما إحصاؤه فلا وانما عندى ديك اعور يلتقطه فى يوم ويقال ان طاهرا كان مثال على بن عيسى كان عند رأى ذوبان وكان ذوبان هذا من رجال ملك تلمسان وكان قد وجهه ملكه بهدية الى المأمون وكتب له يقول إنى قد وجهت لك بهدية ليس فى الارض اسنى ولا ارفع ولا انبل ولا افخرمنها فعجب المأمون وقال للفضل بن سهل سل الشيخ وكان الشيخ ذوبان هو الذى ساق الكتاب للمأمون من ملك تلمسان فسأله فقال مامعى شيء اكبر من علمي قال وأىّ شيء هو علمك قال (رأى ينفع وتدبير يقطع ودلالة تجمع) فلما أجمع المأمون على أن يوجهه الى لقاء على بن عيسي بن ماهان قال لذوبان ماترى فى التوجه الى ابن ماهان والى العراق قال (رأى وثيق وامر ونيق وحزم مصيب وملك قريب والسير ماض فاقض ماأنت قاض) قال فمن نوجه قال (الفتى الاعور الطاهرى الاطهر يسير ولايفترقوى مرهوب مقاتل غير مغلوب) قال وكم نوجه معه من الجند قال (اربعة آلاف من

الاسياف لا تنقص من العدد ولا تحتاج الى مدد) فوجه بطاهر بن الحسين قال وفى اى وقت يخرج قال (مع طلوع الفجر يجتمع له الامر ويصير له النصر نصر سريع وقتل ذريع والنصر له لا عليه ثم يرفع الامر لك واليه) قال فظفر طاهر وقتل على بن عيسى بن ماهان قائد الامين واستولى على عسكره وامواله فأمر المأمون الدوبان بمائة الف فلم يقبلها وقال ايها الملك ان ملكي لم يوجهني اليك لأنقصك من مالك فلا تجعل ردي لنعمتك سخطا وسأقبل مايفي بهذا المال ويزيد قال وما هو قال كتاب يوجد بالعراق فيه مكارم الاخلاق وعلوم الآفاق وهو من كتب عظيم الفرس فيه شفاء للنفس به من صنوف الآداب ماليس يوجد فى كتاب عند عاقل لبيب ولا فطن أريب يوجد فى خزائن تحت ايوان بالمدائن يقاس بالذراع فى وسط الايوان لازائد عليه ولا نقصان فاحفر المدر واقطع الحجر فاذا وصلت الى الساجة فأقلعها تجد الحاجة ولا تقصد غيرها فيلزمك من ضيرها فأرسل المأمون الى ديوان كسرى فحفر فى وسطه فوجد صندوقا صغيراً من زجاج اسود عليه قفل منه فحمل الى المأمون فقال لذوبان هذه بغيتك قال نعم أيها الملك قال خذه فاخذه وتكلم بلسانه ونفخ على القفل فانفتح فأخرج منه سرقة ديباج فنشرها فسقط منها أوراق عددها مائة ورقة ولم يكن فى الصندوق شيء غيرها فأخذ الاوراق

وانصرف الى منزله * قال الفضل بن سهل فجئته فسألته فقال هذا كتاب (جاوندبن جرد) تأليف (مهجور) وزير أنوشروان فطلبت منه شيئاً فأعطانى ورقات منه فترجمها على الحضرمي فحملتها الى المأمون فقرأها فقال هـذا الـكلام والله ما نحن عليه من مزلة ألسنتا وخولة تشادقنا ولولا أن العهد جل طرفه بيد الله وطرفه بايدينا لأخذته منه وكتب له بذلك فلم يجاوبه ولما توجه على بن عيسى بن ماهان بالجيوش وأخرج المأمون اليه هزيمة ابن أعين وطاهر بن الحسين فى نحو ثلاثة عشر الف قال لوالده يا أبى تحرس من طاهر اذا وقعت عينه عليك على أن يأتى مستأمنا فلما تجمعا فى أرض واحدة خرج طاهر فى جملة خيل ووقف فى موضع يشرف منه على عسكر على بن عيسى فرأى ما ملأ الارض وهاله كثرة فالتفت الى هزيمة وقال له ما ترى هذا جمع لا قبل لنا به قال هزيمة الرأي ما تراه قال أما أنا فوالله ما رجعت الى صحبي حتى أموت ولا أرجع مهزوما ولكنى أجعلها خارجية أضرب فى عسكرهم بمن معى من أصحابى حتى أموت أو يفتح الله لنا فقال له هزيمة وأنا أفعل مثل ذلك فرجعا الى عسكرهما وانتخبا من أصحابهما نحوا من تسعمائة فارس أكثرهم من الخوارزمية ثم اقتحما بهم فى عسكر على وجعل يشق بهم الناس حتى وصل الى عسكر على ومضربه فخرج اليه عبد أسود وكان

عبـدا لعلى وكان من أنجاد الرجال كالمدافع عن على فرفع طاهر يده على قائم سيفه وضرب الاسود فقسمه قسمين (بذى اليمين) ثم اقتحم على على بن عيسى فقتله ومن ذلك اليوم سمى طاهر ابن الحسين بذى اليمين ـ فلماقتله وانقضى جميع عسكرعلى منهزما أتبعه هو وأصحابه نحو ستة أيام يقتلونهم فى كل موضع ومشى طاهر وهزيمة من حينهما حتى نزلا على الامين ببغداد فحاصراه فلما ضيقا عليـه كتب الامين الى طاهر (الحمد لله الذى يرفع من يشاء بقدرته ويضع من يشاء بحكمتـه الذى يمنع ويعطى ويقبض ويبسط * أحمده على نوائب الزمان وتشتت الاحوال وصـلى الله على نبيه محمد وآله الطيبين الطاهرين * أما بعـد فانى رأيت من الصـلاح الخروج الى أخي من هـذا السلطان فانى أرى له حظا دونى وهو الحـكم فى أمري فاعطنى الامان على نفسي وأمى وولدى وحاشيتى حتى أخرج اليك على حكم أخى راضياً بجوره دون عـدله وانتقامه دون عفوه) فقال طاهر هيهات هلا كان هـذا قبل ضيق الخناق وتفرق الساق لا أفعل ذلك حتي تنزل على حكمي ـ فلما يئس من طاهر كتب اليـه إعلم يا طاهر انه ما قام لنا قائم قط بحق قيمته لأخـذنا الاكان السيف جزاءه منا فانظر لنفسك ودع وقدعلمت مافعل ابو سلمة الخلال فى أول هذا الامر والى ما كان من أبى العباس

ومن أبي مسلم صاحب الدعوة وعلى أي شيء انقضى أمره فقال طاهر وقد كان قوم يضعفون عند الامين ويقولون ان هذا مضعف أما والله لقد قدح في قلبي نارا من الحذر لا يطفيها أمر أبدا * وقد كان يقرأ كتابه على أهل خراسان ويقول ليس بمضعوف ولكنه مذلول ولما يئس من طاهر خطب هزيمة يطلب منه الامان فأعطاه الامان ودخل هزيمة بغداد وخرج الامين لخمس بقين من المحرم فارصد طاهر له الرصائد وكان خروج الامين من بغداد في حراقة فلما حصل فيها بمن معه وعامة دخل اليه أصحاب طاهر في الزوارق فغرّقوا الحراقة واخذوا محمدا وسيق الى طاهر *

وحكى أحمد بن سالم صاحب المظالم قال كنت مع الامين مع من كان معه في الحراقة فأخذت وادخلت بيتا فلما مضى من الليل ساعة أدخل عليّ رجل عريان عليه سراويل وعمامة قد تلثم بها وعلى كتفه خرقة فلما ذهبوا حسر العمامة فاذا هو الامين فبكيت فقال من أنت قلت مولاك احمد بن سالم قال انضم الي يا أحمد فقد استوحشت وجعل يضم اليه الخرقة التي كانت على كتفه فنزعت مبطنة كانت عليّ وطرحتها عليه فقال أرأيت ما فعل أخي يا احمد فقلت حيّ بخراسان فقال لعن الله أصحاب مرو الذين كتبوا اليّ أنه قد مات فقلت بل لعن الله وزراءك فقال لا تقل ذلك فان الذنب

لى فى ذلك أكثر فبينما نحن فى ذلك اذ فتح علينا الباب رجل ودخل فنظر فى وجه الامين وانصرف فاذا هو محمد بن حميد فلما انتصف الليل دخل علينا قوم من العجم بايديهم السيوف فقال (انا لله وانا اليه راجعون) ذهبت والله نفسى أما من حيلة أما من مغيث ثم أخذ وسادة فتترس بها فضربه مولى لطاهر ضربة بسيف فوقعت فى مقدم رأسه وضرب هو ضاربه بالوسادة التى كانت فى يده فالقاه منها على ظهره وبرك عليه ليأخذ منه السيف فصاح من تحته بالفارسية (مرا كشت) ومعناه بالعربية قتلنى فهجم عليه الباقون فاعتوروه سيوفهم وحزوا رأسه وحملوه الى طاهر فاخذه طاهر ووجه به الى المأمون وكتب اليه (قد وجهت اليك بالدنيا والآخرة) فلما وضع الرأس بين يدى المأمون بكى فقال له الفضل ابن سهل احمد الله ياامير المؤمنين بان أراك الله اياه فى حالة كان هو يحب أن يراك فيها فقال أناومحمد كما قال قيس بن زهير فى بنى بدر *

فان كنت اشتفيت بهم غليلا * فلم أقطع بهم الا بنانى

وفى قتله يقول الحسين بن طاهر *

ملكت الناس قهرا واقتدارا * وقتلت الجبابرة الكبارا
ووجهت الخلافة نحو مرو * الى المأمون يبتدر ابتدارا
حصرت المترف المخلوع حتى * تسحب بالدما منه إزارا
فتكت به برغم انوف قوم * ولو نطقوا لصاروا حيث صارا

(وأما جعفر) الذى ذكره فهو جعفر بن المعتصم الملقب بالمتوكل والمكنى بابى الفضل وأمه أم ولد تسمى شجاع وبويع له وهو ابن ست وعشرين سنة وهو العاشر من خلفاء بنى العباس وكانت ولايته سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وولّى بعده اخوه الواثق بالله بن المعتصم * ويحكى عنه انه كان بين يديه احد خواصه يقرأ كتابا من الملاحم فمرّ به ذكر الخليفة العاشر من بنى العباس فرأى انه يقتل فى مجلسه فتوقف القارىء فقال له اقرأ فهاب ان يقرأ فلم يزل به حتى قرأ فوجم لذلك فقال له القارىء أخوك الواثق هو العاشر وما كل هذا يصح قال كيف هو العاشر قال القارى فعددت له فى الخلفاء ابراهيم بن المهدى فطابت نفسه بذلك قال القارىء وفسر علىّ يوما منامه فقال لى كنت أرى دابة تكلمنى فوالله لو كانت بين الف دابة لميزتها فجرى على خاطرى قول الله عز وجل (فأخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم) ثم قلت الدابة عجماء لا تتكلم يدل هذا على أن الله يفتح لك مالم يقدر غيرك على فتحه ـ فلما كان بعد شهور أهديت له هدايا فرأى دابة فقال هذه والله تلك الدابة فقتل بعد أيام *

وكان سبب قتله تقديمه المعتز على المنتصر وقبضه لضياع وصيف التركي ودفعها لفتح ابن خاقان وكان يقول للمنتصر بعد ماولاه العهد انت المنتظر لا المنتصر والله لأخلعنك ولأصيرنها

لاخيك المعتز وكان يأمر عبيده أن تؤذيه حتى وصلوا الى ان سبوا أمه فكان يقول والله لو كانت بعض خدم سواسك لوجب ان تمنع من ذكرها * وكان من جملة ما نقد المتوكل على المنتصر انه أقبل اليه يوما فقام له الناس ولم يقم له المنتصر حتى قرب فأفكر المتوكل ساعة ثم قال *

هم سمنوا كلباً ليأكل بعضهم * ولو أخذوا بالحزم ما سمنوا كلبا

وذكر ابراهيم بن المدبر قال وُصف للمتوكل سيف حديد كان لاصحاب البحرين فوجه من اشتراه بألفى درهم فلما رآه استحسنه فالتفت الى ماعز التركي فقال هذا سيف (وحش) وقد وهبته لك وأمره أن يقف به على رأسه فقتله به - ويقال إنه أخذ ذلك السيف منه وقلده ماعزاً حتى سله لقتله ولما تواطأ المنتصر مع غلمانه على قتل المتوكل قال لذرافة الحاجب التركى انى أريد أن أتحدث معك فى شيء فخرج ذرافة مع المنتصر من الدار فلما خلت الدار من ذرافة الحاجب دخل عليه ماعز التركى وفخر السعدى فقتلا المتوكل والفتح بن خاقان معه - وحكى ابن أبى ربعى أنه رأى فى منامه كأن رجلا ينشد هذين البيتين *

يا عين ويحك أهملى * بالدمع منك وأسبلى

دلت على قرب القيا * مة قتلة المتوكل

ورأى هذا قبل قتله بيسير - وقال صالح بن أحمد سهرت ذات

ليلة ثم نمت فرأيت رجلا يعرج به الي السماء وقائلا يقول *

ملك يقود الى مليك قادر * متفضل بالعفو ليس بجائر

فما أمسى علينا ذلك اليوم حتى ورد علينا قتل المتوكل من (سُرّ من رأى) الى بغداد * وذكر أبو وارث قاضي نصيبين أنه رأى فى المنام قائلا يقول *

يا نائم الليـل فى جثمان يقظان * ما بال عينيك لا تبكى بهتان

ان الليالى لم تحسن الى أحد * الا أساءت له من بعد احسان

أما رأيت صروف الدهر ماصنعت * بالهاشمىّ وبالفتح بن خاقان

فأتى البريد بقتلهما فى تلك الليلة وكان قتله بالجعفرى وهو قصر تأنق فى بنائه وسمى بالجعفرى اضافة الى اسمه ويقال إنه أنفق في بنائه ألف ألف دينار ـ وحكى عن البحترى الشاعر أنه حدث عن قتل المتوكل قال لما كان فى غداة الأربعاء التى قتل في ليلتها الآتية قال للفتح بن خاقان أحب أن نصطبح فأحضرلي المغنيين فلما جلس أحضروا وكان فيهم أحمد بن على بن أبى العلاء فدعى به من بين المغنيين وقال له غن فغناه *

يا عاذلىَّ من الملام دعانى * إن البلية فوق ما تصفان

زعمت بثينة ان رحلتنا غدا * لا مرحباً بغد فقد أبكاني

فنظر المتوكل وقال يا أحمد كيف وقع أن تغني هذا الشعر فشغل قلب ابن أبى العلاء بما أنكر عليه ثم ذهب ليغنى غـيره

فغناه ثانية فقال المتوكل نسأل الله خير هذا اليوم صرفوا المغنيين وقام الى صلاة الظهر فلما فرغ قال الفتح يا سيدى أتمم يومك ما هذا الفكر الردىء فدعى بالشراب ثم قال أين ابن أبى العلاء فقال ويحك يا أحمد ما كان أعجب منك اليوم ماغنيت ذلك الصوت مرتين وقال غنّ فأغمى على قلب ابن أبى العلاء حتى أعاد البيتين بعينهما فاغتم المتوكل غاية الغم فلما كان فى الليلة الآتية من ذلك اليوم قتل ولا يعلم أحد أن أحدا صار خليفة قبل أن يستكمل ثلاثين سنة سوى المتوكل ولا أحد قبل المتوكل يعد عشرة آباء فى الاسلام خلفاء وسلم عليهم بالخلافة ثمانية كل واحد منهم ابن خليفة محمد الواثق وأحمد بن المعتصم وموسى بن المأمون وعبد الله بن الامين وأبو أحمد بن الرشيد والعباس بن الهادى والمنصور ابن المهدى والمنتصر ابنه ولا يعرف امرأة رأت ابنها خليفة جدا ولها ثلاثة أولاد ولاة عهود الا أم المتوكل *

(وروّعت كلّ مأمون ومؤتمن * وأسلمت كل منصور ومنتصر)

المأمون هو عبد الله بن هرون الرشيد ويكنى بأبى العباس كناه بذلك الرشيد وكان يحب أن يكنى بأبى جعفر لجلالة المنصور فى نفوسهم وهو أول من سمى بالمأمون وأمه أم ولد تسمى مراجل وتقلد الخلافة وهو ابن سبع وعشرين سنة وتسعة أشهر لخمس بقين من المحرم سنة تسع وتسعين ومائة وله تسع

وأربعون سنة وهو أول من قال بخلق القرآن من الخلفاء وكان محباً فى لعب الشطرنج وكان يقول : هو فكرىّ يشحذ الذهن ولكنه لم يكن فيه حاذقاً . وكان يقول (أدبر أمر الدنيا فاتسع بذلك - وأضيق عن تدبير سيرين بن شيرين) ومن شعره فى الشطرنج *

أرض مربعة حمرا مدورة * مابين إلفين مخصوصين بالكرم
تذاكرا الحرب فاختارا الهامثلا * من غير أن يأثما فيها بسفك دم
هذا يكرّ على هذا وذاك على * هذا يكرّ وعين الحزم لم تنم

وأما قوله (وروعت كل مأمون ومؤتمن)فذلك انه لما عقد الرشيدالبيعة لابنه محمد الأمين وعبد الله المأمون والقاسم المؤتمن ومات الرشيد وأفضت الخلافة للامين أخافهما وروعهما ورد العهد لولده موسى وسماه الناطق بالحق فكان بينه وبين أخيه المأمون ما قدمنا ذكره فى قصة الامين والمأمون وهو أول من قتل أخاه فى الاسلام على الملك ثم قتل المعتز المؤيد وعبد الله بن محمد من بنى أمية قتل أخويه هشاماً والقاسم وأبو الجيش قتل أخاه وهو أحمد بن طولون وكان يسمى بالامين خنقه بماء يُغلى حتى مات وأبو ثعلب بن حمدان قتل أخاه حمدانا وعبد الله بن زياد قتل اخوته وجده ابراهيم قتل جميع اخوته ونصر بن أحمد صاحب خراسان قتل أخاه صالحا وأخاه زكريا فصالح قتله بعض

خُصاه وأما زكريا فسم ـ وأما أبو عبد الله الزبيري فقتل أخاه يوسف وابراهيم بن الحجاج قتل أخاه سليمان ويحيي بن بكر قتل أخاه خلفا وعباد بن محمد قتل أخاه عبد الله ـ أما المؤتمن فلم يكن له أمر بعهد ولا ولاية وذلك أنه كان فى عهد المأمون اذا أفضت اليه الخلافة ان شاء أمضى عهد المؤتمن وان شاء خلعه فلما أفضت الخلافة الى المأمون أزال المؤتمن عن العهد فروّعه كل الترويع على ذلك وكان السبب فى أن يجعل الرشيد العهد للقاسم وسماه المؤتمن على أن يكون بعد الامين والمأمون لان القاسم كان فى حجر عبد الملك بن صالح وكان عبد الملك بن صالح من رجال بنى هاشم ذا نباهة وجلالة وظهور فى أمره كله حتى كان الرشيد يخافه على الخلافة وسجنه على ذلك فقال صالح بن عبد الملك لو أردتها والله لكانت أسرع إلىَّ من الماء الى الجدور فان كان سجنه لى على أن خلقنى الله على الصورة التى خلقنى عليها من الكمال فمالى في ذلك ذنب وكان عبد الملك بن صالح من أجمل الرجال وأبهاهم ـ وان كان ذلك على علمى فلا أقدر أن أزيله وان كان على عقلى وحب الناس فلست بمذنب في ذلك كله ولا علىَّ فى هذا لائمة ـ فلما عقد الرشيد لمحمد ولعبد الله العهد وعلقه في الكعبة كما ذكرنا كتب اليه عبد الملك بن صالح *

يا أيها الملك الذى * لو كان نجما كان سعدا

للقاسم اعقد بيعة * واقدح له في الملك زندا
الله فرد واحد * واجعل ولاة العهد فردا

فعقد له البيعة بعد أخويه على أن يكون الامر فيه للمأمون اذا أفضت اليه الخلافة ان شاء أقره وان شاء عزله وسماه المؤتمن وولاه الجزيرة والثغور والعواصم فقال عبد الملك *

حب الخليفة حب لا يدين له * عاصى الاله وشأن يلفح الفتنا
الله قلد هارونا سياستنا * لما اصطفاه فأحيا الدين والسننا
وقلد الامر هارون لرأفته * فينا أمينا ومأمونا ومؤتمنا

وكان سبب موت المأمون أنه كان على نهر (البدبدون) مدليا ساقيه في الماء وقال ما رأيت أبرد من هذا الماء ثم ذاقه فقال ما أطيب طعمه ثم التفت الى سعيد بن أصلاب وقال أى شيء يصلح أن يؤكل ثم يشرب عليه من هذا الماء قال يا أمير المؤمنين الرطب الازادى قال وأنى لنا بالرطب الازادى فى هذا الموضع وكان فى بلاد الروم فما استتم كلامه حتى سمع لجم البراذين فالتفت فرأى البريد على أعجازها حقائب فيها ألطاف وفيها رطب أزادى ففتحت أوعية الرطب فحمد الله وأكل وأكل من كان معه فما قام أحد من أكلها الا محموماً فكان ذلك أول علة المأمون ثم تولد للمأمون مادة تنصب الى حلقه وكان دواؤه أن تترك حتى تنضج فتنفتح ففعل ذلك جملة مرات وكان طبيبه ابن ماسويه

فخاف ابن ماسويه على نفسه إذ علم أن تلك العلة لا بُرء لها وأنه ان أخطأ فى علاجها بعض الخطأ هلك صاحبها فعلق به طبيبا آخر يطبه منها فطبه ذلك الطبيب قبل النضج منها فمات المأمون ويقال انه لما خرج فى تلك الغزاة التى مات فى طريقها صاح فى احدى الليالى بغلام اسمه شقير وقال له ويلك من يغنى قال ما يغنى أحد قال شقير ثم قمت فتسمعت فلم أسمع شيئا فرجعت فقلت ما أسمع شيئاً قال بلى والله انه كان يغنى *

ألم تعجب لمنزل ودور * خلت بين المشقر والحرور
كأن بقية الآثار فيها * بقايا الخط من قلم الزبور

واعتل فى اليوم الثالث من هذه الليلة وقال ابراهيم بن المهدى رأيت فى منامى كأن جارية من جوارى الرشيد وفي يدها عود وهى على منبر الرسول تغنى *

سوف يأتى الرسول من بعد شهر * يبـغى الخليفـة المأمونا

فقلت هذه مبشرة فجاء نعيه من بعـد شهر وكان من أعلم خلفاء بنى العباس بعد أبى جعفر المنصور — ويحكى عنه من طيب أخباره أنه تنبأ رجل فى أيامه فقال ليحيي بن أكثم القاضى يا يحيى امض بنا مستترين حتى ننظر الى هذا المتنبي والى دعواه فركبا فى الليل متسترين ومعهما خادم حتى صارا الى بابه وكان مستترا بنبوته فاستأذنا عليه فخرج اذنه فقال من أنتما فقالا رجلان

يريدان أن يسلما على يديك قال ادخلا فدخلا وجلس المأمون عن يمينه ويحيى عن يساره فقال له المأمون الى من بعثت قال الى الناس كافة قال فيوحى اليك أم ترى فى المنام أم ينكت فى قلبك قال بلى أُناجى وأكلَّم قال ومن يأتيك بذلك قال جبريل قال فمتى كان عندك قال قبل أن تأتيانى بساعة قال فما أوحى اليك قال أوحى اليَّ أنه سيدخل عليك رجلان فيجلس أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك والذى يجلس عن يسارك ألوط خلق الله قال له المأمون أشهد أن لااله الا الله وأنك لست برسول الله وكان يحيى يُعزى الى ماقال عنه ذلك المتنبي — ويحكى عنه أن المأمون داعبه يوما فقال له وهو يعرض له باللواط يا يحيى من الذى يقول :

قاض يرى الحد فى الزنا * ولا يرى على من يلوط من بأس

فقال له الذى يقول :

ما أرى الجور ينقضى وعلى الامة وال من آل عباس

ويقال عن المأمون انه شرب يوما ومعه القاضى يحيى بن أكثم فمال الساقي على القاضى حتى وقع سكران فأمر المأمون أن يلقى عليه الورد والرياحين حتى يدفن فيها كأنه ميت وصنع بيتى شعر وقال لمغنيه خذ العود وغن على رأسه *

ناديته وهو حيٌّ لا حراك به * مزمل فى ثياب من رياحين

فقلت قم قال رجلى لاتطاوعنى * فقلت خذ قال كفى لا تواتينى

فاستيقظ يحيي لرنة العود والجارية تغنى بالبيتين فقام وقال

ياسيدى وامير الناس كلهم * قد جار فى حكمه من كان يسقينى
سقانى الراح لم تمزج سلافتها * حتى بقيت سليب العقل لا الدين

والمأمون اول خليفة ولى الخلافة مرتين فانه ولاه الرشيد العهد وبايعه الناس ثم خلعه الامين ثم غلب على الامين وبايعه الناس ثانية وكان للمأمون أخبار ظراف وكان من اهل العلم الفائق والادب البارع الذى لايكاثره احد فيه الا كاثره ومن ذلك قصته مع (بوران) بنت الحسن بن سهل واسمها خديجة وكانت من اهل الادب — حكى اسحاق ابن ابراهيم بن ميمون الموصلى قال قال لى المأمون يوما هذا يوم سرور — ثم قال للغلمان خذوا علينا الباب واحضرونا الشراب فبقينا بقية يومنا فى انس وشرب فلما كان الليل قال يا اسحق انى اريد الصبوح فكن بمكانك حتى ادخل الى الحرم واخرج اليك فلما استبطأت خروجه قلت اشتغل وغلب عليه النبيذ ونسينى وكانت عندى صبية بكر كنت اشتريتها فتطلعت لها نفسى فقال لى العبيد قد انصرف عبدك بدابتك فمشيت على رجلى فلما صرت ببعض الطريق احسست بالبول فعدلت عن الطريق فلما اردت ان أتمسح ببعض الحيطان اذا بشىء معلق من حائط واذا بزنبيل كبير معلق قد البس بالديباج وفيه اربعة احبل ابريسم فقلت ان له امر

فتجاسرت وجلست فيه فلما احس بثقله جذب واذا باربع جوار يقلن بالرحب والسعة أصديق عتيق أم جديد فقلت بل جديد فسارت احداهن بين يدى حتى أدخلتنى الى مجلس لم ارمثله فجلست فى ادنى مجالسه واذا بوصائف بايديهن الشمع والمجامر يتبخر فيها العود وبينهن جارية كالبـدر الطالع ذات دلّ وشكل فنهضت لدخولها فقالت مرحبا بالضيف ثم رفعتنى وسألتنى عن دخولى فقلت عن غـير ماقصد قالت فما السبب قلت انصرفت من بعض الاصحاب فلمارأيت ذلك الزنبيل حملنى النبيذعلى الدخول فيه قالت فما صناعتك قلت بزاز قالت ومولدك قلت بغداد قالت ومن اىّ الناس انت قلت من اوسطهم قالت حياك الله هل رويت من الاشعار شيئاً قلت شيء ضعيف قالت فذاكرنى قلت ان للداخل دهشة ولكن ابدئى فالشيء بالمذاكرة قالت لعمرى انه كذلك فهل تحفظ قصيدة فلان التى يقول فيها كذا وكذا ـ ثم انشدتنى لجماعة من الشعراء القدماء والمحدثين وانا استمع وانظر من اىّ احوالها أعجب أمن حسنها ام حسن انشادها ام حسن ادبها ام ضبطها للغريب من النحو واللغة ثم قالت قد ذهب عنك بعض الحصر قلت ان شاء الله لقد كان ذلك قالت فانشدنى فانشدتها فجعلت تسألنى عن اشياء تمر فى الشعر كالمختبرة ثم قالت والله مانصرت ولاتوهمت فيك مثل هذا ولا رأيت فى ابناء التجار مثلك فكيف معرفتك بالاخبار وايام الناس قلت

نظرت فى شيء من ذلك ثم امرت فاحضر الطعام فلما اكلنا احضرت
النبيذ ثم شربت قدحاً وقالت هذا اوان المذاكرة فاندفعت فقلت
بلغنى كذا وكذا وكان رجل من قصته كذا كذا فسّرت بذلك
وقالت ليس هذا من امر التجار وانما هي من احاديث الملوك قلت
انه كان لى جار ينادم بعض الملوك فكنت ادعوه فى بعض الاوقات
الى منزلى فما تسمعين فمن عنده اخذته قالت يمكن هذا فقالت لو
كان عندك شيء واحد لكنت كاملا تحرك بعض الملاهي لو تترنم
قلت لا احسن من هذا شيئاً على انى مولع بسماعه قالت ياجارية
احضرى عودا فضربت فاحسنت وغنت غناء بديعاً ثم قالت هذا
الغناء لاسحق وقد كنت كتمت عنها نفسى فلم تزل على ذلك
حتى اذا كان عند الفجر قالت (المجالس بالامانات) ثم انصرفت
فاخذت واخرجت الى باب صغير فانتهيت الى دارى فارسل
المأمون عنى فمشيت اليه وبقيت عنده الى وقت البارحة ودخل
المأمون الى حرمه وقال لى لاتبرح فلم اصبر فخرجت الى ذلك
الموضع ودخلت فى الزنبيل فلما أطلعت قالت ضيفنا قلت نعم
وما اظن انى ثقلت قالت مادح نفسه يقريك السلام قلت هفوة
فمنى بالصفح قالت فعلنا ولا تعد — فلما كان الصباح صنعت صنيعها
البارحة واخرجت فمشيت الى المأمون فقال لى اين كنت فاعتذرت
اليه فلما كان الليل فعل كفعله البارحة وصنعت كذلك فلما دخلت

فى الزنبيل ووصلت اليها قالت ضيفنا قلت اى ها الله قالت أجعلتها دار اقامة قلت الضيافة ثلاث فان رجعت فانت من دمي فى حل قالت ولك هذا فلما كان عند ذلك الوقت أفكرت فى المأمون وعلمت انه لا يخلصنى منه الان اخبره الخبر وعلمت من شغفه بالنساء انه يطالبنى بالمشى اليها فقلت لها جعلت فداك أتأذنين فى ذكر شىء حضر قالت قل قلت اراك ممن يحب الغناء ويعجب بالادب ولى ابن عم هو من أهل الحسن والادب والغناء وهو أعرف الخلق بغناء اسحاق الذى سمعتك تثنين عليه وكانت اذا غنت تقول هذا لاسحق قالت (طفيلى ويقترح) قلت إنما ذكرت ذلك لك وأنت المحكمه قالت فان كانت كما ذكرت فما نكره أن نعرفه قلت فالليلة قالت نعم – ثم انصرفت على عادتى فما وصلت دارى حتى أتانى رسول المأمون فمشيت اليه فاذا هو حنق علىّ فقال يا اسحاق آمرك بشيء ثم لا تقف عنده وكان لا يدخل حرمه حتى يأمرنى بانتظاره فأتذكر مجالسة تلك الجارية فأنسى عقوبته قلت لى قصة أحتاج فيها الى خلوة فأومأ الى من كان واقفا فتنحوا قلت كان من خبرى كيت وكيت فلما فرغت من كلامي قال أتدرى ما تقول قلت نعم قال فكيف لى بمشاهدة ذلك الموضع قلت قد علمت أنك تطالبنى بهذا وقد قلت لها لى ابن عم من صفته كذا ومن حديثه كذا ثم جلسنا على عادتنا فى الايام الخوالى نشرب

وهو يسألني عن حديثها فلما جاء الليل سرنا الى ذلك الموضع وقد
قلت له دعني من نخوة الخلافة وكن كأنك تبع لي قال نعم فلما
وصلنا الى ذلك الموضع لقينا زنبيلين فدخل في واحد ودخلت
في الآخر ـ فلما سرنا الى البيت جلست في صدره وجلس المأمون
تحتي فلما أتت قالت حيا الله ضيفنا بالسلام ثم رفعت مجلسه وقالت
لي هذا ضيف وأنت من أهل البيت ولكل جديد لذة وقعد المأمون
في صدر المجلس وأقبلت نحوه تحدثه وهو يأخذ معها في كل فن
فيسكتها ويفحمها فالتفتت الىّ وقالت وفيت بوعدك ثم أحضرت
النبيذ وجعلنا نشرب وهي مقبلة عليه ثم قالت وابن عمك هذا
من أولاد التجار قلت نعم قالت انكما لغريبان في أولاد التجار
إن حديثكما وأدبكما لمن حديث الملوك وليس للتجار هذه المنزلة
في الاحاديث والادب ثم قالت لي (موعدك) قلت لعمري انه ليحب
ولكن حتى يسمع شيئا قالت ولك ذاك ـ ثم أخذت العود وغنت
فشربنا عليه رطلا ثم ثانيا ثم ثالثا وفي كل ذلك نشرب فلما شرب
المأمون ثلاثة أرطال ارتاح وطرب وكان الصوت الثالث مما يقترحه
عليّ أبدا المأمون فلما سمعه وقد داخله السكر نظر اليّ نظرة
الاسد الى الفريسة وقال يا اسحق غنيني هذا الصوت فلما رأتني
قد أخذت العود ووقفت بين يديه أغنيه علمت أني اسحاق وأنه
المأمون فنهضت فقال لها ههنا وأومأ الي كلة مضروبة فدخلتها

فلما فرغت من ذلك الصوت قال يااسحق انظر من صاحب هذه الدار فقلت لتلك العجوز التي كانت تخرجني من الباب الصغير من صاحب هذا المنزل قالت الحسن بن سهل قلت ومن هذه قالت ابنته بوران فرجعت فأعلمته فقال عليّ به الساعة فأحضرته فوقف بين يديه فقال لك بنت قال نعم يا أمير المؤمنين قال زوجنيها قال هي أمتك وأمرها اليك قال فاني تزوجتها على ثلاثين ألفا نحملها اليك صبيحة غد فاذا نفذ اليك المال فاحملها الينا قال نعم يا أمير المؤمنين ثم نهض ففتح الباب وخرجنا فلما صرنا الى الدار قال يا اسحاق لا يقفن أحد على ما وقفت عليه فان المجالس بالامانات فقلت يا أمير المؤمنين ومثلي يحتاج الى وصية بهذا فلما أصبحنا أمر بحمل المال اليه ونقلت اليه من يومها قال اسحاق فما فهت بالخبر الا بعد موت المأمون *

وذكر انه لما اراد ان يعرّس بها امر ان تخرج الفساطيط والابنية وتضرب على ضفة الدجلة فى موضع منخفض وخرج وجوه الناس لحضور ذلك العرس وعامة الناس للتنزه وكانت النفقة من عند الحسن بن سهل على كل من حضر فيقال انه كان الانفاق فيه على جميع الناس وكان عدد الملاحين منهم خاصة اصحاب الزوارق والزّلاليات وما شاكلها الذين كانوا حملوا الناس فى مراكبهم الى ذلك الموضع نيفا على عشرة آلاف ملاح سوى سواد الناس

ويذكر انه لما بسطت القبة التى دخل فيها المأمون على بوران خيّر الحسن الخاصة ممن حضر ذلك العرس بين مائة دينار وحلة أو قبضة من ارض تلك القبة فيقال ان القابض بكفه من ارض القبة كان ارجح ممن اخذ مائة دينار وحلة فانه ربما كان يخرج فى قبضته حجر ياقوت او حجر زمرّد اودرة نفيسة تساوى اضعاف ذلك العدد وهو اول من تسمى بالمأمون وتسمى به بعد ذلك ولد المعتمد بن عباد وتسمى به يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة ويحكي أنه بنى قصراً بطليطلة تأنق فى بنائه وأنفق فيه مالاً كثيراً وصنع فيه بحيرة و بنى فى وسطها قبة وساق الماء الى رأس القبة على تدبير أحكمه المهندسون وكان الماء ينزل من أعلى القبة حواليها محيطا بها متصلا بعضه ببعض فكانت القبة فى غلالة من الماء الذي ينسكب بلا فتور والمأمون بن ذى النون قاعد فيها لايمسه من الماء شىء ولو شاء أن يوقد فيها الشمع لفعل فبينما هو نائم فيها اذ سمع منشداً ينشد *

أتبنى بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها لوعقلت قليل

لقد كان فى ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل

فلم يلبث بعد ذلك الا يسيراً حتى قضى نحبه * وأما المؤتمن فأول من تسمى بهذا الاسم (على قول من قال إن بنى امية كانت لهم القاب يُسمون بها كما كان لبنى العباس) فروان بن الحكم ابو عبد

الملك قيل إنه كان تسمى بالمؤتمن وكان لما قتل الضحاك بن قيس الفهري بمرج راهط قال له اصحابه ألا لاتتخوف عليك الا خالد ابن يزيد بن معاوية فتزوج امه فانك تكسره بذلك ففعل فتكلم يوما خالد فى بعض الامر فقال له مروان ياابن الربطة وكان مروان فحاشا فدخل خالد على امه يبكي وشكالها ماقاله مروان فقالت له لاعليك لايقول لهالك والله بعد ـ فلمادخل عندها مروان امرت خدمها ان يضعن المخاد على فمه حتى مات * ثم القاسم بن الرشيد ولاه ابوه العهد بعد اخويه الامين والمأمون وخلعه الامين حين خلع اخاه المأمون ـ ثم لما قتل المأمون الأمين خلع المؤتمن خلعا لم يبق له فى الخلافة رسما وتسمى بالمؤتمن ايضا محمد بن ياقوت وياقوت هذا مولى المعتضد ثم كان صاحب فارس محمد ابنه الذي تسمى بالمؤتمن وتسمى به ايضا سلامة اخو (نجح الطولونى) ثم تسمى به ايضا عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن ابى عامر ثم تسمى بالمنصور وبه شهر وأما قوله (واسامت كل منصور ومنتصر) فان اول من تسمى بهذا الاسم على الرواية المتقدمة هشام بن عبدالملك ومات من ذبحة اصابته *وذكر عنه انه لم يكن في بنى امية بعد معاويه وعمر بن عبد العزيز أقرب منه الى العدل * ويحكى عنه من انقياده انه رافعه ابرهيم بن محمد بن طلحة الى القاضى فلماحضر القاضى حكم عليه بما ثبت عليه فلم يأب ذلك ولا رده * وذكر عنه انه خرج الى

الحج وحملت ثياب لباسه على ستمائة جمل ولما مات لم يكن معه ثوب يكفن فيه وبقى حتى أنتن أو قارب وسبب ذلك انه كان بينه وبين الوليد بن يزيد وهو الذي تسمى بالجبار العنيد وحشة شديدة وكان الخليفة بعده فلما افضي الامر الى الوليد قبض على المفاتيح وتركه كما ذكرنا حتى كلم في تكفينه فأمر له بكفن * ثم تسمى بالمنصور ابو جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ثم تسمى به ابو الطاهر اسماعيل بن ابى القاسم بن عبد الله الشعبي وادعى انه علوى النسب وتسمى بامير المؤمنين ولم يكن من اولاد على رضى الله عنه وانما كان ابو الطاهر بن ابى القاسم ابن عبد الله بن سالم بن بندار صاحب شرطة زياد وسالم جدهم قتله المهدى على الزندقة ثم تسمى به محمد بن ابى عامر بالاندلس ثم زيرى بن زيرى الصنهاجى وكان فى عهد محمد بن أبى عامر وكان بينهما قتال كثير كان زيرى بنواحى فاس من أرض العدوة ومن العجائب أن زيرى هذا كان له أزيد من ألفى امرأة فى زمان واحد كل له محرم ومن الرجال كذلك ثم تسمى به سابور صاحب بطليوس أيضاً ثم تسمي به هود بن يحى (صاحب سرقسطة) ثم ابن الافطس ببطليوس أيضا وكان أخا المتوكل من بنى الافطس ثم عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبي ثم حفيده يحى بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن أبى عامر وقد تقدم اسمه فى خبر

المؤتمن فانه كان تسمى بالمؤتمن ثم تسمى بعده بالمنصور ثم هود بن يحى بن هود صاحب سرقسطة واذ قد ذكرنا كل من تسمى بهذا الاسم فلنرجع الآن الى ذكر أبى جعفر المنصور الذى هو أعلاهم قدرا وقد ذكر أيضاً انه تسمى بهذا الاسم سعون بن حمود البرغواطى صاحب سبته *وروى عن المنصور أنه قال رأيت كانى حول الكعبة فنادى مناد من جوف الكعبة أبا العباس فنهض أخى فدخل الكعبة ثم خرج وبيده لواء قصير فمضى ثم نادى مناد يا عبد الله فنهضت أنا وعمى عبد الله بن على نبتدر فلما استوينا على الدرجة العليا دفعته عن الدرجة فهوى ودخلت الكعبة فاذا برسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فعقد لى لواء طويلا على قناة طويلة وقال خذها حتى تقاتل بها الرجال وأبو جعفر هذا أول من قتل فى الاسلام عمه على الملك عبد الله بن على ثم المعتضد حرق عمه عيسي ثم قتل عمه المعتمد ثم الحكم الربضى قتل عميه سليمان ومسلمة ثم عبد الرحمن الناصر قتل عمه العاصي والمغيرة بن عبد الرحمن الناصر قتله هشام المؤيد والقاسم بن على ابن حمود قتله ابن أخيه ادريس وزيادة الله قتل جميع أعمامه ثم حيش بن أبى الحيش قتل عمه مضر وهارون بن أبى الحيش قتل عمه ربيعه ثم ناصر الدوله بن حمدان قتل عمه أبا العلاء ثم حماد بن بلعين الصنهاجى قتل عمه ماكس ثم عباد بن محمد قتل عمه

وأبو جعفر المنصور أول من قتل فى الاسلام على الملك ابن أخيه قتل محمد بن السفاح ثم المعتصم قتل العباس بن المأمون بالمرازب ثم القاهر قتل ابن أخيه أبا أحمد بن المكتفى بعصر حصيبه ثم عبد الرحمن بن معاوية الداخل بالاندلس قتل ابن أخيه المغيرة بن الوليد ثم محمد بن أبى عامر قتل ابن أخيه هرون وكان المنصور من أهل العلم البارع فى جميع الاشياء * حدث عنه شبيب بن شيبة الاهتمى قال حججت العام الذى هلك فيه هشام وولى الوليد بن يزيد وذلك سنة خمس وعشرين ومائة فبينا أنا مرتج ناحية من المسجد اذ طلع من بعض أبوابه فتى أسمر رقيق اللون موفر اللمة خفيف اللحية رحب الجبهة أقنى بين القنا كأن عينيه لسانان ناطقان يخلط أبهة الاملاك بزىّ النساك تقبله القلوب وتتبعه العيون يعرف الشرف فى تواضعه والعتق فى صورته واللب فى مشيته فما ملكت نفسي أن نهضت فى أثره سائلا عن خبره وسبقنى فأحرم بالطواف فلما سبع قصد المقام فركع وأنا أرعاه ببصرى ثم نهض منصرفا فكأن عينا أصابته فكبا كبوة دميت لها أصبعه فقعد لها القرفصاء فدنوت منه متوجعا لما ناله متصلا به أمسح رجله من عفر التراب فلا يمتنع علىّ فشققت حاشية ثوبى فعصبت بها أصبعه وما ينكر ذلك ولا يدفعه ثم نهض متوكئا علىّ وانقدت له أماشيه حتى أتى

دارا بأعلى مكة فابتدره رجلان يكاد صدورهما تنفرج من هيبته ففتحا له الباب فدخل واجتذبني فدخلت بدخوله ثم خلى يدي وأقبل على القبلة فصلى ركعتين أوجزهما من تمام ثم استوى في صدر مجلسه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي أتم صلاة وأطيبها ثم قال لي لم يخف عليَّ مكانك منذ اليوم ولا فعلك ممن تكون رحمك الله فقلت شبيب بن شيبة التميمي قال الاهتمي قلت نعم قال فرحب وقرب ووصف قومي با بين بيان وأفصح لسان فقلت له أنا أجلك (أصلحك الله) عن المسألة واحب المعرفة فتبسم وقال (لطف أهل العراق) أنا عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فقلت له بأبي أنت وأمي ما أشبهك بنسبك وأدلك على منصبك ولقد سبق الى قلبي من محبتك مالا أبلغه بوصفي لك قال فأحمد الله يا أخا بني تميم فانا قوم انما يسعد الله من أحبنا بحبه ويشقى من أبغضنا ببغضه ولن يصل الايمان الى قلب أحدكم حتى يحب الله ورسوله وأهل بيته وكلما ضعفنا عن جزائه قوى الله على أدائه فقلت له أنت توصف بالعلم وأنا من حملته وأيام الموسم ضيقة وشغل أهلها كثير وفي نفسي أشياء أحب أن أسأل عنها أفتأذن فيها قال نحن من أكثر الناس مستوحشون وأرجو أن تكون للسر موضعا وللامانة راعيا فان كنت كما رجوت فافعل قال فقدمت من وثيق القول والايمان

ما سكن اليه فتلا قول الله تعالى (قل أيّ شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم) ثم قال سل عما بدا لك قلت ماترى فيمن على الموسم وكان عليه يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي خال الوليد فتنفس الصعداء وقال عن الصلاة خلفه تسألني أم كرهت أن يؤم آل رسول الله من ليس منهم قلت عن كلا الامرين قال ان هذا عند الله لعظيم فأما الصلاة ففرض الله يتعبد به خلقه فأد ما فرض عليك فى كل وقت ومع كل أحد وعلى كل حال فان الذي قرّبك لحج بيته وحضور جماعته واعياده لم يخبرك فى كتابه أنه لا يقبل منك نسكا الا مع أكمل المؤمنين ايمانا رحمة منه بك ولو فعل ذلك لضاق الامر عليك فاسمح يُسمح لك قال ثم سألته عن أشياء من أمر ديني فما احتجت أن أسأل عن أمر ديني أحداً بعده. ثم قلت يزعم أهل العلم انه ستكون لكم دولة قال لاشك فيها تطلع طلوع الشمس وتظهر ظهورها فنسأل الله خيرها ونعوذ به من شرها فاحفظ لسانك ويدك منها اذا أدركتها قلت أو يتخلف عنها أحد من العرب وأنتم سادتها قال نعم قوم يأبون الا وفاء لمن اصطنعهم ونأبى نحن الا طلبا لحقنا فننصر ويخذلون كما نصر بأولنا أولهم قال فاسترجعت فقال سهل عليك الامر (سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا) وليس ما يكون منهم بحاجز لنا عن صلة أرحامهم وحفظ أعقابهم وتجديد الصنيعة عندهم

قلت وكيف تسلم لهم قلوبكم وقد قاتلوكم قال نحن قوم حبب الينا الوفاء وان كان علينا وبغض الينا الغدر وان كان لنا فأما أن صاروا دولتنا ونقباء شيعتنا وأمراء جيوشنا فهم مواليهم وموالى القوم منهم فاذا وضعت الحرب أوزارها صفحنا للمحسن عن المسيء ووهبنا للرجل قومه ومن اتصل بأسبابه فتذهب النائرة وتخبو الفتنة وتطمئن القلوب قلت ويقال انه يبتلى بكم من اخلص لكم المحبة قال قد روى أن البلاء أسرع الي محبنا من الماء الى قراره قلت لم أرد هذا قال فمه قلت تنئون الولى وتحظون العدو قال من يسعد بنا من أوليائنا أكثر وانما نحن بشر وأكثرنا أذن ولا يعلم الغيب الا الله وما أنكر أن يكون الامر على ما بلغك فان مع الولى التعزز والادلال والثقة والاسترسال ومع العدو التحرز والاحتيال والتذلل ولربما أمل المدل وأخل المسترسل وانك لسئول يا أخا بنى تميم قلت انى أخاف أن لا أراك بعد اليوم قال أرجو أن أراك وترانى كما تحب عن قريب ان شاء الله تعالى قلت عجل الله ذلك قال آمين قلت ووهبنى السلامة منكم فانى من محبيكم قال آمين وتبسم وقال لا بأس عليك ما أعاذك الله من ثلاث قلت ماهن قال قدح في الملك وهتك فى الدين أو تهمة فى حرمة — ثم قال احفظ عنى ما أقول لك لاتجالس عدونا وان أحظيناه فانه مخذول ولا تخذل ولينا فانه منصور واصحبنا بترك

المما كره وتواضع اذا رفعوك وصل اذا قطعوك ولا تخبط الاعمال ولا تتعرض للاموال وأنا رائح من عشية فهل من حاجة فنهضت لوداعه ثم قلت له أتوقت لظهور الامر قال الله الموقت وقد قامت النوحتان بالشام وهما آخر العلامات قلت وما هما قال موت هشام العام وموت محمد بن علي لآخر ذى القعدة وعليه تحلقت قلت فهل أوصى قال نعم الى أخي ابراهيم قال فلما خرجت اتبعني مولى له بكسوة وقال لي يقول لك أبو جعفر خذ هذه فصل فيها قال وافترقنا فوالله ما رأيته الا وحرسيان قابضان على يديه يدنياني في جماعة من قومي لأبايعه فلما نظر إلى أثبتني فقال خليا عمن صحت مودته وتقدمت خدمته وأخذت قبل اليوم بيعته قال فاكبر الناس ذلك من قوله ثم قال أين كنت عني أيام أخي أبي العباس فذهبت أعتذر فقال أمسك فان لكل شيء وقتا لا يعدوه فاختر بين رزق يسعك أو عمل يرفعك قلت أنا حافظ لوصيتك وانا لها أحفظ انما نهيتك ان تخطب الاعمال ولم انهك عن قبولها قلت الرزق مع قبول أمير المؤمنين أحب الي قال هو اجم لقلبك وأحب الي لك ثم قال هل زدت بعد في عيالك شيئا وقد كان سألني عنهم فذكرتهم له فعجبت من حفظه قلت الفرس والخادم قال لقد ألحقنا عيالك بعيالنا وخادمك بخدمنا وفرسك بافراسنا ولو وسعني لتخليت لك عن بيت المال وقد ضممتك الى المهدى

وانا موصيه بك فانه افرغ لك منى - ورأى أبوجعفر قبل موته بيسير اعاجيب كثيرة ومواعظ مؤذنة بالهلاك من ذلك أنه لما دخل أحد منازل نزله فى طريق مكة نظر فى صدر البيت الذى نزله فاذا فيه مكتوب *

أباجعفر حانت وفاتك وانقضت * سنوك وأمر الله لابد واقع
أبا جعفر هل كاهن أو منجم * لك اليوم من حر المنية مانع

فدعا بالمتولى لاصلاح المنازل فقال له ألم آمرك أن لا يدخل أحد الدعاة هذا المنزل قال والله يا أمير المؤمنين ما دخلها أحد منذ فرغ منها قال فاقرأ ما فى صدر البيت قال ما أرى فيه مكتوبا فالتفت الى حاجبه فقال اقرأ لى آية من كتاب الله تشوقنى الى لقائه فقرأ (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) فقال أما وجدت آية تقرأها غير هذه الآية - وذكر عنه أنه رأى فى منامه كأن منشداً ينشد هذه الابيات *

أما ورب السكون والحرك * ان المنايا كثيرة الشرك
عليك يانفس ان أساءت وان * أحسنت كان كل ذاك لك
ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء فى الفلك
الا لنقل السلطان من ملك * اذا انقضى ملكه الى ملك
حتى يصيرانه الى ملك * ما عز سلطانه بمشترك
ذاك بديع السماء والارض * ومرسى الجبال مسخر الفلك

ثم رأى بعد ذلك أيضاً *

أخي خفض منـاكا * كأن يومك قد أتاكا
ولقد أراك الدهر من * تصريفه لك ما أراكا
فاذا رأيت الناقص المهـ * ـد الذليل فأنت ذاكا
ملكت ماملكتـه * والامر فيه الى سواكا

وذكر عنه أنه كان جالساً في مجلس من أعلى باب خراسان اذ جاءه سهم غاير فسقط بين يديه فذعر لذلك وجعل يقلبه واذا بين الريش مكتوب

أتطمع في الحياة الى المعاد * وتحسب أن مالك من نفاد
ستسأل عن ذنوبك والخطايا * وتسأل بعد ذاك عن العباد

ثم قرأ عند الريشة الثانية *

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وساعدتك الليالي فاغتررت بها * وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ثم قرأ عند الريشة الثالثة *

هي المقادير تجرى في أعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال
يوم تريك أذل الناس مرتفعاً * الى السماء ويوما تخفض العالي

واذ على السهم مكتوب — هذا رجل مظلوم في حبسك فبعث من فوره من فتش الحبوس والمطابق فوجدوا شيخا في بيت من الحبس بسراج مسرج واذا الشيخ موثق بالحديد متوجه نحو القبلة وهو يردد قوله تعالى (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب

ينقلبون) فسألوه ممن هو قال من (همذان) فحمل حتى وضع بين يدي المنصور فسأله عن حاله فأخبره أنه رجل مظلوم من أهل همذان وأرباب نعمها وان واليها بلغه أن لي ضيعة تغل ثمانين الف الف درهم فأراد أخذها مني فامتنعت فكبلني في الحديد وكتب اليك إني عاص فطرحت في هذا المكان فقال له منذ كم قال منذ أربعة أعوام فأمر بفك قيوده والاحسان اليه وأنزله أحسن منزل وزوده وقال قد رددت عليك ضيعتك بخراجها ما عشت وعشنا وقد وليناك مدينة همذان وأطلقنا حكمك على الوالي فجزاه خيراً ودعا له بالبقاء وقال يا أمير المؤمنين أما الضيعة فقد قبلتها وأما الولاية فلا أصلح لها وأما الوالي فقد عفوت عنه فأمر له المنصور بمال وحمله الى بلده مكرماً بعد أن ضرب الوالي وعاقبه على ما فعل وجنى وعلى خروجه عن سنة العدل وسأل الشيخ مكاتبته في مهماته وأخبار بلده وما يكون من ولاة الخراج ـ ولما رأى أبو جعفر ما رأى من تلك العجائب المنذرة بالهلاك قال لحاجبه الربيع بن يونس يا ربيع اني أتخوف على هذا الامر قال له من يا أمير المؤمنين أتعني عيسى بن موسى وهو معك بالحضرة فأمرني فيه بأمرك حتى أنفذه فقال يا ربيع ان عيسى بن موسى ما أعطى الله عهدا الا وفى به وانما أتخوف صاحب الشام عبد الوهاب بن ابراهيم الامام ثم رفع يديه الى السماء فقال اللهم

اكفنى عبد الوهاب * قال الربيع فلما مات المنصور ودفنته فى
قبره وعرصت عليـه الحجارة سمعت هاتفا يهتف من القبرمات
عبد الوهاب وأجيبت الدعوة قال الربيع فهالني ذلك الصوت
وجىء بالخبر من بعد سادسه أو سابعه بوفاة عبـد الوهاب *
وأما المنتصر فهو محمد بن المتوكل ويكنى بابى جعفر وأمه أم ولد
تسمى حبشية قال ابوعلى حدثنى جحظة • قال قالت حبشية بات
عنـدى المتوكل ليلة وخرج نصف الليل فغلبتنى عينى فرأيت
انسانا فى النوم وهو يقول لى يا حبشية حملت والله بأشأم خلق
الله فكان المنتصر وهو الذى قتل أبوه بأمره وكان الناس
يتلاقون وقت خلافة المنتصر فيقول بعضهم لبعض والله لاعاش
بعـده الا ستة أشهر كما عاش شيرويه بن كسرى حين قتل أباه
فكان كذلك ـ وحكى أن احمـد بن الخصيب خرج فى بعض
الايام فرحا مسرورا فقال إن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه رأى
فى منامه ليلة من الليالى كأنه صعد درجة حتى انتهى الى خمس
وعشرين مرقاة ثم قيل له قف هذا آخر عمرك فتأولها بن الخصيب
أنها الخلافة وانما كانت جميع عمره فعاش بعد ذلك أياماً ومات
فحسبوا عمره فوجدوه قد أكمل خمساً وعشرين سنة ويقال انه
بسط له بعد موت أبيه بساطا كان من أحسن البسط ليجلس
عليه فلما استقر على البساط نظر فاذا على البساط صورة مصورة

كأحسن ما يكون وعليها كتابه فقرئت فاذا فيها هـذه صورة فلان بن فلان قتل أباه فما عاش بعده الا ستة أشهر فداخله خوف عظيم بسبب ذلك فلما أكمل ستة أشهر بعد قتل أبيه حدث به ورم فى انثييه من نزلة حادة فمات بعد ثلاثة أيام من حدوثها ـ وقيل وهو الاكثر انه وجد فى بدنه حرارة ففصد بمبضع مسموم فمات * ومن العجائب أن الطبيب الذى فصده احتاج بعد ذلك بأيام قلائل الى اخراج الدم فامر تلميذه بفصده فأخرج له مباضع متعددة وفيها ذلك المبضع المسموم وكان نسيه وفصده به التلميذ فمات من حينه ـ وقيل بل سبب موته أنه أصابته علة فى رأسه واشتدت عليه فقطر الطبيب ابن طيفور في اذنه دهنا فورم رأسه ومات منه وقيل بل سم فى كمثرى فأكل منها فمات وقيل بل رمي الزيبق فى أذنه وهو ثقيل العلة فمات والله أعلم بحقيقة الحال ـ وكان ينشد لما اشتدت علته عليه هذين البيتين *

فما فرحت نفسى بدنيا أخذتها * ولكن الى الرب الكريم أصير
وما كان ماقدمته برأى رأيته * ولكن بفتياها أشار مشير

وروى أنه قال لابنه لما أحس بالموت عاجلت فعوجلت *

وممن يسمى أيضاً بالمنتصر على ما ذكر عريب مدرار بن السبع ابن أبى القاسم واستولى صاحب (سجلماسه) وكان يسمى أمير

المؤمنين وغدر به قوم من البربر يعرفون ببني خالد فساقوه الى أفريقية الى أبي عبدالله الشيعي *

وأعثرت آل عباس لَقالهم * بذيل رياه من بيض ومن سمر) (١)

قوله (وأعثرت آل عباس) اشارة الي تغلب عبيدهم الاتراك عليهم حتى كانوا يقتلونهم كيف شاءوا ويولونهم ويعزلونهم متى شاءوا فدعا لهم أن يقيلهم الله من عثرتهم - وقوله (بذيل رياه من بيض ومن سمر) تنبيها على كثرة عـدد عبيدهم وقدرتهم على السلاح وكانوا كما ذكرنا يقتلونهم ويتحكمون فيهم واتفق هذا مذ مات الواثق بن المعتصم وذلك سنة اثنين وثلاثين ومائتين وكان أول من اتخذهم أبا جعفر المنصور اتخذ منهم تركيا اسمه حماد واتخـذ المهدى آخر سماه مباركا ثم لم يزالوا يستكثرون منهم حتى غلبوا عليهم على ما ذكرنا وردوهم على حكم التبع وكان تغلبهم عليهم مذ مات الواثق على كثرتهم عنده وعند أبيه المعتصم ولكنهم لم يقدموا على الواثق لجلالة قدره وهيبته فى نفوسهم فانه يحكى من هيبتهم له أنه لما ثقل فى علته التى مات فيها خيل لهم فى بعض الاوقات وقد أغمى عليه أنه قضى فدنا منه تركي يقال له (ايتاخ) ليعلم هل مات أم لا فلما دنا منه فتح عينيه

---

(١) لقا كلمة تقال للعاثر بمعنى أسلم والمعنى ان الليالي أعثرت آ ل عباس بذيل داهية ربا من السيوف والرماح *

ونظر الى ايتاخ فرجع القهقرى فنشب طرف سيفه بالباب فاندق وسقط ايتاخ على قفاه لما نظره هيبة له ورعبا داخله من نظره اليه ومن العجائب أنه لم تمر له ساعة بعد نظره الى ايتاخ الا وقد مات فأخذ وجعل فى بيت فما أقام الا يسيرا فوجد وقد أخرجت الفار عينيه فسبحان من لا يزول ملكه المنفرد بالبقاء لا اله الا هو العلى العظيم * ثم لم تزل الاتراك مذ مات الواثق يتحكمون عليهم فى خلافتهم تحكم الصبيان على أهاليهم حتى كانت أيام المعتضد فغلبهم الغلبة التى يجب أن تكون لمثله على أمثالهم وأذلهم وردهم الى مراتبهم من العبودية وكان المعتضد مهيبا لا يقدم أحد على أمر من أموره الا مغررا وكان يسمى السفاح الثانى لانه جدد ملك بنى العباس ووطده بعد ان قد أخلقته الاتراك وفى ذلك يقول على بن عباس الرومى *

هنيئاً بنى العباس ان امامكم * امام الهدى والجود والبأس احمد
كما قد أبى العباس قدما بملككم * كذاك أبى العباس أيضاً يجدد

ولقد اتفق في أيامه على ما يحكى أمر فظيع كشفه الله لهيبته فى نفوس اتباعه فانه كان لا يتجرأ أحد منهم أن يكتمه ما فى نفسه مخافة صولته ان عثر على مثل هذا من وزرائه وقواده وذلك أن أحد كبراء قواده أو وزرائه كان قد بنى بناء عاليا مشرفا على منازل جيرانه فلم يعارضه أحد فيه من جيرانه لمكانه

من السلطان وعزه فكان يجلس كثيرا فى ذلك البناء فرأى يوما من الايام فى دار من دون جيرانه جارية بارعة الجمال فأولع بها فسأل عنها فأخبر أنها بنت أحد التجار فأرسل الى والدها خاطباً فقال له أبوها وكان من أهل اليسار لست أزوجها الا لمن هو تاجر مثلى فانه ان تزوجها من هو مثلى لم يظلمها وان ظلمها قدرت على النصفة منه وأنت ان ظلمتها لم أقدر لها على حيلة نصر فلم يزل يرومه فى ذلك بكل مرام ويتوسط اليه بالاكابر والاماثل من الناس وهو مع ذلك كله يمتنع - فلما يئس منه أن يجيبه شكا ذلك الى أحد خواصه فقال له الف مثقال يقوم لك بهذا قال أنى وكيف والله لو علمت انى أنفق عليها مائة الف وأنالها لفعلت قال له لا - عليك تحضر لى الف دينار فأمر باحضارها فمشى بها ذلك الرجل الى عشرة رجال كانوا عدولا عند القاضى فى شهادتهم وذكر لهم الامر وقال هذا أمر ليس عليكم من الله فيه تبعة فانه يصدقها كذا وكذا الفاً وأعلا لهم المهر ثم انكم تحيون نفساً قد أشرفت على الهلاك ويكون لكم عنده من الجاه ما ترغبون وأما أبوها فانما هو عاضل لها فى الزواج والا فما يمنعه من ذلك وقد خطبه مثل فلان فى جلالة قدره ومكانه من أميره وقد اعطاه صداقا لا يعطى الا لبنت ملك ثم هو مع هذا يتأبى فهل هذا الاعضل بيّن ولكن لكل واحد منكم مائة مثقال وتشهدون أنه قد

زوجها منه فانه اذا علم أبوها بأنكم قد شهدتم عليه رجع الى هذا اذ ليس فيه الا الخير والعز فأخذ الشهود الألف دينار وشهدوا إن أباها زوجها على صداق مبلغه كذا وكذا ورفعوا فى قيمة الصداق الى غاية ما ترفع اليها صداقات بنات الملوك - فلما علم بذلك أبوها زاد نفاراً وتأبياً فمشى الوزير وذلك القائد الى القاضى وقال له انى تزوجت إبنة فلان على هذا الصداق وهؤلاء الشهود يعلمون ويشهدون عليه ثم انه قد ما كرني وأنكر الشهود وقد أردت أن أدفع له حق إبنته وآخذها فأمر القاضي باحضار الشهود فشهدوا عنده فى الصداق وأحضر الرجل المال النقد بين يدى القاضى وأبوها على إنكاره متماديا فأمر القاضى بامضاء الحكم عليه وأن تؤخذ إبنته منه أحب أم كره وأمر بحمل المال اليه فلما حصلت الجارية عند الوزير لم يزل أبوها يروم الوصول الى المعتضد وكان المعتضد غليظ الحجاب لا يصل اليه أحد من غير الخاصة فقيل للرجل أنه يحضر كل يوم ساعة من النهار على بنيان يبنى له بقصره فان استطعت أن تكون فى جملة رجال الخدمة تصل اليه وتكلمه بما أردت ففعل الرجل ذلك وغير شكله ودخل فى جملة رجال الخدمة للبناء فلما كان ذلك الوقت الذى كانت عادة المعتضد أن يقف فيه على ذلك البناء خرج فترامى الرجل الى الارض وجعل يثير التراب على رأسه ويستغيث به فسأله عن شأنه

فقص عليه القصة فأرسل المعتضد فى المقام الى ذلك القائد وأغلظ عليه في القول فحملته هيبة الملك له وقلة .قدامه على الكذب له على أن وصف له الصورة على ما كانت عليه وهو يطمع أن يعذره فى ذلك إذ قد جعل لها من الصداق ماهو فوق قيمة قدرها وأمر باحضار الشهود فصنعوا مثل صنيع صاحبهم وذلك كله رهبة له وإجلالا أن يخاطبوه بكذب مع تخيلهم أنه سيتجافى لهم عن هذه الزلة إذ قد أرادوا بها إحياء نفس ذلك الوزير أيضاً فقد دفع له بين يدى القاضى نقداً لا يكون إلا فى صداقات بنات الملوك وقد جعل لها من الكالي على نفسه أضعاف ذلك فكأنه قد أخذها بحقها أو باكثر من حقها فلما تحقق عنده جلية أمرهم أمر أن يصلب كل شاهد منهم على باب داره وأن يوضع ذلك الوزير فى جلد ثور طرى السلخ ويضرب بالمرازب حتي يختلط عظمه ولحمه بدمه ثم أمر بعد مايصنع به ذلك أن يفرغ بين يدي تنور كانت عنده فلما لعقت تلك التنور ذلك الدم أمر الرجل صاحب الابنة أن يأخذ إبنته ويأخذ كل ماذكره لها ذلك الوزير فى صداقها من عقار ودار ومال وغيره ـ فلما مات المعتضد وولى إبنه المقتدر وكان صبياً صغير السن عادت الاتراك الى ما كانت عليه من التغلب على الخلفاء والتحكم فيهم فذلك قوله (اقالهم) كانه يدعوهم بالاقالة مما هم فيه وكان تغلبهم عليهم كما ذكرنا بعدموت

الواثق بالله بن المعتصم وذلك فى سنة اثنين وثلاثين ومائتين *

(ولا وفت بعهود المستعين ولا * بما تأكد للمعتز من مرر)

المستعين هو احمد بن المعتصم اخو الواثق وسمى بالمستعين على ماحدثنا ابو مزاحم الكاتب قال لما دعى احمد بن المعتصم ان يبايع له بالخلافة قال استعين بالله وافعل فسمى بالمستعين وبويع له يوم الاثنين لست خلون من ربيع الآخر الذى هو من سنة ثمان واربعين ومائتين وخلع سنة اثنتين وخمسين ومائتين وكان ألثغ يرد السين ثاء وعهوده التى ذكرها الناظم هى انه لما قام عليه المعتز هرب المستعين من (سُرَّ من رأى) الى بغداد فبايع الاتراك للمعتز ثم للمؤيد اخيه فارسل المعتز اخاه الموفق فنزل بغداد فحاصرها فلم يزل امر المستعين يضعف وامر المعتز يقوى فلما رأى المستعين اختلال حاله ارسل للمعتز على ان يخلع نفسه ويسلم الامر للمعتز على ان يعطيه المعتز خمسين الف دينار ويقيم حيث شاء وعلى ان يكون (بغا ووصيف) اللذان كانا صنيعة له احدهما على الحجاز والآخر على الجبل وماوالاه فتعاقدا على هذا واخذا العهود بعضهما على بعض فى ذلك والمواثيق على ان لا ينكث احدهما على صاحبه فلما سلم الامر اراد ان ينزل البصرة فقيل له انها حارة فقال اتراها أحرّ من فقد الخلافة ثم اختار نزول (واسط) فلما خرج نحوها ارسل المعتز سعيد الحاجب نحوه فلما صار بفم

(القاطول) بقرب سر من رأى تلقاه بها سعيد الحاجب صاحب المعتز فباتا بها فاصبح المستعين ميتا ولا اثر به وقد قيل انه ربط فى رجله حجر وغدر به بفم (دجل) وقيل انه لما احاط به سعيد وعلم انه يريد قتله سأله ان يمهله حتى يركع ركعتين فلما صار فى الركعة الثانية قال احد الاتراك لسعيد تعطيني (جفنة) وأتولى قتله قال نعم فقام اليه وهو قد سجد فقتله واخذ راسه وجاء به للمعتز فامر له بخمسمائة الف درهم وولاد البصرة وفى ذلك يقول جنيد الكاتب الذى يعرف بانجاده *

خلع الخليفة احمد بن محمد * وسيقتل التالى له أو يخلع
إيهاً بنى العباس ان سبيلكم * فى قتل أعبدكم سبيل مهيع
رقعتمُ دنيا كم فتمزقت * بكم الحياة تمزقا لا يرقع

وفى خروجه الى واسط يقول الشاعر *

إنى أراك من الفراق جزوعا * أضحى الامام مشيماً مخلوعا
لاتنكرنْ حدث الزمان وريبه * ان الزمان يفرق المجموعا
فأزاله المقدار عن رتب العلا * فثوى بواسط لايروم رجوعا
غدروا به مكرا وخانوا عندما * لزم الفراش وحالف التضييعا
ولوانه سعر الحروب بنفسه * متلبباً لقتالهن دروعا
لغدا على ريب الزمان ممنعا * ولكان إذ غدر الزمان منيعا

وهو أول من تسمى بالمستعين ثم تسمى بالمستعين بعد ذلك

سليمان بن الحكم من بنى أمية بقرطبة ثم سليمان بن هود الجزامى بسرقسطة * والمعتز الذى ذكره هو عبدالله محمد بن جعفر المتوكل وقيل اسمه الزبير وهو أول من تسمى بهذا الاسم ثم تسمى به عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر وكان يوصف بالحزم والعزم على صغر سنه فانه ولى الخلافة صغيراً فاستقل باعبائها وخلع المستعين ثم قتله ثم خلع أخويه المؤيد والموفق وفى عزمه يقول أبو الحسن احمد بن محمد الاسدى فى قصيدة مزدوجة *

وثبتت خلافة المعتز * ولم يشب أمره بعجز

ثم اجتمع عليه بعد ذلك رؤساء الاتراك فطالبوه بأن يخلع نفسه ولم يزالوا يضربونه حتى أجاب الى الخلع وكتب بذلك كتاباً على نفسه فوجهوا الى محمد بن الواثق وسموه المهتدى ثم أدخلوا عليه المعتز فقال له المهتدى أخُلعتَ أم خلعت نفسك قال بل خلعت فوجئ فى قفاه حتى سقط الى الارض ثم أقيم فقال خلعت نفسى وسلمت ورضيت وسلم على المهتدى بالخلافة ثم أخرج فى الحين وطلب نعلا فلم يعطه فأرخى سراويله ومشى عليها ثم عذب بأنواع العذاب وأدخل حماما وهو عطشان وسقوه الماء ثم أخرجوه فطلب ماء فجىء له بماء فيه ثلج فشربه فمات ـ وقيل انه أدخل حماما فاغلق عليه حتى مات ومن العجب أن كان إبنه عبد الله قام على المقتدر وظفر به المقتدر ورمى به فى صهريج ماء فى شدة البرد

فمات فيه وكان عبد الله ابنه من أهل الادب البارع والشعر الفائق وفيه يقول محمد بن بسام حين قام ولم يتم له أمر حتى قتل فمات أبوه بالحر ومات هو بالبرد *

لله درك من ميت بمضيعة * ناهيك فى العلم والآداب والحسب
مافيه لولا ولاليت فتنقصه * وإنما أدركته حرفة الادب

وكان يسمى عبد الله بالمنتصف ـ وحكى الحسن بن يحيي الكاتب قال لما ولى المعتز الخلافة لم تمر به إلا مُدَيْدَة حتى أحضر المعتز الناس وأخرج اليهم أخاه المؤيد ميتاً ليس فيه أثر * ثم لما ولى المهتدى بعد المعتز مامضت إلا مديدة قليلة حتى أخرج المعتز للناس وليس به أثر وقال فيه ماقال هو فى المؤيد ثم ولى المعتمد بعد المهتدى فأخرج المعتمد المهتدى للناس كما أخرج هو المعتز لهم وقال لهم فيه ماقال هو فى المعتز فعجب الناس من لحاق بعضهم ببعض فى أقرب مدة فسبحان من لا يفنى ملكه ولا يزول سلطانه ولا تلحقه آفات الموت المحرقة للآجال المخترمة للأعمار الحي الدائم الذى لا يموت *

(وأوثقت فى عُراها كل معتمد * وأشرقت بقذاها كل مقتدر) (١)

المعتمد هو أبو العباس أحمد بن المتوكل وهو أول من تسمى

---

(١) اراد ان الليالى ارثقت وقيدت بعراها كل معتمد فلم ينفك منها واغصت كل مقتدر بقذاها والقذا فى الشراب أو العين مايسقط فيهما *

بهذا الاسم وتسمى به بعده محمد بن عباد (باشبيلية) وقتل المعتمد ابن المتوكل بن أخيه احمد بن الموفق الذى تسمى بالمعتضد قيل انه سمّه وقيل أفرغ فى حلقه رصاصا مذابا وهو مسترقد وقيل ملأ له حفرة من ريش ورماه فيها فمات بها غما وكان ذلك سنة تسع وتسعين ومائتين وكان المعتمد هذا يعد فى نوكى الخلفاء ونوكي الخلفاء أربعة من بنى العباس وهم الأمين بن الرشيد والمعتمد ابن المتوكل والقاهر والمكتفى - ومن بنى أمية بالاندلس المستكفى وأما المقتدر فهو أبو الفضل جعفر بن المعتضد وهو أول من تسمى بالمقتدر ثم تسمى به احمد بن سليمان بن هود الجدانى بسرقسطة ولم يل الخلافة أحد من بنى العباس أصغر سنا من المقتدر فانه وليها من ثلاث عشرة سنة ووليها خمسا وعشرين سنة واتفق فى أيامه عجائب وغرائب منها انه بعث اليه من مصر هدايا حتى زعموا انه بعث اليه فى جملتها تيس له ضرع يحلب منه اللبن ووردت عليه هدايا من عمان وفيها طائر صينى أسود يتكلم بالهندية والفارسية أفصح من الببغاء * وورد عليه كتاب البريد بالدينور يذكر فيه أن بغلة ولدت فلوة * وهذه نسخة الكتاب *

الحمد لله الموقظ بعبره قلوب الغافلين والمرشد بآياته ألباب العارفين الخالق مايشاء بغير مثال ذلك هو الله البارىء المصوّر

له الاسماء الحسنى ومما قضاه المصور فى الارحام مايشاء ان الموكل
بخبر التطواف رفع يذكر أن بغلة لرجل يعرف بأبى بردة وضعت
فلوة ووصف اجتماع الناس لذلك وتعجبهم مما عاينوه فوجهت
من أحضر البغلة والفلوة فوجدت البغلة شهباء ورأيت البغلة سوية
الخلق تامة الاعضاء متسدلة الذنب يشبه ذنبها أذناب الدواب
فسبحان الذى لامعقب لحكمه وهو سريع الحساب *وقد حكى
أنه اتفق مثل هذا فى سنة خمس وخمسين وأربعمائة بطليطلة
وكانت البغلة شهباء وفلوها الى الصفرة وذكر صاحب هذا الخبر
قال لما شاع هذا الحديث بطليطلة خف الناس الى دار صاحبها ثم
أرسلوا كبارهم وخواصهم ليروا ذلك عيانا فسيقا جميعا الى دار
الفقيه القاضى أبى بكر يحيى بن سعيد بن الحديدى بحومة مسجد
الرمان وأرسل الى القاضى - قال صاحب هذا الخبر فخرجت من
المسجد وخرج معى جماعة الطلبة الذين كانوا حولى فألفيتهما عند
باب دار القاضى ورأيت البغلة شهباء حسنة القد قد علق فى
عنقها خيط والفلوة الى الصفرة مخططة العراقيب في أذنيه قصر
فيه شبه مهرور أيتها ترضعها وسمعت الناس يقولون انها درت
عليه ثم أخذ الفلوة من الذراعين وحمل أمامها فأسرعت أمها
خلف حامله وهي نحن اليه وأخبرت أنه عطب فى جمادى الاولى
من تلك السنة التى ولد فيها وكان نتاجه فى ربيع الآخر من

السنة المتقدمة ومما اتفق فى أيام المقتدر أنه وجد فى مصر كنز قديم ومعه ضلع انسان طوله أربعة عشر شبراً وعرضه شبر ومما اتفق في أيامه انه جلست قهرمانه أم المقتدر للمظالم وحضر مجلسها القاضى والفقهاء فخرجت التوقيعات بأمرها على السواد وانتفع بذلك كثير من المظلومين وكان سبب قتل المقتدر انه أمر أن يضرب له مضرب (بباب الشماسية) لما أقبل نحوه مؤنس الخادم فلما كان المقتدر بموضع يعرف بالتل توجه نحو باب الشماسية وانتظر أن يأتيه جنده منها والناس في اثناء ذلك يتسللون نحو مؤنس وكان مؤنس قد جاء ليصرفه المقتدر في مهماته غير انه كان يحسد مؤنسا من العبيد الآخر من أغرى المقتدر بمؤنس وقالوا له انما جاء لقتلك أوخلعك فخافه وأخافه حتى وقع الحرب بينهما وقد كان أراد أن لايخرج لقتاله ولكن غاب عليه عبيده الذين كانوا معه وكانوا قد عصوا مؤنسا وقالوا له إما أن تخرج معنا لقتاله وإلا أخذناك وأسلمناك اليه فخرج وهو مكره وقد كانت أمه تروم أن لايخرج ولكن حمل عليه اترا كه في الخروج فلما لم ير بدا من الخروج خرج وودع أمه وتمثل بقول على ابن عباس الرومي *

طامن حشاك فان دهرك موقع * بك ماتحب من الامور وتكره

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

فلما خرج اليه جعل أصحابه يتسللون منه حتى بقى وحده فقصده رجل أسود فضربه على عاتقه فصاح ماهذا ويلك فعاوده بالضرب حتى قتل * وقيل أن مؤنسا قبض على قاتله وقتله اذ لم يكن غرض مؤنس قتله وإنما كان غرضه أن يكون صاحب أمره ولكن المقادير تنفذ أحب العبد أم كره *

وهنا انتهى بنا الخبر في شرح قصيدة أبى محمد عبدالمجيد ابن عبدون اليابرى رحمه الله وعفا عنه * ثم لما ذكر كل من ذكره من الامم الخالية والملوك الماضية والاكابر الذين ذكرهم رجع الى رثاء بنى الافطس المعروفين ببنى مسلمة وهو قوله
(الذى تمم به قصيدته)

بنى المظفر والايام ما برحت * مراحلا والورى منها على سفر
سحقاً ليومكم يوماً ولا حملت * بمثله ليلة فى مقبل العمر
من للأسرة أومن للأعنة أو * من للأسنة تهديها الى الثغر
من للبراعة أو من لليراعة أو * من للسماحة أو للنفع والضرر
من للعدى وعوالى الخط قدعقدت * أطراف ألسنها بالعى والحصر
وطوقت بالثنايا السود بيضهم * أعجب لذاك وما منها سوى ذكر
أو رفع كارثة أو دفع آزفة * أو قمع حادثة تعيا على القدر
ويح السماح وويح الجود لوسلما * وحسرة الدين والدنيا على عمر
سقت ثرى الفضل والعباس هامية * تعزى اليهم سماحاً لا إلى المطر

ثلاثة مارقى النسران حيث رقوا * وكل ما طار من نسر ولم يطر
ثلاثة ما رأى العصران مثلهم * فضلا ولو عززوا بالشمس والقمر
ومرّ من كل شيء فيه أطيبه * حتى التمتع بالآصال والبكر
من للجلال الذى عمت مهابته * قلوبنا وعيون الانجم الزهر
أين الاباء الذى أرسو قواعده * على دعائم من عز ومن ظفر
أين الوفاء الذى أصفوا شرائعه * فلم يرد أحد منها على كدر
كانوا رواسى أرض الله منذ نأوا * عنها استطارت بمن فيها ولم تقر
كانوا مصابيحها دهراً فمنذ خبوا * صار الخليقة يا لله فى سرر
كانوا شجى الدهر فاستهوتهم خدع * منها بأحلام عاد فى خطا الخطر
من لى ومن لهم ان أطبقت محن * ولم يكن وردها يفضى الى صدر
من لى ومن لهم ان أظلمت نوب * ولم يكن ليلها يفضي الى سحر
ويلمه من طلوب الثار مدركه * لو كان دنيا على أبان ذى عسر
من لى ومن لهم ان عطلت سنن * وأخفيت ألسن الايام والبشر
على الفضائل الا الصبر بعدهم * سلام مرتقب للاجر منتظر
يرجو عسى وله فى أختها طمع * والدهر ذو عقب شتى وذو غير
قرطت آذان من فيها بفاصحة * على الحسان حصى الياقوت والدرر
ثم الصلاة على المختار سيدنا * المصطفى المجتبي المبعوث من مضر
والآل والصحب ثم التابعين له * ما هب ريح وهل السحب بالمطر.

تمت القصيدة البسامة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

وهذا حين انجاز ماوعدنا به في الديباجة من الاتيان بالقصيدة
جميعها منفردة وبالتذييل الاثيري في إثرها

﴿وها هي القصيدة جميعها منفردة﴾ [البسيط]

الدهر يُفجِعُ بعد العين بالأثر * فما البكاء على الاشباح والصور ١
أنهاك أنهاك لاأنهاك واحدة * عن نومة بين ناب الليث والظفر ٢
فالدهر حرب وان أبدى مسالمة * فالبيض والسمر مثل البيض والسمر ٣
ولا هوادة بين الرأس تأخذه * يد الضراب وبين الصارم الذكر ٤
فلا يغرّنك من دنياك نومتها * فما صناعة عينيها سوى السهر ٥
ما لليالي أقال الله عثرتنا * من الليالي وغالتها يد الغير ٦
في كل حين لها في كل جارحة * منا جراح وان زاغت عن البصر ٧
تسرّ بالشيء لكن كي تغر به * كالايم ثار الى الجاني من الزهر ٨
كم دولة وُليت بالنصر خدمتها * لم تبق منها وسل دنياك عن خبر ٩
هوت بدارا وفلت غرب قاتله * وكان عضبا على الاملاك ذا أثر ١٠
واسترجعت من بني ساسان ماوهبت * ولم تدع لبني يونان من أثر ١١
وأتبعت أختها طسما وعاد على * عاد وجرهم منها ناقض المِرر ١٢
وما أقالت ذوي الهيئات من يمن * ولا أجارت ذوي الغايات من مضر ١٣
ومزقت سبأ في كل قاصية * فما التقى رائح منهم بمبتكر ١٤
وأنفذت في كليب حكمها ورمت * مهلهلا بين سمع الارض والبصر ١٥
ولم تردّ على الضليل صحته * ولا ثنت أسدا عن ربها حجر ١٦

ودوّخت آل ذبيان واخوتهم * عبسا وعضت بنى بدر على النهر ١٧
وألحقت بعدى بالعراق على * يد ابنه أحمر العينين والشعر ١٨
وأشرقت بخبيب فوق قارعة * وألصقت طلحة الفياض بالعفر ١٩
ومزقت جعفراً بالبيض واختلست * من غيله حمزة الظلام للجزر ٢٠
وبلغت يزدجرد الصين واختزلت * عنه سوى الفرس جمع الترك والخزر ٢١
ولم تردّ مواضى رستم وقنا * ذى حاجب عنه سعداً فى ابنة الغير ٢٢
وخضبت شيب عثمان دما وخطت * الى الزبير ولم تستحي من عمر ٢٣
ومارعت لأبى اليقظان صحبته * ولم تزوده الا الضيح فى العمر ٢٤
وأجزرت سيف أشقاها أبا حسن * وأمكنت من حسين راحتى شمر ٢٥
وليتها إذ فدت عمرا بخارجة * فدَت علياً بمن شاءت من البشر ٢٦
وفى ابن هند وفي ابن المصطفى حسن * أتت بمعضلة الألباب والفكر ٢٧
فبعضنا قائل ما اغتاله أحد * وبعضنا ساكت لم يؤت من حصر ٢٨
وعممت بالردى فودى أبى أنس * ولم ترد الردى عنه قنا زفر ٢٩
وأردت ابنَ زياد بالحسين فلم * يبؤ بشسع له قد طاح أو ظفر ٣٠
وأنزلت مصعبا من رأس شاهقة * كانت بها مهجة المختار فى وزر ٣١
ولم تراقب مكان ابن الزبير ولا * رعت عياذته بالبيت والحجر ٣٢
ولم تدع لأبى الذبان قاضبةً * ليس اللطيم لها عمرو بمنتصر ٣٣
وأظفرت بالوليد ابن اليزيد ولم * تبق الخلافة بين الكاس والوتر ٣٤
ولم تعد قضب السفاح نابية * عن رأس مروان أو أشياعه الفجر ٣٥

وأسبلت دمعة الروح الامين على * دم بفخ لآل المصطفى هدر ٢٦
وأشرقت جعفرا والفضل ينظره * والشيخ يحيى بريق الصارم الذكر ٢٧
وأخفرت في الامين العهد وانتدبت * لجعفر بابنه والاعبد الغدر ٢٨
وروعت كل مأمون ومؤتمن * وأسلمت كل منصور ومنتصر ٢٩
وأعثرت آل عباس لقالهم * بذيل رياء من بيض ومن سمر ٣٠
ولا وفت بعهود المستعين ولا * بما تأكد للمعتز من مرر ٣١
وأوثقت في عراها كل معتمد * وأشرقت بقذاها كل مقتدر ٣٢
بني المظفر والايام ما برحت * مراحلا والورى منها على سفر ٣٣
سحقا ليومكم يوما ولا حملت * بمثله ليلة في مقبل العمر ٣٤
من للأسرة أو من للأعنة أو * من للأسنة تهديها الى الثغر ٣٥
من للبراعة أو من لليراعة أو * من للسماحة أو للنفع والضرر ٣٦
من للعدى وعوالي الخط قد عقدت * أطراف ألسنها بالعي والحصر ٣٧
وطوقت بالثنايا السود بيضهم * أعجب لذاك وما منها سوى ذكر ٣٨
أو رفع كارثة أو دفع آزفة * أو قمع حادثة تعيا على القدر ٣٩
ويح السماح وويح الجود لو سلما * وحسرة الدين والدنيا على عمر ٤٠
سقت ثرى الفضل والعباس هامية * تعزى اليهم سماحا لا الى المطر ٤١
ثلاثة ما رقى النسران حيث رقوا * وكل ما طار من نسر ولم يطر ٤٢
ثلاثة ما رأى العصران مثلهم * فضلا ولو عززوا بالشمس والقمر ٤٣
ومر من كل شيء فيه أطيبه * حتى التمتع بالآصال والبكر ٤٤

من للجلال الذى عمت مهابته * قلوبنا وعيون الانجم الزهر ٥٥
أين الاباء الذى أرسوا قواعده * على دعائم من عز ومن ظفر ٥٦
أين الوفاء الذى أصفوا شرائعه * فلم يرد أحد منها على كدر ٥٧
كانوا رواسي أرض الله منذ نأوا * عنها استطارت بمن فيها ولم تقر ٥٨
كانوا مصابيحها دهرا فمنذ خبوا * صار الخليقة يا لله فى سرر ٥٩
كانوا شجى الدهر فاستهوتهم خدع * منها بأحلام عاد فى خطا الخطر ٦٠
من لى ومن لهم ان أطبقت محن * ولم يكن وردها يفضي الى صدر ٦١
من لى ومن لهم ان أظلمت نوب * ولم يكن ليلها يفضى الى سحر ٦٢
ويلمه من طلوب الثار مدركه * لو كان دنيا على لبان ذى عسر ٦٣
من لي ومن لهم ان عطلت سنن * وأخفيت ألسن الايام والبشر ٦٤
على الفضائل الا الصبر بعدهم * سلام مرتقب للاجر منتظر ٦٥
يرجو عسى وله فى أختها طمع * والدهر ذو عقب شتى وذو غير ٦٦
قرطت آذان من فيها بفاضحة * على الحسان حصى الياقوت والدرر ٦٧
ثم الصلاة على المختار سيدنا * ألمصطفى المجتبي المبعوث من مضر ٦٨
والآل والصحب ثم التابعين له * ما هب ريح وهل السحب بالمطر ٦٩

« تمت القصيدة »

﴿ التذييل الأثيرى ﴾

وغادرت قاهرا بالله منقهرا * بالخلع والشمل شيب الصفو بالكدر
وقام بالأمر من أبناء فاطمة * فى الغرب مهديهم بالنفع والضرر
فأهلكته وما أجدت خلافته * وجاء قائمهم يقفو على الأثر
فمات ثم أتى المنصور يتبعه * فى العلم والدين والآيات والسور
فغالب الملك حيناً ثم حان له * هلك وقام معز واهب البدر
وهو المعز لدين الله حين أتى * مصرا فأنقذها من أعبد فجُر
سيم العزيز بها خسفاً بمهلكة * حينا فوفى به ميعاد منتظر
وغيبت حاكم الامصار عن بلد * لم يدر كيف أصابته يد الغير
ومات ظاهر مصر في خلافته * فقام منتصر بالأمر ذو وزر
وبعده الرأى محمود لأحمدهم * وقام بالامر مستعليه ذو الخطر
وقام حافظ مصر قبل ظافرها * وفاز فائزهم بالملك والسرر
وعاضدت يوسفاً فى قطع عاضدها * فبلغته أمانيه من الظفر
واستنهض الملك الراضي لبغيته * لكنها امتزجت بالعجب والبطر
لم تنق المتقى يوما وقد حفظت * مستكفيا فاجأته سطوة الغير
ولم ترد مطيعا عن نوائبها * أو طائعا حين خلاها لمبتدر
وقدر القادر الحامي لحوزتها * بقاء عمر له يحمى من القدر
وأقعدت قائما في الدست منتصبا * لخولته ولم تحفل الى الحفر
والمقتدى بن أبى العباس كان لها * كفؤا يشاركه فى النفع والضرر

فجا الى الاجل المحتوم معتمدا * فنام مستظهر بالدهر ذو خبر ٩
وأتبعت آل سلجوق بمحنتها * فأصبحوا عبرة فى كل معتبر ١٠
سحقا لمسترشد أضحت نوائبها * تنوبه أبدا فى البدو والحضر ١١
والراشد القرم من أولاده سخرت * له السيوف فما أبقت ولم تذر ١٢
والمقتفى جاء يقفو إثره ولد * مستنجد فأصارتهم الى الغير ١٣
وأظلمت أفقاً لمستضىء بها * فليس يبصر من عين ولا أثر ١٤
بيت الاتابك لايلفى بمعتمد * على عماد ولا بالجود مفتخر ١٥
ولا رعت قاصراً حيناً ولا زكت * لظاهر قط فى الأيام من أثر ١٦
وكل منتصر يأوى الى خدع * منها فقد بات فى وهن وفى غرر ١٧
وذاق ذو (الألموت) الموت من رجل * راع وكم راع منه سطوة القدر ١٨
كذاك مستعصم جاءت منيته * بقتله رويت عن ألسن السير ١٩
أضحت أسود بنى خاقان كاسرة * فى الارض من كل ذى ناب وذى ظفر ٢٠
كم خربت من بلاد ثم عامرة * ظلماً وأهدت اليها قاصم العمر ٢١
وظفرت بخوارزم أعاديها * فخربتها ذوو التكذيب بالنذر ٢٢
ثم انبرت لبنى أيوب غادرة * بها فطار اليها طائر الشرر ٢٣
وجاءت الترك للامصار مالكة * فأمنت كل خوف كان أوذعر ٢٤
هم المعز أتى المنصور يتبعه * مظفر بأعاديه من التتر ٢٥
قد كان سيفا صقيلا ماضيا وريا * لاقى العدو فما ألقى سوى جزر ٢٦
ثم انثنى عائدا والعجب يتبعه * كأنه آمن من سطوة القدر ٢٧

فثلم السيف أسياف بغته لما * فى النفس من أحسن مسبولة الستر ٣٨
وبعده الظاهر الضرغام كم أسد * قد بات منه على وخز من الابر ٣٩
ثم السعيد ولىّ العهد منتظم * فى سلك من لم يبلغ غاية الوطر ٤٠
أضحي خليما من الملك العقيم فلن * يرضى لامر ولا نفع ولا ضرر ٤١
ولي أخوه برغم منه منصبه * فما أقام سوى نزر من العمر ٤٢
وقام بالدولة المنصور يتبعه * مليكه غير منقاد لمزدجر ٤٣
فانفذوا فيه حكم الله حين بغى * فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر ٤٤
فملكوا ناصرا من بعد أشرفهم * فلم يكن ليله يفضي الى سحر ٤٥
وكان مقصودهم تسكين ثائرة * فجاء عادلهم يقفو على الاثر ٤٦
ثم اغتدى الملك المنصور مالكنا * فأظهر العدل في الآصال والبكر ٤٧
وجرد العزم فى حلم وفى كرم * وفى عفاف وفى صوم وفى سهر ٤٨
وفى وفاء لمن قد كان يخدمه * وفى مناقب أضحت غرة السير ٤٩
أحبه أهل مصر والشآم وما * تحويه بغداد والآفاق من بشر ٥٠
فالله يبقيه فى ملك وفى دعة * وفى انتصار وفى عز وفى ظفر ٥١

قال ابن الأثير وقد ختمتُ بذكر دولته

كتابي وقد اشتملت هذه القصيدة

على نيف وخمسين بيتا

انتهى

هذا تقريظ لحضرة الاستاذ الفاضل الشيخ كمال الدين العراقي نزيل لقاهرة

الحمد لله رب ماكان وما يكون وما من شأنه أن يكون لوكان كيف يكون * وأفضـل التحية وأكمل الثناء على مشرق الظهور ومغرب النشور وقطب دائرة الشئون سـيدنا محمد بن عدنان وعلى آله وأصحابه ذوى العز والعرفان ﴿ وبعد ﴾ فلما وقفت على شرح قصيدة الوزير الـكاتب الشهير أبى محمد عبـد المجيد بن عبدون المعروفة بالبسامة فى التاريخ والادب للعلامة الـكبير أبى القاسم عبد الملك بن بدرون استحسنته بل وحبذته لما جمع من أشتات الفوائد التاريخية والفرائد الادبية ـ ثم وللرابطة الكلية التى بينى وبين حضرة ناشره القائم بطبعه الاستاذ الهمام الشيخ محى الدين الصبرى الـكردى قمت بأبيات لتقريظ القصيدة على وزنها وقافيتها ووجهت التقريظ الى المتن فقط لانه الاصل وقلت *

(الدهر يفجع بعد العين بالاثر) * بيت القصائد عن بدو وعن حضر

عبد المجيد مجيد فى قصيدته * بل لانظير لها في مسلك السير

فساقها ظاهرا من نوع ماغزلٍ * لـكنها باطناً مشحونة الدرر

حوت مزايا وليس النثر ينظمها * فيها البديع ولكن معجز الفكر

رثى بنى الافطس الهلكى بها وبنى الـ أملاك ممن مضوا مغلوبة القدر

حازت عناوين أحوال الملوك وهم * دارابن دارا الى أيام مقتدر
أعنى الثلاثين من بعد الثلاث الى * ثلاثمائة من هجران ذى الخبر
كانت عزيمته اتمام بغيته * لولا منيته أمنيـة الخطر
(ماكل مايتمنى المرء يدركه) * ان المقادير تأبى منية البشر
قدقام من بعده (ابن الاثير) على * اتمام نهضته فى دقة النظر
أضحى فذيلها وزنا وقافية * لا فرق بينهما الا لمختـبر
فرام من (قاهر) المغلوب منتهيا * لدولة الترك ذات الخبر والخبر
اعنى لتسعين بعد السبع مختتما * بستماية من هجران ذى الاثر
هذى خلاصة مرمى الناظمين ولى * فى نظم تقريظها ذيل لمفتكر
يارب حقق أمانينا وهجرتنا * من قبضة الهزء والاهواء والعور
هيىء بفضلك أسباب الخلاص لمن * يرجو النجاة من الاوهام والحصر
قوموا بناملة الانصاف مكتشفا * عن برقع الوهم حتى نحظ بالوطر
ماقام قوم لادراك الحقيقة في * جد وجهد ففاتهم مع الحذر
الله أكبر كم من أمة سلفت * أو ملة تلفت لم تؤت بالعبر
الله أعظم كم من حكمة نشرت * أو نعمة بسطت والدهر فى غير
هذا غريب كأن الخلق ماخلقوا * للحق بل للهوى والسخط والنذر
ماذا أقول ومن للحق أقصده * ومن يرى وغشى التقليد فى البصر

﴿ فهرس ﴾

شرح قصيدة ابن عبدون

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿ تم ﴾